دراسات في تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
(١)

تطور المثل العليا في مصر القديمة

دكتور
محمد علي سعد الله
كلية الآداب بنها - جامعة الزقازيق



الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
للطباعة والنشر والتوزيع
ت/٤٨٣٩٤٧٢ بالإسكندرية



دراسات فى تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم

(١)

تطور المثل العليا

فى

مصر القديمة

تأليف

دكتور / محمد على سعد الله

كلية الآداب ـ بنها

الاسكندرية ١٩٨٩

الناشر

مؤسسة شباب الجامعة

للطباعة والنشر والتوزيع

ت/٤٨٣٩٤٧٢ بالإسكندرية



بسم الله الرحمن الرحيم

« وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ »

صدق الله العظيم

[آية ٤ سورة القلم]



إهـــــداء

إلى زوج أستاذى الدكتور/ عبدالمنعم أبو بكر

أستاذ علم المصريات

قمة العلم والعطاء الانسانى

جزاه الله خيرا وأثابه وتقبل عمله .



تقديم



بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسوله الكريم

تعتبر المثل العليا والقيم الأخلاقية والمبادىء السوية من الأسس التى تقوم عليها المجتمعات البشرية المتحضرة ، وهى من جهة أخرى معيار لما تصل إليه تلك المجتمعات من مدنية وتحضر ولذا تعتبر انجازات المجتمع المصرى القديم فى هذا المضمار من الانجازات الكبيرة التى تحققت ، فلقد ترك الانسان المصرى القديم تراثا جليلا فى مجال الأخلاق والضمير والمثل العليا . وهو ما كشف عن جانب آخر هام للحضارة المصرية القديمة ، ذلك أن هذه الحضارة لم تقم على انجازات مادية بحته تمثلت فيما تركه المصريون فى مجال العمارة والفن والتنظيم والادارة والحكم فحسب ، وإنما كان لها جانبها الأخلاقى الصميم . ولقد كانت المثل العليا والأخلاق هى الأساس الأصيل الذى قامت عليه كافة مقومات المجتمع المصرى القديم . ومن هنا أحس الدارس بميله نحو دراسة هذا الجانب ، لأنه فى واقع الأمر بحث يتعلق بالأسس التى تقوم عليها الحضارة والتاريخ المصرى القديم .

ولقد كان من دواعى سرور الباحث وحظه الطيب أن حظى بفرصة عرض رغبته وأفكاره حول هذه الموضوعات على أستاذه الجليل المرحوم الدكتور عبدالمنعم أبو بكر ، الذى يعتبر أحد رواد المدرسة المصرية الكبار فى مجال التراث والحضارة المصرية القديمة. ولقد وجدت لدى سيادته الاستجابة المشجعة لأتجه فى دراستى لمرحلة الماچستير هذا الاتجاه الذى كان . ولا يمكننى التعبير عن مدى ما استفدته من نصح وتوجيه من خلال لقاءاتى التى حظيت بها وتلك النصائح التى كان لها فضل استيضاح جوانب الموضوع المختلفة ،

كما كان لها من جهة أخرى أثر فى شحذ همتى واستجماع جهدى فى مواصلة البحث والتحصيل . وانى لأعتقد أنه ليس الدارس وحده الذى أحس ويحس بالخسارة الكبيرة فى فقدان هذا العالم الجليل تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته .

وإذا كان الدارس قد روّع بفقد استاذه الراحل فقد كانت رحمة الله قريبة منه،إذ منّ الله عليه بالانتقال للتلمذ على أيدى أستاذ كبير وجليل ، له مدرسته الفكرية وينتشر تلامذته فى كثير من الجامعات والمعاهد العلمية ، ذلك هو استاذه الجليل الدكتور رشيد الناضورى وهو غنى عن البيان والتعريف .

ولقد وجدت فى أبوته الرحيمة وأستاذيته الصادقة ما عوضنى كثيرا ، وساعدنى على أن أستمر فى مواصلة بحثى وتحصيلى العلمى وصياغة موضوعى الصياغة العلمية السليمة ووضعه فى اطار المنهج العلمى القويم .

ويود الدارس أن ينوّه على وجه الخصوص بتلك الفرصة العظيمة التى أتاحها له أستاذه حين سمح له أن يشترك فى موسم حفائر نقادة (بمحافظة قنا) لعام ١٩٨١ . فلقد وجد الدارس فى ذلك فرصة طيبة ليساهم فى دراسة عملية فى مجال التاريخ والآثار ولقد كانت استفادته عظيمة ، كما كانت فرصته كبيرة فى الاقتراب من أستاذه الجليل ومعايشة سيادته لفترة طويلة هى طيلةأيام البعثة المذكورة ، مما أتاح للباحث أن يتشرب من روح أستاذه العظيمة وينهل من علمه الكبير . ولا يكون أمام الدارس إلا أن يشكر لسيادته صبره الجميل ومعاونته الصادقة وصدره الرحب ، وأن يدعو الله تبارك وتعالى أن يمنحه الصحة والعافية الدائمتين وأن يكثر من أمثاله العلماء الذين تميزوا بالنزاهة والاخلاص والالتزام بالمنهج الاكاديمى المتميز .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أذكر بالتقدير فضل عالم جليل وأستاذ له مدرسته الأثرية وهو الأستاذ الدكتور/ عبدالعزيز صالح عميد كلية الآثار بجامعة القاهرة ، وقد كان له الفضل فى مدى بالعديد من الكتب والمراجع التى تخص البحث من مكتبته وكانت لارشاداته الفضل الذى جعلنى أعترف لمدرسة الاستاذية فى شخصه فليس عندى ما أقدمه سوى الشكر والتقدير من تلميذ لأستاذه .

وانه لمن الفخر البالغ أن أتوجه بعظيم امتنانى وتقديرى لأستاذ كريم يرى العلماء فى علمه نفعا وهداية حيث شرف الباحث بالنيل من علمه المكتوب والمسموع وكان لى شرف التكوين الأكاديمى على سيادته وذلك من خلال سنى دراستى قبل حصولى على الليسانس وكلمتى هذه إنما هى للعالم الكبير الأستاذ الدكتور/ محمد بيومى مهران أستاذ التاريخ المصرى القديم بكلية الآداب جامعة الاسكندرية.

وأتقدم بخالص شكرى وتقديرى لكل من شجعنى وساعدنى فى اعداد هذه الرسالة وعلى وجه الخصوص آساتذتى وزملائى فى التاريخ القديم والآثار والعاملين فى المكتبات المتخصصة لدراسات الآثار والتاريخ القديم ... هذا وانى لكبير الأمل أن أكون قد وفقت فى محاولتى إلى تحقيق الهدف من هذا البحث والله أسأل أن يكون فى هذه الدراسة بعض النفع ...

«وماتوفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب»

صدق الله العظيم



مصطلحات

[ ] = اجتهاد لايجاد كلمات تعوض عن النص المفقود

[-] = الكلمات المفقودة فى النص

( ) = ايضاحات وتفسيرات أو معنى آخر للقراءة أو الترجمة

(!) = لها قراءة أخرى غير ما وردت فى النص الأصلى

الإختصارات العلمية

ANET : Ancient Near Eastern Texts Relating to the old Testement, edited by : J.B. Pritchard, Princeton.

Ann. Serv. : Annales du Service des Antiquities de L'Egypte.

A R E : Ancient Records of Egypt

J E A : Journal of Egyptian Archaeolgy.

Onom : Ancient Egyptian Onomastica.

Pry. : Pyramid Texts.



مقدمة مع الإحاطة ببعض مصادر ومراجع البحث



مقـــدمة

مع الاحاطة ببعض مصادر ومراجع البحث

يرجع اختيارى لموضوع «تطور المثل العليا للضمير الخلقى فى عصرى الدولتين القديمة والوسطى» إلى أهميته فى التاريخ المصرى القديم إيمانا منى بأن ذلك التقدم المادى العظيم الذى بلغته الحضارة المصرية فى مختلف المجالات يرتبط ارتباطا وثيقا بالقيم والمبادىء والتى فى ظلها أمكن تحقيق أعظم الانجازات .

ولقد كنت أدرك منذ الوهلة الأولى صعوبة اختيارى لهذا الموضوع الذى مرَّ بعدد من التطورات الفكرية المختلفة فى حياة الانسان المصرى القديم ، وكان من الطبيعى أن يعالج الباحث كافة الجوانب ـ المتصلة بالموضوع ـ السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية أثناء عصر الدولتين القديمة والوسطى بل يحاول العودة بها إلى الاصول الأولى فى عصور ما قبل التاريخ .

وكانت طريقتى فى معالجة الموضوع أن قسمته إلى خمسة فصول بالاضافة إلى المقدمة والخاتمة مراعيا فى ذلك الترتيب الزمنى والموضوعى على النحو التالى :

الفصل الأول :

مفهوم المثل العليا للضمير الخلقى عند الانسان المصرى القديم وتطوره خلال النصف الأول من عصر الدولة القديمة .

الفصل الثانى :

تطور فكرة الضمير الخلقى فى النصف الثانى من عصر الدولة القديمـة .

الفصل الثالث :

دور الآلة «أوزير» فى مفهوم المثل العليا .

الفصل الرابع :

الثورة الاجتماعية ودورها فى مفهوم المثل العليا لدى الانسان المصرى القديم .

الفصل الخامس :

تطور فكرة الضمير الخلقى فى عصر الدولة الوسطى .

وقد اتجهت إلى محاولة الرجوع إلى المصادر الأصلية لهذه الدراسة واعتمدت على ذلك ابتداء من الفصل الثانى حيث بدأ مفهوم القيم المصرية فى التطور والتبلور نحو الأفضل متخذا الصفات والسمات المميزة لها .

أما فى الفصل الأول فقد تناول الدارس مفهوم المثل العليا للضمير الخلقى عند الانسان المصرى القديم وذلك خلال النصف الأول من الدولة القديمة حيث كانت تلك المثل العليا متصلة اتصالا وثيقا بالقيم والمبادىء والتى يعتمد عليها نظام الحكم فى تلك الفترة .

ومن هنا كانت ضرورة إلقاء الضوء على نظام الملكية الالهية ومدى أثره فى ربط مقومات المجتمع المصرى بالفكر الدينى وما صحبه من قيم ومفاهيم .

وتعرضت إلى شكل المجتمع المصرى والعلاقة بين الملك من ناحية وبين طبقات المجتمع من ناحية أخرى ومدى التكامل الفكرى فيما بينهما ، ولبيان الكيفية التى كان يحكم بها الملك المجتمع المصرى فقد استعان الباحث فى ذلك على :

NEWBERRY, P., The life of Rehmare, 1900, P. 23.

وأيضـــا

Breasted, J., H., Ancient Rocords of Egypt, vol. 1, Chicago, 1905, P. 76 - 79.

والواقع أن صورة المجتمع فى تلك الفترة أى النصف الأول من عصر الدولة القديمة كانت تعتمد على نظام المركزية المطلقة .

وقد ركزت بصفة خاصة على مراحل التطور الكبير فى تلك القيم خلال النصف الثانى من الدولة القديمة وذلك فى الفصل الثانى من الرسالة حيث تناولت تطور فكرة الضمير الخلقى فى النصف الثانى من عصر الدولة القديمة ، وبداية ما يعرف بظهور النزعة الفردية وأسباب ذلك وأعطى الباحث أمثلة على بداية التحول الفكرى من التبعية المطلقة للملك الاله مستشهدا بالنصوص الدالة على ذلك فاستعان الباحث بكل من نص «بتاح شبسس» و «ونى»

"Inscription of Ptahshepses"

"Inscription of Uni"

عـــلى :

Breasted, J., H., Ancient Rncient Records of Egypt vol. 1, P. 115 - 118, 134 - 150.

كما قمت بالقاء الضوء على بعض الوثائق المصرية القديمة مثل : «تعاليم بتاح حوتب» التى اشتملت على جوانب عديدة من السلوكيات فى المجتمع المصرى القديم من حيث علاقة الفرد بالنسبة للملك الحاكم وأيضا بالنسبة لعمله وعلاقته بالمجتمع .

ومن المصادر التى اعتمدت عليها فى هذا الفصل على سبيل المثال : نص «تعاليم الوزير بتاح حوتب»

The Instruction of the Vizier Path-Hotep

والمخطـوط الرئيسى المتضمن تلـــك التعاليم هـو «بردية باريس» (Prisse Papyrus) وقد قام بترجمتها ونشرها عديد من العلماء منهم :

ج . ويلسون J. Wilson

كما اعتمد الباحث فى تحليل هذا النص على :

ŽABA, Z., Les maximes de Ptah Hotep, PARGUE, 1956.

وفى الفصل الثالث تناول الدارس دور الاله «اوزير» فى مفهوم المثل العليا وذلك نظرا للدور الهام الذى شغله هذا الاله واسطورته سواء من الناحية الدينية أو الخلقية أو السياسية .

ولذا فان الباحث قد تعرض لذلك بشىء من الايجاز ـ بقدر الامكان ـ موضحا الارتباط بين «أوزير» ومعانى الخير الخالدة الموجودة فى الطبيعة المصرية .

كما أشرت إلى مدى تأثر العادات وخاصة الجنزية بتعاليم «أوزير» وانعكاس ذلك كله على النواحى الخلقية .

ومن الأشياء التى أفادت الدارس فى دراسته لهذا الموضوع أشير إلى مصدر هام اعتمدت عليه وهو «متون الاهرام» التى نشرها «زيته Sethe, K.,» وكذلك «مرسر»

Mercer, S.A, B,. :

The Pyramid Texts, vols-1-IV

(in Translation and Commentary. NEW York. 1952.

وقد استفاد الدارس بالجزء الرابع على وجه الخصوص من كتاب «مرسر Mercer» وبالآراء القيمة التى كتبها مجموعة من العلماء عن أصل «أوزير» وموطنه الأول . كما استعان الباحث بكتاب «أوتو» OTTO, E.n Osiris und Amun الذى قام الباحث بالاستفادة منه بعد

ترجمته من الألمانية إلى العربية ولا تفوتني فى هذه المناسبة أن أشير إلى الدور الكبير لأستاذى الفاضل الدكتور/ عبدالمنعم أبوبكر طيب الله ثراه فى مراجعته لهذه الترجمة .

وفى الفصل الرابع تعرض الباحث إلى تلك الفترة الحرجة الهامة من تاريخ مصر القديمة والتى اصطلح البعض على تسميتها «بعصر الثورة الاجتماعية الأولى» وفيها تعرضت مؤيدا بالنصوص إلى الملابسات التاريخية التى صاحبت نهاية الدولة القديمة للاشارة إلى حالة الفوضى وسوء الأحوال فى البلاد بعد نهاية الأسرة السادسة وبالتالى تداعى الملكية وتصدع بناء الدولة مما كان له أثره على وجود روح جديدة لم يعرفها المصرى من قبل وهو ما عبرت عنه تلك الأعمال الأدبية التى خلفتها تلك الفترة مع وضع الحلول المختلفة للخروج من هذه المحنة .

وقد رجعت إلى الوثائق الخاصة بتلك الفترة ومنها : الكتب الخاصة بالوثائق بردية «ليدن» الخاصة بتحذيرات حكيم مصرى يدعى «ايبوور» ، وقد ترجم النص لأول مرة بمعرفة الاثرى الداينماركى «لنجه Lange, H.» وكذلك للعلامة «جاردنر Gardiner, A., H.» تحت عنـــوان :

"The Admonitions of an Egyption Sage"

وقد استعان الدارس بترجمة ج. ولسون

Wilson, J., Ancient Near Eastern Texts, New Jersy, 1969, P. 441 FF.

وكذلك نص :

"The Instruction for King Meri-KA-RE"

تعاليم موجهة إلى الملك «مرى كارع» والموجودة فى بردية تعرف «ببردية لينجراد» رقم "1116 A" وقد نشرها «جولينشف Golenischeff»

وترجمها «جاردنر Gardiner, A.H., in J.E.A., (1914)

كما اعتمد الباحث فى دراسة :

ما يعرف بنص «الفلاح الفصيح «The Eloquent Peasant

على ترجمة ج. ولسون Wilson, J., Ancient Near Eastern Text.

كما اعتمد على

Breasted, J.H., The Dawn of Conscience (NEW York, 1947).

كما اعتمدت على الآراء القيمة التى أوردها «جاردنر Gardiner» وخاصة مقدمة مقالته التى تحدث فيها عن النص وعدد سطوره وذلك من خلال :

Gardiner, A., H., The Eloquent Peasant, JEA, Vol. 9, London, 1923 P. 5 ff.

وفى الفصل الخامس تطور فكرة الضمير فى عصر الدولة الوسطى فقد قمت ببلورة نتائج عصر الانتقال وما صحبها من ظروف غير مستقرة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا دعت إلى تأكيد قيمة العدالة الاجتماعية للجميع حيث أشارت النصوص إلى أهمية عودة «ماعت» القديمة فى شكل نظام واضح يوجه مختلف جوانب الحياة للانسان المصرى القديم فى كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والسلوكية التربوية وقد رجعت إلى الوثائق الخاصة بتلك الفترة بغرض تصنيف وتحليل مضمون المادة التاريخية فى تلك الوثائق حسب الجوانب السالفة الذكر حتى يمكن للدارس التحقيق الدقيق لتلك المثل العليا فى المجتمع المصرى القديم على المستوى الفردى والجماعى الشخصى والرسمى لتلك الفترة .

ومن أهم النصوص التى استعان بها الباحث فى هذا الفصل :

نبؤة «نفررهو» (نفرتى) The Prophecy of "Neferti"

الموجودة فى بردية لننتجراد "St. Petersburg" No, 1116 B

والتى نشرت بمعرفة العالم الاثرى جولنيشف Golenischeff, W.,
كما ترجمت ونشرت بمعرفة جاردنر

Gardiner, A., H., JEA, Vol. 1 (1914)

واستعان الدارس بترجمة ودراسة «ولسون Wilson, J.,» فى :

Ancient Near Eastern Texts Relating to the old testement, edited by, J.B. Pritchard Princetion, PP. 444 - 446.

وكذلك نص تعليمات للملك «أمنمحات الأول»

"The instruction of King Amenemhet" P. 418 ff.

وكـــذا :

Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt, PP. 228 - 232.

كما أشار الدارس إلى دور الفن فى التعبير عن المشاعر البشرية التى تمثلت فى ملوك عصر الدولة الوسطى وكمثال على ذلك تلك التماثيل المعروفة باسم تماثيل «تانيس» وهى محاولة تمثيل الملك جامعا بين الصفات البشرية بما فيها من مشاعر انسانية والحيوانية بما تعبر عنه من بطش وقوة ، وفى هذا استعان الدارس بما كتبه «وولف»

Wolf, W., Die Kunst Agyptens, Stuttgart, 1957, P. 329 - 333.

كما تعرضت أيضا لبعض نماذج تعبر عن التمسك بموضوعات الحق والعدالة والمساواة التى لم تقتصر على الملوك فقط بل شملت إلى جانبهم الوزراء والأفراد من خلال نص «امينى»

Inscription of Amenemhet (Ameni)

فاعتمدت على :

Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt vol. 1, P. 250 - 252.

وكـــذا

Breasted, J., H., The Dawn of conscience.

وكان للكهنة نصيب فى تلك الناحية الفكرية نتيجة احساسهم بما ينتاب المجتمع من مثل عليا فعبروا عن ذلك بهدف اضفاء فضل الالهة فى وجود هذه القيم على أمل أن يعود ذلك بالنفع عليهم وعلى طبقتهم ، وفى هذا الصدد تعرض الباحث إلى نص المساواة الذى درسه وترجمه ولسون :

Wilson, J., "All Men created Equal in opportunity" Ancient Near Eastern Texts Relating to the old Testment, PP. 7, 8.

أما بالنسبة لأسماء المقاطعات والمدن المصرية القديمة التى وردت بالبحث فقد اعتمد الباحث على مرجع هام فى هذه الناحية وهو :

Gardiner, A.H., :

"Ancient Egyptian Onomastica",

Oxford, 1947, Vol. 2, P. 2 ff.

أما بالنسبة للتواريخ التى أوردها الدارس فى سياق بحثه ، فقد اعتمد على كتاب «هيز Hayes» .

Hayes, W.C., The Scepter of Egypt Part 2, N.Y. 1958.



الفصل الأول :

مفهوم المثل العليا للضمير الخلقى عند الانسان المصرى القديم وتطورة خلال النصف الأول من عصر الدولة القديمة .

[٢٧٨٠ ـ ٢٥٦٠ ق.م]



إذا حاول الباحث دراسة تطور مفهوم المثل العليا للضمير الخلقى فى عصر الدولتين القديمة والوسطى فان هذا يعنى تتبع أصول السلوك التعاملى لدى الانسان المصرى القديم فى مجتمعه والواقع أن ميزان هذا السلوك يعتمد على أسس دينية واجتماعية وبالتالى فان القيم الصادرة عن هذا السلوك تستمد طابع التقديس وتكون بمثابة قواعد تلزم الفرد وتجذبه للتمسك بها لأنها تصور له المثل الأعلى والخير والصواب الذى يتوق إلى تحقيقه . ومن هنا اتجه الانسان المصرى القديم أساسا إلى اعتبار الملك بمثابة المثل الأعلى الذى يرتبط به فى الدنيا والآخرة ، أى أن حياته ومصيره تلتزم به التزاما كاملا . ولذلك فان الضمير الخلقى للانسان المصرى القديم يتصل بطريق مباشر أو غير مباشر بما يستوحيه من مقومات دينية وسياسية متجسدة فى شخصية الملك أثناء حياته فى الدنيا وفى العالم الآخر .

ولما كانت الأمور على هذا النحو فقد وجب على الباحث أن يتعرف على الأسس الدينية والاجتماعية لهذا الضمير الخلقى عند الانسان المصرى القديم وذلك لأنها الدعامة الأساسية التى تقوم عليها دراسته من أجل الوصول إلى الهدف المرجو .

وفيما يتعلق بالأسس الدينية فقد لاحظت أن تلك الأسس التى قام عليها مفهوم المثل العليا للضمير الخلقى عند الانسان المصرى القديم تعتمد على مجموعة تصوراته ومعتقداته المستمدة من حياته التجريبية فى العالم الدنيوى ، ويمكن القول بأنها قد ارتبطت ارتباطا كبيرا بنظام الملكية الالهية بحكم كون المجتمع المصرى يتسم بالتكامل بين كافة طبقاته على أساس أن الملك هو قمة المجتمع المصرى القديم ، هذا بالاضافة إلى المثل العليا المتصلة بمستقبله ومصيره بعد الموت أى المتعلقه بعقيدة الخلود وما صحبها من قيم ومبادىء حرص عليها الانسان المصرى القديم .

ومن هنا ينبغى أن يبدأ الباحث فى إلقاء الضوء عن نشأة نظام الملكية الالهية وأثره فى ربط المجتمع المصرى بالفكر الدينى وما صحبه من مختلف القيم والتقاليد الدينية .

وعلى الرغم من عدم توفر الأدلة الموضحة للأصول المبكرة لعقيدة الملكية الالهية فى مصر القديمة واختلاف آراء العلماء عن نشأتها ومدى تأثرها بالأصول الافريقية فانه يمكن القول بأن هذا النظام قد نشأ وتطور بصورة تدريجية منذ تحقق التعاون بين أفراد القرية المصرية الأولى وأصبحت الحاجة ماسة إلى وجود ملك يحقق مطالب المجتمع وينقذه من كافة المحن الاقتصادية ويحقق له الانتصارات الحربية وغيرها من المظاهر الأساسية لتوفير الاستقرار والخير والأمان .

ونظرا لأن الانسان المصرى القديم كان يعتقد أن الكون لا يتجزأ فلقد نما الاعتقاد لديه بوجود ارتباط بين مليكهم وبين القوى الالهية الموجودة فى عالمه وأنه أحق انسان فى المجتمع المصرى القديم يستطيع القيام بدور الوساطة لديها[1] .

وتصعب التفرقة بين الدين المصرى القديم وبين فكرة الانسان المصرى القديم عن الملك الاله وهو ما عكسته الأساطير على أن مصر حكمتها الالهة منذ العصور الموغلة فى القدم حيث لم تكن مصر مجرد نتاج من صنع الانسان فحسب مثل غيرها من التنظيمات السياسية التى تنظم المجتمعات فى البلاد الأخرى ولكن الالهة قد خلقتها ومنحتها الحياة عندما خلق العالم لأول مرة وقد استمرت باعتبارها جزءاً من نظام عالمى حيث اتخذ شخص فريد فى شخص

(١) رشيد الناضورى : التطور التاريخى للفكر الدينى ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

الملك مسئولية الناس[١] ، ونما اعتقاد لدى الجميع بأن الدم الملكى يختلف اختلافا جذريا عن الناس العاديين وأن الحق الملكى فى الحكم قائم على طبيعته الالهية المميزة عن البشر والتى كانت تنتقل مع الدم الملكى من ملك إلى آخر[٢] .

وكانت الصفة الالهية للملك المصرى القديم واضحة فى كافة النصوص فى الأساطير نجد أن آلهة (تاسوع اون) حكموا الواحد تلو الآخر على الأرض فى مصر القديمة وكانت بعض القوائم الملكية مثل «بردية تورين» تبدأ بهم[٣] ، وكذلك المؤرخ المصرى القديم «مانيتو» الذى ذكر أنه قد جاء قبل « منى (مينا) » أسرتان على الأقل حكموا مصر ، الأولى من الآلهة والأسرة الثانية أنصاف آلهة بل أنه يحدد لهم مددا للحكم[٤] ، وقد ترك أوزير حقه الالهى فى الحكم لابنه «حور»[٥] .

وتبعا للنصوص فانه يبدو أن مدينة «امبوس» (نوبت بالقرب من نقادة) كانت ذات نفوذ قوى فى الصعيد واله هذه المنطقة هو الاله «ست»[٦] ، وكما تدلنا الآثار فان الاله «ست» قد نشأ بينه وبين الجزء

---

(١) Frankfort, H., Ancient Egyptian Religion New York, 1961, P. 30.

وكـذا :

Wilkenson, G., Manners and Customs of the Ancient Egyptians, London, 1878, P. 11.

(٢) Frankfort, H., Kingship and the Gods, Chicago, 1948, P. 36.

(٣) Vercoutter, J., The Near East, London, 196.

(٤) Baikie, J., A History of Egypt, London, 1929, PP. 54 - 55.

(٥) Drioton, E., Vandier, J., L'Egypte, Paris, 1938, P. 89.

(٦) الاله «ست» : اله وطنى شاعت عبادته فى مصر القديمة ويرتبط بمصر العليا والصحراء عامة كان الها محليا فى الأقليم الحادى عشر من مصر العليا (شاسحتب) وأهم مراكز عبادته مدينة «نوبت» (بالقرب من نقادة ومكانها الحالى =

الشمالى فى الدلتا ـ حيث كان الاله «حور» معبودا مقدسا فى بحديت الدلتا Bhdt ـ صراعا كانت نتيجته لصالح الشمال الذى كون أول حكومة له فى «أون» Iwnw ولكن يبدو أن هذا الانتصار لم يستمر طويلا[١] .

وهذا يعنى أن «حور» كان فى الأصل اله وطنى لمصر السفلى وعندما انفصلت مصر إلى مملكتين فقد عبد كل من الجزئين «حور» على أنه الاله الرئيسى[٢] .

وهكذا فان مصر قبل عصر الأسرة الأولى كانت تتكون من مملكتين هما «مملكة الشمال» و «مملكة الجنوب» ولكل منهما عاصمتان أحدهما تمثل المركز الدينى فى المملكة والأخرى تمثل المركز السياسى ، ففى «نخب» و «نخن» ، أما عاصمتا مملكة الشمال فهما «دب» و «بى» (بوتو) ، فى الجزء الغربى من الدلتا[٣] ، ووجد ملوك الشمال والجنوب أنفسهم أتباع الاله «حور»[٤] ، الذى

= قرية البلاص على الجانب الغربى للنيل) لعبت دورا هاما فى توحيد الجنوب وكان يمثل أحيانا فى صورة رجل له رأس حيوان ، واختلفت آراء العلماء فى حيوان «ست» فبينما يرى «شارف» أنه حيــوان ذى أربع انقرض حاليا فان «زيته» يراه كلبا أو حمارا ، أنظـــر :

Vandier, J., La Religion Egyptienne, Paris, 1949, P. 63.

وكــذا :

نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ، الجزء الرابع ، الاسكندرية ١٩٥٩ ، ص ١١٧.

(١) Vercoutter, J., OP. Cit., PP. 248 - 249.

(٢) Cerny, J., Ancient Egyptian Religion, London, 1952, PP. 32 - 33.

(٣) عبدالمنعم أبوبكر : تاريخ الحضارة المصرية ، المجلد الأول ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ١١٠.

(٤) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 250.

كان يقدس فى كلا الجزئين ، واستمر الصراع بين مملكة الشمال والجنوب ، ومن الآثار التى عثر عليها فى «نخن» (هيراقنوبوليس) نستدل فيها على نجاح مملكة الصعيد فى جهادها من أجل توحيد البلاد حيث تمكن أحد ملوكهم ويدعى «العقرب» من تحقيق نصر على مملكة «بوتو» فى الشمال وأكمل «نعرمر» هذه المهمة وارتدى التاج المزدوج للشمال والجنوب(١) ، لينهى عصر ما قبيل الأسرات محققا حلم أبائه وأجداده الذين عرفوا معنى الاتحاد وانه الطريق المؤدى إلى القوة والمجد وإلى تحقيق حضارة راسخة .

ويعتبر انجاز «منى» (نعرمر)(٢) رغم جهود من سبقه من رؤساء عصر ما قبل التاريخ أمثال الملك الملقب «بالعقرب» انجازا فريدا،حقيقة أنه بصفته ملكا لمصر الموحدة اعتبر نفسه هو الاله «حور» فى نفس الوقت الذى كان فيه حور معبودا محليا فى كثير من مناطق مصر السفلى والعليا(٣) ، وتجسد هذا الاله فى شخص «منى» على أساس انتمائه إلى «نخن» (هيراقنوبوليس) التى تعبد الاله «حور» فى الوقت الذى كان كل خير وانتصار لأى قبيلة مايؤكد قدرة معبودها

---

(١) Ibid., P. 252.

(٢) لازالت الآراء بين المؤرخين مختلفة حول موحد مصر القديمة وبالتالى حول أسماء ثلاثة «نعرمر» و«منى» و«عحا» ويتفق «مانيتو» و«بردية تورين» و«قائمة أبيدوس» أن اسمه كان «منى» ولكن من الأدلة الأثرية نرى أن «نعرمر» أول ملك يرتدى التاج المزدوج ويتفق «جرد سلوف» و«جاردنر» بأن «نعرمر» هو نفسه «منى» بينما يرى «فانديه» أن الأسماء الثلاثة لشخص واحد هو «نعرمر» وهو أيضا «عحا» بمعنى المقاتل وخاصة بعد انتصاره على الشمال وأنه كان من عادة الملوك أن يكون لهم أكثر من اسم ، أنظر :

Vercoutter, J., OP. Cit., 261 ff.

وكـذا :

Drioton, E., Vandier, J., L'Egypte, Paris, 1938, P. 138 ff.

(٣) Vandier, J., La Religion Egyptienne, Pairs, 1949, P. 21.

وهكذا جاء نجاح «منى» نجاحا لمعبوده «حور» وخاصة أن لطبيعة العقلية المصرية القديمة فى التفكير أثرها فى تقبل فكرة الملكية الالهية حيث كان المصرى القديم لا يحس بضرورة تحديد الأشياء تحديدا قاطعا وكان يرى فى الظواهر الطبيعية فى بيئته برغم اختلافها مادة واحدة فى عالم منظم ، لذلك كان من السهل على طبيعته المرنه هذه فى التفكير أن تنتقل براحة تامة من الجانب البشرى إلى الجانب الالهى وأن يقبل الفكرة التى تطورت بالتدريج أن مليكه من سلالة الالهة بل أنه اله يحكم مجتمعه(١) .

وهكذا فان انجاز «منى» من أجل الوحدة والاستقرار والبعد عن الفوضى وهى أمور ضرورية فانه قد حقق شيئا آخر فريدا لم يسبقه إليه أحد وهو اعتبار نفسه ملكا على مصر العليا والسفلى بمعنى أنه أعطى لحكمه شكل يتفق مع العقلية المصرية وهذا الشكل كان هو الملكية المزدوجة ملكية مصر العليا وملكية مصر السفلى متحدتين فى شخصه وهذا التصور كان يعبر بطريقة سياسية عن الميل المصرى الغريزى لفهم العالم بتعبيرات مزدوجة نابعة من الطبيعة المصرية مثل سماء وأرض ، الضفة الشرقية والضفة الغربية والضفة الغربية للنيل وهى كلها مسميات تنتمى للكون وليس للسياسة ، وعندما اتخذ «منى» أسماء مزدوجة وأطلق على نفسه سيد الأرضين وملك مصر العليا ومصر السفلى وانتصار مملكة مصر العليا المنظمة على مملكة مصر السفلى التى تماثلها فى التطور وهكذا نرى توافق كامل بين التصورات الكونية المحددة والتصورات السياسية الجديدة التى قام بانجازها «منى» وأعطت لما فعل سلطة دائمة لدولة متصورة ازدواجيا يبدو أنها بدت للمصريين كظهور لنظام الخليقة وليست نتاجا لقوة

(١) WILSON, J., The Burden of Egypt, Chicago, 1951, P. 42.

مؤقتة ، وهى أيضا هبة من الالهة لـ «منى» والشكل الوحيد المقبول لفكر الانسان المصرى القديم هو شكل الملكية الالهيا[1] .

واقد عبر الفن المصرى القديم عن ذلك الانجاز فى اللوحة المعروفة بلوحة «نعرمر» (لوحة رقم ١أ ، ١ب) فبينما تشير نماذج ما قبل الاسرات (مقبض سكين جبل العركى لوحات الصيد) عن صراع بين أشكال متساوية فان لوحة «نعرمر» قد أوضحت عن طريق التعبير الفنى كيف أن الملك وأفعاله هى الأجدى وهى الهامة وتتضائل بجانبها أفعال الناس وتصرفاتهم[2] ، وهناك دلالة فنية أخرى فى اللوحة عبر عنها الفنان المصرى القديم بأن المجتمع بعد كفاح طويل نجح فى ظل حكومة واحدة فى النهوض بالبلاد وبداية روح جديدة فى كافة المجالات .

والجانب الواضح للملكية المصرية القديمة هو ارتباطها المباشر بالسلوك والمثل العليا حيث ارتبطت الملكية الالهية بتعبير الـ «ماعت» بمعانيها المتعددة والتى استعملت عند الانسان المصرى القديم لأول مرة بمعنى الصواب[3] ، وكانت تمثل منذ العصور الأولى (الأسرة الثانية) كالهة سيدة تحمل شارة على شكل ريشة (شكل رقم ٢) .

وكان من الضرورى بوصفها صفة من صفات النظام والاستقرار أن يعاد تأكيدها عندما يتولى الحكم ملك جديد حيث يصور على جدران المعابد وهو يقدم «ماعت» كل يوم للآلهة الاخرين كدليل ملموس على قيامه بوظيفته الالهية نيابة عنهم[4] ، وتوفر معنى النظـام

---

(١) FRANKFORT, H., OP. Cit., PP. 19 - 20.

(٢) محمد أنور شكرى : الفن المصرى القديم ، القاهرة ، ١٩٦٥ ص ٣٢ .

وكـذا : Frankfort, H., OP. Cit., P. 7.

(٣) Breasted, J., H., The Dawn of Conscience, New York, 1947, P. 100.

(٤) Wilson, J., OP. Cit., P. 48.

الدائم وانتهاء الأزمة التى يمثلها موت وتعيين آخر جديد على العرش مكانه تسعد به الأرض لاحتفاظه بـ «ماعت» التى كانت بجانب كونها صفة منتظمة صالحة لكل وقت فانها أيضا تعنى العدل الجميع .

ولاشك أن فكرة الـ «ماعت» وما تعنيه من حق وصواب ودلالة على أفعال الانسان الخلقية الشخصية سواء على مستوى الأسرة أو المجتمع ، فلقد كان لها أثرها فى استقرار وتثبيت حكم ملوك أوائل الأسرات الذى كان حكمهم يعنى امتدادا لحكم الالهة التى حكمت بالحق والعدل وأصبحت بمثابة المنظم للظواهر الموجودة على سطح الأرض وهو ماتوضحه نصوص الأهرام :

«ان رع أتى من الهضبة الأولى (مكان الخليقة)
بعد أن وضع النظام «ماعت» مكان (الفوضى)»(١)

والملك الاله شأنه شأن الالهة فى ارتباطه بـ «ماعت» من حيث تمسكه بالحق والعدل والنظام كبرهان واضح على أنه ينوب عنهم فى تحقيق هذه المعانى الطيبة للحكم الصالح .

وهكذا فقد مر تصور الانسان المصرى القديم لمثله العليا بعدة مراحل ، المرحلة الأولى عندما تصور أن الملك الاله هو بمثابة المثل الأعلى له فى كافة شئونه الدنيوية والاخروية فقد آمن ايمانا تاما بنظام الملكية الالهية ولذلك أقبل على هذا النظام اقبالا يتسم بالولاء الكامل والتضحية التامة من أجل تحقيق كافة ما يتصل من قريب أو بعيد بهذا النظام المقدس بالنسبة له ، فقد تصور أن خيره الدنيوى وخيره فى العالم الآخر يرتبط ارتباطا وثيقا بهذا النظام على أساس أن الملك سوف يحقق له ولمجتمعه الانسانى كافة متطلبات الخير

---

(١) Frankfort, H., Ancient Egyptian Religion, PP. 54 - 55.

والرفاهية والسعادة والسلام باعتبار أنه يحكم بصفته الالهية وعن طريق اتصاله بالقوى الالهية الصانعة لكافة متطلبات الاستقرار والأمان والانتاج الاقتصادى ، (فعلى سبيل المثال الاله الشمسى يوفر الضياء والحرارة اللازمة للحياة الانسانية والنباتية وآلهة السماء توفر المياه العذبة واله الأرض يعد التربة الصالحة للانبات الجيد .. وهكذا)، والملك الاله بصفته الالهية قادر على التعامل مع غيره من آلهة الطبيعة بما يحقق الخير لمجتمعه ، ولذلك فلقد آمن المصرى القديم بهذا النظام وتفانى فى سبيل ارضائه ، ولذا فلقد اعتبر الانسان المصرى الملك حتى نهاية الأسرة الرابعة تقريبا النمط النموذجى الذى يقتدى به ويطيعه طاعة كاملة من أجل تحقيق الخير له ولمجتمعه .

وقد استلزمت فكرة ألوهية الملك أن يظهر اسمه مقترنا ببعض الألقاب التى توضح حمله للصفة الالهية وحقه الالهى فى حكم مصر العليا والسفلى وتذكره لشعبه دائما بأنه وريث الالهة والصورة الحية للاله «حور» على الأرض ، وبلغ عدد هذه الألقاب عند نهاية الدولة القديمة خمسة ألقاب رئيسية :

أولها أنه الاله «حور» وهو اسم يؤكد صلة الفرعون[١] ، بالمعبود «حور» ويجعله وريثا له يحكم باسمه ويتجسد فيه شخصيا وأصبح

---

(١) لفظ «فرعون» لم يكن فى البداية أكثر من لقب اصطلاحى كتب فى صورته المصرية القديمة «برعو» بمعنى البيت العظيم والكلمة الأصلية استخدمت فى الدولة القديمة كجزء من جمل عدة مثل رفيق الملك أو ساكنى البيت العظيم ثم أطلقت على القصر نفسه والبلاط وليس على شخص الملك وابتداء من الأسرة الثانية عشرة استخدمت للتعبير عن القصر نفسه ، ثم تطورت فى الدولة الحديثة (الأسرة ١٨) لتطلق على القصر وساكنه (الملك) ، أنظر :

Gardiner, A.H., Egyptian Grammar, Oxford 1927, P. 75.

حورس قبل كل شيء المثل الأعلى للملك وإذا أرادوا أن يفرقوا بين الملك الاله وبين المعبود «حور» لقب الأول «بحور الذى يسكن القصر»(١) .

واللقب الثانى يرجع إلى عصور ما قبل التاريخ قبل توحيد مصر فى عصر الأسرة الأولى حيث أعلن الملك أنه «الربتين» لأنه اتحدت فيه شخصيا كل من الالهة الحامية للوجه القبلى «نخبت» التى كانوا يرمزون إليها «بأنثى العقاب» و «واجيت» حامية الوجه البحرى التى كانوا يرمزون إليها «بحيه»(٢) هذا اللقب يؤكد صلة الملك بالالهة الحامية له ويضعه على قدم المساواة معها بالاضافة إلى تمثيله كل من الجنوب والشمال تحت حمايته .

واللقب الثالث هو لقب «حور الذهبى» كتعبير عن القوة والمجد والرفاهية والتى يسبغها الملك الاله على شعبه وكما يرى (ولسون Wilson) فان الأدلة لازالت غامضة عن سبب استخدام هذا اللقب(٣) .

واللقب الرابع «نيسوت بيتى» (فى عهد الملك ودى مو ــ الأسرة الأولى) ويعنى المنتسب إلى نبات سوت (البوص) والنحلة وهو أيضا يؤكد صلة الفرعون بالشعارين المقدسين قديما لكل من مملكة الصعيد ومملكة الوجه البحرى(٤) .

---

(١) أ. ارمان : ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبدالمنعم أبوبكر ، مراجعة محمد أنور شكرى ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٦١ ــ ٦٢ .

(٢) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 249.

(٣) Wilson, J., OP. Cit., P. 102.

(٤) أ. ارمان ا هـ . رانكه : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ترجمة عبدالمنعم أبوبكر ، مراجعة محرم كمال ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٤٣ ــ ٤٤ .
وكذا نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية ، جـ ٤ ، الاسكندرية ، ١٩٥٩ ، ص ٨٤.

وآخر الألقاب الخمسة اضافة ملوك الأسرة الرابعة على ألقابهم وهو يرمز أيضا لشخصيتهم المؤلهة باعتبار أنهم أبناء الاله «رع» (سارع) ومن ثم بقى هذا اللقب ضمن الألقاب الملكية وتمسك به ملوك الأسرة الخامسة بصفتهم ورثة «رع» على الأرض .

ومن الأهمية الاشارة إلى أن ألقاب الملوك كانت تحتوى أحيانا على بعض الصفات المعبرة عن تمسك صاحبها بالقيم الفاضلة وكمثال تلقب الملك «سنفرو» الأسرة الرابعة بلقب «نب ماعت» بمعنى رب العدالة وهو ذو مغزى خلقى يدل على تمسكه بالعدل والحق لمجتمعه[١] .

وارتبط ملوك مصر القديمة بثلاث صفات هامة تتصل بالملكية الالهية اتصالا وثيقا[٢] ، وهذه الصفات يجب أن يتحلى بها كل من يحكم مصر وهى :

السلطة[٣]

الادراك[٤]

بالاضافة إلى صفة خلقية هامة وهى : العدل[٥]

وهناك مظهرا آخر حرص عليه الملوك وهو تأكيد ارتباطهم بالالهة وذلك باقامتهم الأعياد الملكية وأهمها حفلات التتويج ذات الطابع الدينى حيث يصور الملك مستمدا سلطاته من الالهة مباشرة .

---

(١) عبدالعزيز صالح : الشرق الأدنى القديم جـ ١ ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٥ .

(٢) Wilson, J., OP. Cit., P. 103.

(٣) Gardiner, A., Egyptian Grammar, P. 550.

(٤) Ibid., P. 555.

(٥) Ibid., P. 542.

ومن النقوش التى وجدت على جدران المعابد المختلفة نستدل منها أن الملك كان يؤخذ بواسطة الالهين حور وست ـ عن طريق كاهنين يرتديان أقنعة بشكل الالهه حور وست ـ ليغسلوه ويطهروه ويقدماه للالهة الأخرى[١] ، وتتوالى الطقوس حيث يتقدم الملك لابسا فى المرة الأولى التاج الأبيض للوجه القبلى ويجلس على عرش مصر العليا وفى المرة الثانية يضع التاج الأحمر كملك لمصر السفلى ويمثل الملك خلال ذلك مرتديا عباءة كبيرة تصل حتى الركبة أو القدم ممسكا بيده عصا معقوفة وفى اليد الأخرى ما نسميه عادة بالسوط أو «المذبة»[٢] .

(وكما يرى جاردنر أن تمثيل الملك بهذه الكيفية ربما يعود إلى عصور قديمة يرجع إلى الاله أوزير الذى حكم مصر من قبل) .

ثم يقوم الملك بالدوران حول الحائط وهى فكرة كانت مأخوذة من أول ملوك مصر وقد يرمز هذا الطواف التقليدى حول الحائط اعادة ذكرى حائط قديم كان ملوك الوجه القبلى قد أقاموه لصد غارات الشماليين[٣] وربما يرمز لذكرى توحيد البلاد وبداية عهد جديد تنعم فيه مصر بالاستقرار[٤] .

وكان هذا الاحتفال يقام عند تولى ملك جديد أو انقضاء ثلاثين عاما على حكم الملك وقد يكون هذا مرجعه إلى عصور سابقة للعصر

---

(١) أ. ارمان ، هـ. رانكة : مصر والحياة المصرية ، ترجمة ومراجعة عبدالمنعم أبوبكر ومحرم كمال ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) Vandier, J., OP. Cit., P. 181.

(٣) Ibid., P. 181.

(٤) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ ١ الطبعة الثالثة ، الاسكندرية ١٩٦٠ ، ص ١١١ .

التاريخى كانت الملكية فيه لا تمنح إلا لمدة ثلاثين عاما ينحى بعدها الملك أو يقتل ثم جاءت فكرة اقامة تلك الشعائر فى محاولة لارضاء الالهة حيث يجدد الملك تأكيد عودة الشباب والقوة إليه من جديد .

ومن الآثار التى عثر عليها فى نخن (هيراقونبليس) حيث عثر على رأس دبوس يمثل الملك «نعرمر» يحتفل بانقضاء ثلاثين عاما على حكمه(١) .

ولاتزال الأدلة الأثرية والنصية تعوزنا فى محاولة تعرف جذور وأسباب هذه الاحتفال وهل المقصود به تجديد عمر الملك أثناء حياته على الأرض أو فى العالم الآخر حيث احتفل به كل من :

(عدج ـ ايب Adjie - ib) و (سمرخت Semerkhet) من ملوك الأسرة الأولى الذين لم تتجاوز مدة حكمهم معا ستون عاما حيث حكم الأول نحو ٢٦ عاما والأخير حكم نحو ١٨ عاما(٢) . ويتبع تتويج الملك موكب ملكى يؤكد فيه الملك ارتباطه بالالهة حيث يخرج من القصر فى موكب متجها إلى حيث معبد الاله «مين»(٣) ويفهم من مناظر الاحتفال المنقوشة على الجدران أن الملك فى احتفالات التتويج يبدأ حكمه فى هذا البلد الزراعى بتقديم القرابين لاله النمو والخصب(٤) .

---

(١) Baikie, J., OP. Cit., P. 63.

(٢) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 265.

(٣) الاله مين : فى «قفط» المقاطعة الخامسة من مقاطعات مصر العليا وهو اله للنمو والاخصاب وكان يمثل على شكل رجل واقف وعضو التذكير منتصب وعلى رأسه ترتفع ريشتان عاليتان رافعا ذراعه الأيمن ممسكا بسوط (مثلث الفروع) ويعتبر عيده واحدا من أقدم الأعياد المصرية القديمة . أنظر :

Vandier, J., OP. Cit., PP. 183 - 184.

وكـذا : أ. ارمان ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبدالمنعم أبوبكر ، ومراجعة محمد أنور شكرى ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٤) أ. ارمان ، هـ. رانكة : نفس المرجع ، ص ٥٥ .

وكان من الأهمية بمكان أن يقوم الملك بواجبه خير قيام فى المجالات الدينية والسياسية والاجتماعية .

ففى المجال الدينى إذا صح استنتاجنا بأنه كان من واجب كل رئيس أو حاكم مقاطعة قبل الوحدة القيام بالوظائف الدينية كل فى معبد اله مدينته بصفته الرئيس الدينى فقد انتقل هذا الواجب إلى الملكية بعد أن تم توحيد البلاد حيث اعتبر الملك كاهنا لجميع الالهة وصور الملك وهو يقدم القرابين للالهة فى المعابد[١] .

ومن «حجر بالرمو» نستدل أن المعابدة قد أقيمت أو أعيد بناؤها بمعرفة ملوك الأسرة الأولى والثانية[٢] ، وقد استمر هذا التقليد طوال عصور التاريخ القديم[٣] .

ومن الغريب أن الملك يوصف مؤديا بنفسه طقوس العبادة للالهة فى كل المعابد بالمناطق المختلفة ولما كان هذا مستحيلا من الناحية العملية لاتساع رقعة البلاد فانه فى الواقع كان يكتفى بأداء واجبه نحو اله العاصمة أو الاله المحلى فى المكان الموجود به بينما كان يفوض الكهنة للقيام باعبائه الدينية فى الأماكن المختلفة واحتفظ هو بهذا الدور من الناحية الاسمية حيث كان الكهنة يؤدون باسمه الطقوس الدينية فى كل مكان[٤] .

---

(١) أ. ارمان ، هـ. رانكة : نفس المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٢) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 72.

(٣) Breasted, J., H., A History of Egypt, P. 46.

(٤) Breasted, J., H., OP. Cit., PP. 62 - 63.

وكـــذا :

سيرج سونيرون : كهان مصر القديمة ، زينب الكردى ، مراجعة د. أحمد بدوى ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٣٨ ــ ٣٩ .

أما من الناحية الاجتماعية فالملك الاله بصفته الراعى الأول للمجتمع فان من أهم واجباته توفير الأمن والاستقرار والخير والطمأنينة لهذا المجتمع ويتأتى ذلك بالاهتمام بمشروعات الرى وتوفير المياه اللازمة حتى يضمن محصولا وفيرا لرعيته ، وقد اهتم الملوك فى سجلاتهم التاريخية «كحجر بالرمو» بتسجيل قياس ارتفاعات النهر وانخفاضاته حيث ينسب الفضل فى ورود المياه ومجىء الفيضان إلى الملك وصفاته الالهية(١) ، حتى فى الحالات التى كان يتأخر فيها الفيضان أو تقف المظاهر الطبيعية موقف معاكس لرغبات المجتمع فانهم ينسبون ذلك إلى قوة عدوانية من ناحية بعض الالهة وعلى الملك أن يسترضيها حتى يعود الخير والاستقرار إلى مجتمعهم .

وكمثال على ذلك يسوقه الدارس حيث وجد نقش يرجع إلى عهد البطالمة على صخور جزيرة «سهيل» عند الشلال الأول ذلك انه حدث فى عهد الملك «زوسر» مجاعة كبيرة فأرسل إلى مساعدة الحكيم «ايمحتب Imhotep»(٢) يستشيره فيما يجب عليه أن يفعله وأى اله يجب أن يتوجه إليه لمساعدته فأخبره أن حالة النيل وما يجىء به من خير يتم بمعرفة الاله «خنوم»(٣) ، لذلك فقد أتى الملك لمقابلة «خنوم» اله «الفنتين» الذى شرح للملك أنه

---

(١) هـ. فرانكفورت ، وآخرين : ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم مراجعة محمد الأمين ، بغداد ، ١٩٦٠ ، ص ٩٨ .

(٢) Driton, E., Vandier, V., L'Egypte, Paris, 1938, P. 169.

(٣) الاله خنوم : الاله الذى يخلق ويكون ، نسب إليه خلق البشر والالهة والنيل ، وكان الها محليا للشلال الأول أصل منابع النيل فى عقيدة الانسان المصرى القديم تعددت صفاته وعبد فى أماكن مختلفة من مصر القديمة وكان يمثل على شكل انسان برأس كبش أو انسان بأربعة رؤوس كباش ، كما اقترن بكثير من الالهه أنظر :
نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، جـ ٤ ، الاسكندرية ١٩٥٩ ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .

قد أهمل فجاء بالمجاعة فاسترضاه الملك برقعة كبيرة من الأرض تبلغ طولها ما بين ٨٠ أو ٩٠ ميل تقع بأراضى النوبة من «سهيل إلى جزيرة تاكومبو» بالقرب من بلاد النوبة[١] .

كما تصور النقوش الملك مصحوبا برجال حاشيته يتفقد المبانى ويتابع أعمال الرى ويشرف على معظم الانشاءات الهامة بنفسه مثل انشاء القنوات وكذلك كل الأعمال الخاصة بالزراعة[٢] أيضا كان على الملك القيام بالرحلات وإرسال البعثات لاحضار ما يلزم البلاد سواء كان هذا من الانحاء القريبة أو البعيدة وعليه بصفته إلها أن يستخدم وساطته لدى الالهة لكى تحقق هذه البعثات النجاح .

هذا بالاضافة إلى واجب الملك السياسى كالتفتيش على الحدود وحمايتها من أى اخطار حيث حرص الملوك منذ عصر الأسرة الأولى على تسجيل انتصاراتهم وقضائهم على المتمردين[٣] وكان الملك يقود الجيش بصفته قائداً أعلى له وينسب إليه الفضل فى كل الانتصارات التى يحرزها جيشه وكانت العادة أن يقوم الملك بتعيين قادة الحملات التى لا يقوم بقيادتها شخصيا وكان هذا يعد شرفا كبيرا لمن يقع عليه الاختيار الملكى ، وفى هذه الحالة يضيف أمام لقبه المدنى شرف قيادته لهذه الحملات ناسبا انتصاره إلى الملك[٤] .

ولم تقتصر واجبات الملك نحو رعاياه على حياته الدنيا فقط بل تعدتها إلى الحياة فى العالم الآخر حيث اعتقد الانسان المصرى القديم أن الملك الاله سيحقق له السلام والأمن فى مختلف مراحل حياته فى

---

(١) Breasted, J., OP. Cit., P. 100.

(٢) Ibid., P. 39.

(٣) Ibid., P. 48.

(٤) Vercoutter, J., OP. Cit., 303.

العالم الآخر مثلما الحال فى عالمه الدنيوى وفى ظل منهوم أن خدمة الملك الاله تعد من أعظم الواجبات فان الشعب لم يدخر جهدا فى سبيل اعداد المسكن الأبدى للملك الاله ليضمن له الخلود الدائم ، ولم يكن ذلك المسكن قاصرا على المقبرة الملكية بل شمل إلى جانبه عدة عمائر تتصل بالطقوس الجنزية الخاصة بالملك ، ومن الصعب أن نتصور الغرض من بناء الأهرامات دون أن نتفهم ما كان سائدا فى تلك الفترة من إيمان بالبعث والخلود فى ظل ملكية الهية مطلقة[1] ، (حتى عند رحيل الملك من عالم الدنيا فانه ينتقل ليعيش فى عالم الالهة كواحد منهم له كل التقديس والاحترام مثلهم تماما) مما يستلزم معه اعطاء صورة موجزة عن عقيدة البعث والخلود وارتباط الانسان المصرى القديم فى الخلود بارادة الملك الاله الذى امتدت سلطته على رعاياه حتى فى العالم الآخر حيث يعيش الملك بين الالهة كواحد منهــم[2] .

وتتحدث نصوص الأهرام عن ذلك :

«مثلما أوزير يعيش ، يعيش الملك أوناس

وكما أن أوزير لا يموت ، الملك أوناس لا يموت ...»[3]

ولقد اعتقد الانسان المصرى القديم أن مثله العليا فى العالم الآخر هى استمرار لمثله العليا التى أعتقد بها فى حياته مع مراعاة أن عقيدة البعث والخلود قد أدت إلى ظهور قيم الثواب والعقاب وضرورة التمسك بالعمل الصالح فى الحياة الدنيا حيث أن الانسان مطالب ببيان عمله عندما يبدأ رحلته من عالم الدنيا إلى العالم الآخر .

---

(١) أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٣ .

(٢) Breasted, J., OP. Cit., P. 74.

(٣) Vandier, J., Op. Cit., P. 81 (Pyr. 167 ct seq.)

وإذا تتبع الدارس نشأة عقيدة البعث والخلود باعتبارها احدى المميزات الهامة فى الحضارة المصرية القديمة فان الأدلة لاتزال تعوزنا عن تاريخ نشأة هذه العقيدة ولكنها بلاشك تعود إلى العصور القديمة لما قبل التاريخ حيث وجدنا منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ أن الانسان المصرى القديم قد اعتقد فى وجود عالم أبدى بعد انتهاء حياته الدنيوية[١] ، ساعد على ذلك الايمان تأثير العوامل البيئية والطبيعية حيث لاحظ فى مجتمعه دورة المظاهر الكونية المحيطة به وانسجامها وتوافقها بانتظام وخاصة تلك الظاهرة الهامة فى حياة ذلك الانسان المعتمد على الزراعة ونقصد بها ظاهرة الشمس التى تبدأ كل صباح فى رحلة حياة من الشرق إلى الغرب ثم تحيا من جديد شأنها شأن معظم الظواهر الطبيعية الأخرى المحيطة به ويأتى النيل فى مقدمتها يحمل فى مظاهره دورة حياة وخصب وموت ينتهى ثم لا يلبث أن يبدأ من جديد يحمل الخير والأمان والاستقرار ، ومن هاتين الظاهرتين والظواهر الأخرى الموجودة فى عالمه سواء النباتات التى تنمو بعد أن جفت والأنهار التى عادت إليها الحياة بعد ركود أو الجزر التى اختفت ثم عادت مرة أخرى إلى الظهور ، ومن هذه الظواهر مجتمعة استمد الانسان اعتقاده فى انتصار الحياة الأبدية[٢] .

أيضا كان لارتباطه القوى بهذه الظواهر حيث أنه هو نفسه جزء منها كل منهم يكمل الآخر ويعتمد عليه وخاصة انطباق دورة الحياة والموت كانت سببا فى تنمية ذلك الاعتقاد فى البعث[٣] ، وساعد على

---

(١) Vercoutter, V., OP. Cit., 312.

(٢) هـ . فرانكفورت وآخرون : ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم ، ص ٤٩ .

(٣) رشيد الناضورى ، المرجع السابق ، ص ٣٤ ـ ٣٥ .

تأكيد الاعتقاد طبيعة أرض مصر التى تحفظ الأجساد بداخلها فترة كبيرة حيث اعتاد الانسان المصرى القديم منذ فجر تاريخه أن يدفن موتاه فى الحواف الصحراوية أو الغربية بعيدا عن أرض الزراعة والسكنى ، وبمرور الوقت ونتيجة لقيامه بدفن جثة جديدة بجوار أخرى قديمة فلابد أنه قد لاحظ وتكررت ملاحظته أن موتاه لازالت محتفظة بأجسادها فى حالة طيبة ولذا نما لديه الاعتقاد باستمرار حياته وخلوده بعد الموت شأنه شأن كافة الظواهر الأخرى الموجودة فى مجتمعه .

ولقد اعتقد الانسان المصرى القديم بكل تأكيد فى الخلود لجميع أفراد المجتمع منذ العصور المبكرة يدل على ذلك طريقة دفن الموتى والوضع الذى تظهر فيه جثث الموتى حيث تضم الركبتان إلى الصدر بينما اليدان موضوعتان أمام الوجه وتوجد الجثث راقدة على الجانب الأيسر فى الوجه القبلى «العمرى مثلا» والجانب الأيمن فى الوجه البحرى «مرمدة بنى سلامة» بالاضافة إلى بعض الأدوات التى كان يستخدمها فى حياته الدنيا ، ومن المؤكد أنه الوضع الأكثر راحة للنوم وخاصة إذا صح استنتاجنا أن المصرى آعتبر الموت نوعا من أنواع الراحة لهو دليل قاطع على اعتقاده فى البعث والخلود ففى «مرمدة بنى سلامة» كانت معظم القبور موضوعة حيث يواجه الميت الشمال أو الشمال الشرقى وعادة ارقاد الجثة بحيث تكون الرأس فى اتجاه الشمال ربما يكون مرجعها كما هو معروف من بعض النصوص الدينية القديمة أن أرواح الموتى كان يعتقد أنها تعيش بين النجوم الشمالية فى السماء(١) ، بينما فى «العمرى» فانهم يواجهون الجنوب وكان وضع القبور بحيث يكون المحور من الشمال إلى الجنوب

---

(١) Černy, J., OP. Cit., P. 16.

والشمال هو الاتجاه الذى يفيض فيه النيل وكانت الرأس ، توضع فى اتجاه الجنوب حتى تكون الجثة مواجهة للغرب(١) .

وفى العصر التاريخى أصبح نظام الدفن على نسق واحد فى جميع أنحاء مصر(٢) ، فالمكان الذى يذهب إليه الموتى يفترض أن يكون الغرب حيث تغيب الشمس فى الصحراء اللا نهائية وهو المكان الذى تعود أن يدفن فيه مرتاه بينما وضع الجثة فى اتجاه الشرق حيث تشرق الشمس منه كل صباح وبمراقبة وملاحظة ظهورها اليومى فان الانسان المصرى القديم انتظر تجدد حياته آملاً مشاركة الشمس فى حياتها المستمرة التى لا تنتهى(٣) .

وفى عصر ما قبل الاسرات كان المكان الذى يدفن فيه المرتى كل فى مكان وفاته وغير مرتبط بجبانة الحكام ولكن فى أواخر عصر ما قبل الاسرات وفى عصر الأسرة الأولى فأننا وجدنا مدافن رجالالبلاط وذوى النفوذ من رجال الحاشية قد أصبحت على مقربة من مقبرة الملك ، بل ان «بترى PETRIE» فى اكتشافه فى حفائره سنة ١٩٢٢ فى «أبيدوس» وجد أن ملوك الأسرة الأولى دفنوا معهم رجال حاشيتهم أحياء حتى يظلوا على مقربة من ملكهم الاله لمصاحبته وخدمته فى العالم الآخر(٤) ، غير أن عادة التضحية البشرية اختفت من مصر ولم تظهر بعد ذلك واستعيض عنها بتواجد تماثيل الخدم فى المقابر مع استمرار تقديم القرابين اللازمة .

---

(١) Ibid, P. 16.

(٢) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 311.

(٣) Cerny, J., OP. Cit., P. 16.

وكـذا :

Erman, A., Life in A ncient Egypt, Transletedby, Tirard, H., M., London 1948, P. 310.

(٤) Baikie, J., OP. Cit., P. 181.

وكـذا : Frankfort, H., Kingship and the Gods, P. 54.

وهكذا يعنى تواجد مقابر رجال الدولة حول مقبرة الملك أن فكرة ألوهية الملك قد أخذت طريقها ضمن قيم المجتمع المعتمد على طبيعته الالهية فى حياته الدنيوية وأيضا فى العالم الآخر وعلى كل انسان أن يعبر عن تبعيته للملك الاله مثلما كان الحال فى الحياة الدنيا وهو ما تؤكده الأدلة الأثرية من حيث تواجد مقابر أسرة الملك وحاشيته وأتباعه بالقرب من مقبرته حيث كان يعتقد أن باستطاعته أن ينعم عليهم بايصالهم إلى العالم الآخر وتوفير الحماية لهم مثلما الحال فى عالم الدنيا[١] ، ذلك أن قوة وسلطان الملك لم تنته بموته ووجود آخر يحل محله،فقد بقيت له كل سلطاته التى تمتع بها فى حياته الأولى[٢] ، والنصوص تشير إلى ذلك وتصف حياته فى العالم الآخر بانها امتداد منطقى لحياته الدنيا بل أن مصير الملك هو مصير الدولة حتى بعد مماته لما يتمتع به من صفات الهية كانت وراء هذا التفانى والاخلاص الذى بذله الانسان المصرى القديم فى تشييد اهرامات ومعابد ملوكه باعتبارها المسكن الأبدى لهم وفيها ينضمون إلى عالم الالهة فى العالم الآخر، بالاضافة إلى أن خلود الملك فى نظر الانسان المصرى القديم هو خلود له نفسه وضمان لاستمرار مجتمعه بنفس تركيبه المعتاد بما فيه من خير واستقرار[٣] .

وقد ذهب اهتمامهم الى ضرورة الاحتفاظ بعناصر الجسم الانسانى معتقدين انه ليس بالمستطاع للانسان ان يعيش فى العالم

---

(١) Ibid., P. 54.

(٢) Shorter, A., Everyday Life in Ancient Egypt, London, 1932, P. 187.

(٣) كرايمر : أساطير العالم القديم ، ترجمة أحمد عبدالحميد ، مراجعة عبدالمنعم أبوبكر ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٤٢ .

الآخر إلا باجتماع هذه العناصر التى يستوجب المحافظة عليه والاهتمام بها وهى تتكون من ثـلاث عناصر هامة على الاقل(١) وهـــى :

جسم مادى (خت)

وروح (با)(٢) .

والعنصر الثالث وهو «الكا» (٣) وهو أهمها جميعا .

---

(١) توجد عناصر أخرى بخلاف هذه العناصر أهمها :
قلب مدرك (اب) ، نورانية شفافة (آخ) ، اسم معنوى (رن) ، ظل ملازم (شوت) انظـر :
عبدالعزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق ، جـ ١، القاهرة ١٩٦٧ ص ٣١٤.
وكـــذا :
عبدالعزيز صالح : ماهية الانسان ومقوماته ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ١٦٠ .
زكى اسكندر : التحنيط فى مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٧٣ ص ٩ .

(٢) جرت العادة على تعريف الـ «با» بمعنى الروح وقد نسبه المصريين إلى الالهة وإلى الناس ورسموا لفظه بصورتين صورة طائر أسود يتدلى هدب تحت عنقه ، وصورة مبخرة صغيرة وأضافوا إليه فى بعض أحواله مخصص الربوبية للدلالة على طبيعته المقدسة ، وفى الدولة الحديثة صور على شكل طائر له رأس انسان ، عن مزيد من التفاصيل أنظر :
عبدالعزيز صالح : ماهية الانسان ومقوماته ، ص ١٨٥ .

(٣) كان من الطبيعى أن تختلف الآراء بشأن تحديد أو تعريف مثل هذه العناصر بسبب اختلاف معناها فى النصوص المصرية خلال عشرات القرون التى عاشتها الحضارة المصرية وبالنسبة للفظ «كا K3» فهو يعنى :
ان «كا» كل انسان تعبر من ناحية عن نفسه ونفسيته وذاتيته ومن ناحية أخرى تعبر عما فيه من طاقة أو فاعلية مادية ومعنوية وشفرية فإذا فارقت الـ «كا» صاحبها حين الوفاة فارقته كل صفاتها وإذا استعادها وقت البعث استرد بها طاقته وفاعليته . ويرمز لها بذراعان مع أيدى مفرودة والجميع موضوعون على شيء يحمل رمز الألوهية عن هذا الموضوع أنظر :

Abdel. Aziz Saleh, Notes on the Egyption "Ka" Cairo 1955.

عبدالعزيز صالح : ماهية الانسان ومقوماته ، ص ١٦٨ .

عن «كا» الملك و «كا» عامة الشعب ، أنظر :

Frankfort, H., Kingship and the Gods PP. 61 - 64.

وقد اختلفت الآراء فى تعريفه تعريفا محددا وهو يعيش داخل الانسان وينمو معه وهى رفيق وفى للانسان ويوفر وجودها للشخصية الحماية والحياة والبقاء والصحة(١) .

وكان من أهم الضمانات للبعث والخلود فى اعتقاد الانسان المصرى القديم لكى ينعم الانسان بالخلود أن يبقى هذا العنصر خالدا ونقصد به الـ «كا» الأمر الذى يتطلب منه ضرورة العناية بجسده عند موته حتى تتمكن الـ «كا» الخاصة به من أن تهتدى لجسده بسهولة وكان هذا هو السبب الذى دعاهم إلى تحنيط أجسامهم واقامة المقابر الخالدة التى وصفت بأنها دار الـ «كا» وزودت بتماثيل للمتوفى حتى يمكن للـ «كا» أن تتعرف على صاحبها بسهولة فى حالة اختفاء الأجسام برغم كل الحماية لها ، وبالاضافة إلى ذلك هناك واجب هام حرص عليه الانسان المصرى القديم ليضمن من بقاء الـ «كا» وخلودها وذلك باستمرار تقديم القرابين للمتوفى وكانت تتضمن أنواع من المأكولات والمشروبات توضع على مائدة القرابين الموجودة أمام الباب الوهمى* ، لذا لجأ إلى كل ما يمكنه من سبل حتى تستمر هذه القرابين من وقف الضياع وتخصيص الهبات من أجل الصرف منها على مقبرته حتى يضمن الخلود والسعادة تحت رعاية الملك الاله(٢) ، وحرصوا أن تكون مقابرهم أكثر التصاقا بمقبرته ـ كما هو الحال فى جبانة الجيزة ـ وفى هذا دلالة على قوة الدولة وملوكها خلال

---

(١) Erman, A., OP. Cit., P. 307.

(*) الباب الوهمى هو صورة نمطية للباب ويمثل فى الوقت نفسه المدخل إلى داخل القبر والباب الذى يخرج منه الميت لاستقبال ما يقدمه الأحياء من قرابين ، أنظر :
أ. ارمان : ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبدالمنعم أبوبكر ، مراجعة محمد أنور شكرى ، ص ٢٨٣ .

(٢) Erman, A., OP. Cit., PP. 307 - 308.

النصف الأول من عصر الدولة القديمة[١] ، وهى أيضا تعكس رغبة الرعية فى الحصول على النعم الالهية المعبرة عن رضاء الملك الاله عنهم وعن أفعالهم والتى تجىء فى شكل هبات جنزية ، فمن الأشخاص من منحه الملك مقبرة كاملة أو جزء من المقبرة كمنحه الباب الوهمى أو استجلاب التوابيت الحجرية وهى أشياء كانت من الصعوبة على الأفراد القيام باحضارها وبالاضافة إلى هذا فلقد كان كل ميت يطمع أن يمتد العطف الملكى عليه بمنحه جزءاً من القربان الجنازى وهو ما حرصت دعوات القرابين على التمسك به وترديده باعتزاز وفخر ولذلك رأينا الكثير من هذه الصيغ التى تبدأ بالجملة الآتية والتى تعبر فى معناها أن الملك مصدر كل الهبات : «هبة من الملك» أو «فليتفضل الملك ويعطى»
ثم تتبع ذلك قائمة بالأطعمة التى تنسب إلى الملك وإلى الاله «انوبيس» اله الموتى القديم[٢] .

وهنا يحسن الأخذ فى الاعتبار رأى كل من الأساتذة ارمان "Erman" فون بيسنج "Von Bissing" بوجود علاقة وارتباط بين كلمة «كا» بمعناها الروحى وكلمة «كا» بمعنى الطعام باعتبار أن كل منهم مواد ضرورية لطاقة الحياة وهذا الارتباط عبر عنه الانسان المصرى القديم فى بعض مناظره حيث صور الميت مادا ذراعيه فى اتجاه مائدة القرابين فيما يشبه رمز الـ «كا»[٣] .

---

(١) Shorter, A., OP. Cit., P. 186.

(٢) أ. ارمان : ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبدالمنعم أبوبكر ، مراجعة محمد أنورشكرى ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٧ .
وكـــذا :
Breasted, J., H., OP. Cit., P. 71.

(٣) Abdel Aziz Saleh, Notes on the Egyption "K", 1965, P. 6 ff.

وهنا لابد من الاشارة إلى مقدار ما تمتع به الملك من مركز عظيم بالنسبة إلى رعاياه يدل على ذلك حجم المقبرة الملكية وخاصة فى الأسرة الثالثة والرابعة بالنسبة إلى حجم مقابر الأمراء والموظفين بجانبه وهو ما نطلق عليه بجبانات الهرم الشرقية والغربية والجنوبية مع الأخذ فى الاعتبار أن الأسرة الرابعة عكس الأسرة الخامسة لم تكن تسمح للأفراد بأكثر من حجرة واحدة ولوحة حجرية تثبت فى الجدار الغربى لهذه الحجرة يمثل فيها صاحب المقبرة جالسا على كرسى وأمامه مائدة القرابين ، ومن الأشياء المعبرة عن سمو مكانة الملك الاله تلك النقوش التى وجدت داخل المقابر الملكية منذ أواخر الأسرة الخامسة مؤكدة على خلود الملك وانتقاله إلى السماء وتمتعه بحياة سعيدة شأنه فى ذلك شأن اله الشمس «رع» حيث اعتبرت نجوم السماء موتى وأرواح سعيدة للملوك الذين صعدوا إلى السماء وتبالغ النصوص أحيانا فى تصوير الملك باعتباره أعظم الالهة كلها[1].

وبالنسبة لنصوص باقى رجال الدولة فلقد كانت أكثر علاقة بالدنيا والرغبة فى ارضاء الملك الاله حيث صورت كأنها سيرة تحكى عن حياة أصحابها واخلاصهم فى أداء واجباتهم وما أنعم به الملك من وظائف وألقاب ومنح جنازية[2] .

وبينما يرى «ويلسون WILSON» أن الملوك المتوفين فى الدولة القديمة هم فقط الذين لهم «با» أما غيرهم من أفراد الشعب فلم يكن لهم «با» باعتبار أن خلودهم فى العالم الآخر يتوقف على حاجة الملك إليهم[3] ، غير أن «بيرن Piranne» يرى أن للجميع «با» .

---

(١) ارمان : ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبدالمنعم أبوبكر ، مراجعة محمد أنورشكرى ص ٢٣١ .

(٢) WILSON, J., OP. Cit., PP. 84 - 85.

(٣) Ibid., P. 85.

وبالنسبة للنصوص الخاصة بملكية الجميع لـ «با» فهى قليلة بالنسبة للدولة القديمة وهى تعتمد أساسا على نصوص الأهرام ويتضح من هذه النصوص أن لكل انسان بالاضافة إلى الجسد «با» و «كا» وأن كل انسان يستطيع أن يأمل فى الدخول إلى مجالس الالهة الخالدين ولكن لكل روح نفس المكانة حيث سيحتفظ الملوك بالمكانة التى كانت لهم على الأرض ويبقى النبلاء والخدم بصفتهم الأصلية متمتعين بالخلود ، والملك بصفته اله سوف يكون على رأس هذا المجتمع كما كان أثناء حياته حيث يصور الملك فى العالم الآخر أيضا يحكم الأرواح وخدمه من خلفه وأمرائه أمامه وأرواح (الرعية) تأتى إليه منحنية تقبل تراب قدميه وهى نفس صورة الحياة على الأرض(١).

وفى الكتابات العديدة للأسرة السادسة تتأكد فيها الصلة بين الملك والرعية فى العالم الآخر حيث نقرأ فى مقبرة حرخوف Hirkhouf* :

«... أن الملك يقدم قربانا حيث يتنزه حرخوف بسلام على طريق الغرب الذى يسير عليه المخلصون ليصعد إلى حيث الاله سيد السماء بصفته مخلص»(٢) .

ويتضح من النص أهمية رضاء الملك الاله على رعاياه حتى ينعموا بآخرة مباركة .

---

(١) Pirenne, J., La religion et la Morale dans L'Egypte antique, Suisse, 1965, P. 20.

(*) حرخوف : حاكم مقاطعة «الفانتين» ومن القابه أيضا حاكم الجنوب ولايزال قبره محفوظا على الضفة الغربية من أسوان أنظر : جزيرة أسوان

Breasted, J., H., OP. Cit., P. 138.

(٢) Pirenne, J., OP. Cit., P. 21.

وهناك بعض تلميحات من عصر الدولة القديمة حرتها نصوص الاهرام عما يسمى «بجنة الفراعنة السماوية» والتى اقتصرت على الملوك فى الدولة القديمة وهى صورة من حياة الملك الاله على الأرض نقلت إلى السماء بما فيها من حاشية وخدم ومتاع الحياة فى صحبة الاله«رع»وأحيانا يكون الملك هو«رع» نفسه الموجود فى السماء العليا.

وبالنسبة لباقى الأموات فان المكان الذى يعيش فيه هؤلاء أطلق عليه لفظة «دوات» بمعنى العالم السفلى[1] ، وسوف نجد أنه لأهتزاز الملكية الالهية المطلقة فيما بعد أن الملك شاركه فى المصير السماوى الأسرة المالكة ورجال الحاشية وعامة الشعب ولذا يكون لزاما إلقاء الضوء على المجتمع المصرى القديم لتوضيح المظاهر الدينية والاجتماعية فى عهد الدولة القديمة وما انتاب المجتمع من قيم وسلوك فى ظل تلك الظواهر تحت حكم الاله ، ولقد بلغت الدولة فى النصف الأول من تلك الفترة أى فى الأسرتين الثالثة والرابعة أقصى ما قدر لها من نفوذ حكومة متحدة على قمتها ملك مؤله ، هو نموذج كامل لصفة المركزية المطلقة[2] ، فالملك يركز كل السلطات فى يده والانسان المصرى القديم يعتبره مثله الأعلى فى كافة شئون الحياة بسبب نجاحه وقدرته على تحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع المصرى القديم .

ومن الممكن الاعتماد على النصوص لمعرفة كيفية الاشراف الادارى فى عهد الدولة القديمة حيث الحكومة ثابتة الأركان على رأسها الملك الاله كنقطة مركزية أساسية يرتكز عليها المجتمع فى كل نشاطاته ومجالاته وكان لتقدم الدولة وتزايد الأعباء على الملك خلال

---

(١) Pirenne, J., OP. Cit., P. 22.

(٢) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 300.

فترة التأسيس قبل بداية الدولة القديمة ضرورة استخدام مجموعة من الموظفين ينفذون أوامر الملك وتعليماته ويلاحظ أنه خلال الجزء الأول أن الملوك اعتادوا تعيين أولادهم أو أقاربهم فى ادارة البلاد وفى المراكز الحساسة كمنصب الوزير أو أمين الخزانة أو الكهنة فى المعابد الهامة وشغل أحفاد الملوك والأقارب البعيدين مناصب أقل أهمية وذلك بهدف بهدف ضمان الولاء للعرش(١) .

ومن المعتقد أنه لم يكن بين المصريين فى عهد الأسرة الثالثة وبداية الدولة القديمة من كان باستطاعته التصرف فى أى سلطة سياسية بحق الوراثة سوى الملك ، وكانت الوظائف التى يمنحها الملك لموظفيه هى مصدر السلطة الوحيد لهم بصفتهم نواب عنه ووجودهم مرتبط برضائه الالهى عنهم ويستطيع فى أى وقت أن يمنح هذه السلطة أو يمنعها(٢) ولابد أن نفترض أنهم أثناء تأديتهم لعملهم كانوا يعلمون أن كل من لا يعمل باخلاص من أجل الملك كان يسير نحو الهلاك لأنه يعمل ضد النظام الالهى الذى تأسس عليه المجتمع ولذا فان كل التصرفات الرسمية فى الدوائر الدنيوية والدينية تعتمد على قوة منحها الملك الاله(٣) .

ولقد ساعد الملك فى تأدية وظائفه مجموعة متعددة من الموظفين ـ ليس مجال البحث الافاضة عنهم ـ ذلك أن النصوص دائما تتحدث عن موظفين حققوا رغبات الملك وكافأهم نتيجة لذلك دون اعطاء بيانات واضحة عن طبيعة وظائفهم بالاضافة إلى تعدد الألقاب الممنوحة لهم .

---

(١) Frankfort, H., Ancient Egyptian Relegion, P. 33.

وكـذا : Breasted, J., H., OP. Cit., P. 119.

(٢) سليم حسن / مصر القديمة ، جـ ٢ ، القاهرة ، ١٩٤٤ ، ص ٨ .

وكـذا : Shorter, A., OP. Cit., P. 185.

(٣) Frankfort, H., OP. Cit., P. 56.

وإذا حاول الدارس استعراض النظم التى كان الحكم يسير عليها فلابد من الاعتماد على النصوص وكذلك مجموعة الألقاب بالجهاز الادارى والتى وجدت على جدران مقابرهم وتعطينا فكرة عن كيفية الحكم والادارة ووجهة النظر التى تميل إلى الاعتماد على الألقاب دون سواها وخاصة فى بداية الدولة القديمة التى قسمتهم إلى خمس مجموعات وهذه الألقاب هى كبار رجال البلاط أو ألقاب الشرف التى خلعت عليهم وهى ألقاب قديمة مثل الرفيق الأوحد ، كبير عشرة الجنوب المشرف على نخن .

وهناك ألقاب الخدمة الشخصية للملك مثل المشرف على التيجان الملكية ومرجلو الشعر ، وحملة الخف ، وغيرهم .

وهناك الألقاب الدينية ولابد أن نوضح أن الكهنة لا يكونون طبقة معينة وفى أحيان كثيرة اختلطت ألقابهم بالألقاب المدنية وفى الدولة القديمة كان الأمراء عادة يشغلون هذه المناصب[١] بالاضافة إلى لقب الوزير ومهامه ولقب حاكم المقاطعة[٢] .

كما قام العلامة «فرانكفورت Frankfort» بوضع الترتيب التنازلى الآتى فالملك على قمة المجتمع يليه الوزير فحكام المقاطعات فالسلطة المحليـة[٣] .

ويأتى الوزير على رأس الادارة المركزية وكان يعد أقوى رجل فى المملكة بعد الملك[٤] ، وكما يرى «دريتون Drioton» أن أول وزير له لقب مشهود به على الآثار هو «نفر ماعت» الذى كان يعيش فى أوائل

---

(١) Frankfort, H., Kingship and the Gods, P. 53.

(٢) نجيب ميخائيل : نفس المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(٣) Frankfort, H., Anoient Egyptian Rolegion. P. 34.

(٤) Breasted, J., H., OP. Cit., P. 82.

الأسرة الرابعة تحت حكم «سنفرو»[١] ، ويبدو أنه ابن حونى «أو أخ» غير شقيق للملك «سنفرو» ، ومن المحتمل أن «أيمحتب» فى عهد الملك «زوسر» قد قام باعباء كل هذه الوظيفة وأيضا الحكيم «كاجمينى»[٢] ، ومع ذلك فان اللقب يعود إلى الأسرة الرابعة وكانت هذه الوظيفة تسند فى أول الأمر إلى أحد أبناء الملك أو أخوته أو أقاربه مثلما الحال مع «خوفو» ، «وخفرع» ، اللذين احتفظا بالمناصب الهامة داخل العائلة الملكية[٣] .

وكانت للوزير واجبات عديدة تتضح فى ألقابه ومنها : خادم كل الأرض ، مستشار كل أمور الملك ، كبير خمسة دار جحرتى (منذ عصر الأسرة الرابعة) ، وغيرها من الألقاب التى تعبر عن سلطاته حيث كان يعتبر المركز الحيوى لادارة البلاد وكل ما يتعلق بالقصر والشئون المالية والأعمال الزراعية ومن الممكن أنه كان يمثل المركز الذى يمكن الاشراف منه على الأقاليم المختلفة[٤] .

ولقد عهد الملك إليه بهذه الأعمال نظرا للقدسية التي تمتع بها الملك والتى تجعل من الصعب عمليا على كل مصرى له الحق فى التماس ما أن يقف فى حضرته وكانت القرارات والأعمال الهامة تعرض على الوزير أولا ليقوم بعرضها على الملك للحصول على موافقته وكان على الوزير أن يقابل الملك كل صباح لينقل إليه أمور البلاد[٥] وبالتالى فان عليه ارسال الأوامر من الملك إلى الادارات

---

(١) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 300.

(٢) Breasted, J., H., OP. Cit., P. 83.

(٣) Ibid, P. 119.

(٤) Frankfort, H., OP. Cit., P. 53.

وكذا : Vercoutter, J., OP. Cit., PP. 300 - 301.

(٥) Frankfort, H., OP. Cit., P. 53.

المختلفة مثل بيت المال وهو من الادارات الهامة وفى عصر بداية الأسرات كان هناك بيتين للمال سمى الأول «بيت المال الأبيض» واختص بضرائب الوجه القبلى وسمى الآخر بيت المال الأحمر (بردشر واختص بضرائب الوجه البحرى[١] ، غير أنه فى عصر الدولة القديمة اتحد البيتان تحت اسم بيت المال الأبيض المزدوج[٢] بالاضافة إلى ادارات أخرى ومنها ادارة الأشغال (كات) ادارة الهيئات الملكية ومهمتها تقديم القرابين فى مواعيد معينة لمقابر الموظفين ورجال الدولة الذين يتمتعون بهذا الامتياز الملكى وكان لها أفرعها المتعددة[٣] ، وغيرها من الادارات الهامة التى كانت تخضع لاشراف الوزير حيث تعمل طوائف متعددة من الموظفين الكتبة ورؤسائهم وكانت وظيفة الكاتب «سش» من الوظائف المحبوبة فى كل وقت فى مصر القديمة وسمى المكان الذى يتعلم فيه هؤلاء بـ «بيت الحياة» «برعنخ» ولم يكن هناك شيء مستحيل لكى يصبح ابن اى فرد كاتبا طالما يتمتع بالكفاءة[٤] ، وتمتع الكتبة بالتقدير إزاء واجب العمل فى دولة الملك الاله بالاضافة إلى معرفتهم بقرارات الدولة ولذا جاءت ألقابهم معبرة عن ذلك وفيها لقب «حرى شس» بمعنى رئيس أسرار وهو ليس لقب محدد وإنما يضاف إليه العمل القائم به ، وقبل أن ننتقل إلى طائفة أخرى لابد من الاشارة إلى أن الهزات الاجتماعية التى أصابت الملكية كان لها شأنها فى نقل منصب الوزارة من أبناء الملك والأمراء

---

(١) عبدالعزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، جـ ١ ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٦٨ .

(٢) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 301.

(٣) عبدالمنعم أبوبكر وآخرين ، نفس المرجع السابق ، ص ١١٤ .

(٤) Vercoutter, H., OP. Cit., P. 302.

الكبار إلى أيدى بعض الأسرات الذين لا تربطهم علاقة القرابة مع الأسرة المالكة ولهذا أثره على كيان المجتمع وعلى رأس الدولة الملك الاله[١] .

والطائفة التالية هى حكام المقاطعات حيث كانت مصر مقسمة منذ العصور قبل التاريخية إلى مقاطعات وكان الملك يعين على كل مقاطعة أو اقليم حاكما من قبله ممثلا للحكومة المركزية لتنفيذ سياستها وحمل كل منهم لقب «عدج مر» .

وهو لقب يعنى القائم على حفر الترع وذلك لأهمية الزراعة والرى[٢] ، وحملوا بالاضافة إلى هذا اللقب لقبين أولهما «حقاحت» (بمعنى حاكم القلعة) و (سشتم تا) قائد الاقليم إلى جانب الأعمال الادارية وجباية الضرائب المستحقة فكانت له الهيمنة القانونية فهم رؤساء المحاكم وما يتصل بها من ادارات قضائية كل فى اقليمية ولذلك تلقبوا بلقب كهنة «ماعت» بالاضافة إلى توليه الناحية الدينية فى اقليمه وكان يساعده جهاز من الكتبة فى الادارات المختلفة على غرار ما وجد فى العاصمة فى الادارات الرئيسية وخضع حكّام الأقاليم وخاصة فى النصف الأول من الدولة القديمة شأنهم شأن غيرهم من معاونى الملك وحاشيته لرغبة الملك ورضائه من حيث ابقائهم أو نقلهم أو الاستغناء عنهم إذا لاح له أنهم لا يؤدون واجبهم فى إدارة شئون اقليمهم كما يجب[٣] ، والدليل على ذلك تركزهم عند موتهم حول مقبرة الملك الاله .

---

(١) Drioton, Vandier, L'Egypte, P., f 77.

(٢) عبدالعزيز صالح ، نفس المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

وكـذا : Vercoutter, H., OP. Cit., PP. 298 - 299.

(٣) Drioton, Vandier, OP. Cit., P. 181.

وكـذا : Breasted, J., H., OP. Cit., P. 79.

ولاشك أنه وجدت طائفة أخرى وهى فئة الصناع وهى طبقة يرجع تاريخها إلى عصور ما قبل التاريخ مارسوا الصناعات والفنون اليدوية وأتقنوها وأصبح لهم وجود فى المجتمع(١) .

ومن المعروف أن المصريين القدماء اعتبروا أن ملكهم هو صاحب الحق المطلق على أرض مصر وأيضا سكانها .

«... بأمر من اتون أعطيت إلى حورس (المقصود به ملك مصر) المدن والمقاطعات»(٢) .

وبالتالى فان له مطلق الحرية فى التصرف فيها سواء بامتلاكها أو منحها أو السماح للجزء الأكبر من الرعية وهم المزارعين بالعمل والانتاج ويستدل من الآثار أن هؤلاء الفلاحين عملوا تحت مباشرة موظفى القصر أو حكام الأقاليم أو تحت رعاية الأسرة المالكة وكانت الأرض تجزأ عليهم واعتبروا تابعين لها وكان الموظف أو العامل خلال النصف الأول من الدولة القديمة يعتقد أن خدمة الملك الاله المتمتع بالقول القوى (HW) والفهم والادراك (Si3) والصدق والحق (M3ct)(٣) ، تعد واجباً مقدساً على الرعية بما فيهم هؤلاء الذين تجرى فى عروقهم الدماء الملكية وكان كبار الموظفين والأمراء يمنحون مقابل عملهم منح من الأراضى الملكية أما الكتبة والصناع فكانوا يمنحون مقابل ذلك الغذاء ولوازم المعيشة(٤) ، وبالنسبة للأشخاص الأكفاء فانهم يعينون فى وظائف ذات أهمية أكبر وهنا يعبر المصرى بارتياح عن أنعام الملك عليه بمثل هذه العبارة :

---

(١) Ibid, P. 85.

(٢) Pirenne, J., OP. Cit., P. 15.

(٣) Wilson, J., OP. Cit., P. 10.

(٤) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 301.

«... أنه تصرف وفقا لرغبات مليكه
ولهذا كافئه الملك الاله»

وسوف نرى إلى أى مدى كانت هذه المنح وازديادها سبباً فى حرمان الخزانة الملكية من جزء كبير من مواردها المالية مما أدى - مع غيره من العوامل - إلى التطور التدريجى من المركزية المطلقة إلى اللامركزية وما تبعها من اهتزاز الملكية الالهية(١) .

ونتيجة لنقص المستندات الادارية والقانونية المصرية القديمة فان معرفتنا للكيفية التى كان يحكم بها الملك المجتمع المصرى غير واضحة .

ويرى العلامة «ولسون Wilson» أنه لم تكن هناك لوائح ادارية مكتوبة أو منفصلة فى مصر ولم تكن هناك حاجة لها لأن كل شىء قد تمثل فى شخص الملك الاله الذى يعد مسئولا نحو رعاية واسعاد شعبه باعتباره الواسطة الوحيدة بين الناس والالهة(٢) التى يقدم لها الخدمة والقرابين كل يوم بصفته نائبا عنها فى حكم هذه الأرض حيث انتقلت منها حقوقها إليه شخصيا .

ويضيف «ولسون» :

«... أن القضاة كانوا يحكمون حسب العادات والتجارب السابقة طوال عصور التاريخ بشرط أن توافق ارادة الملك الاله حيث كانت فكرة الـ «ماعت» هى ركيزة الدولة الهامة» .

---

(١) Drioton, Vandier, OP. Cit., PP. 182 - 183.

وكـذا :

محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ مصر الفرعونية ، الاسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ٢٤

(٢) Wilson, J., OP. Cit., PP. 72 - 73.

وهذا يعنى أن باستطاعة الملك أن يلغى أحكام القضاة فى أى وقت حسب ارادته .

وهذا يعنى أن باستطاعة الملك أن يلغى أحكام القضاة فى أى وقت حسب ارادته .

ويرى «جيمس بيكى J., Baikie» :

«... أن الظروف التى تم بمقتضاها تكوين المملكة المتحدة واتحاد شطرى الوادى قد وضعت عليها محظورات وقيود انعكست على ألقاب الملك نفسه مما كان له أثره على الملك وحكومته الأمر الذى جعله يحافظ على حقوقهم وامتيازاتهم وفقا للتقاليد القديمة وكان هذا أول شرط يحد من السلطة غير المحددة للملك وفى المجتمع المصرى حيث المحافظة على التقاليد واجبة ، كان يحكم على كل شىء مثل سابقه ، لأنه كانت توجد سابقة لكل مناسبة يمكن الرجوع إليها ، وان الملك برغم ما يتمتع به من صفات الهية كان ملتزما بواسطة القانون المكتوب والغير مكتوب (تجارب الماضى) ، وبالاضافة إلى ذلك فان الترتيبات القضائية كفيلة بأن تتعامل حتى مع مؤامرة على شخصه ذاته وهذا ما قصه «ونى Una» عن محاكمة الملكة «ايمتيس Amotes» فى عهد «ببيى الأول»

(الأسرة السادسة) حيث تم التعامل معها
من خلال الاجراءات القضائية فقط»[١] .

هذا بينما يضيف «بيرن .Pirenne, J» ويتفق معه «فرانكفورت» أن الالهة الذين أسسوا الملكية وضعوا الملك الاله ليكون سيد القانون وحين يتصرف الملك على هذا الأساس فانه يكون ملهما من الـ « K3 » الالهى الذى يحييه لأنه يمتلك المعرفة منذ ولادته وكذلك حيث يقول الملك فان الـ «كا» الخاص بالاله هو الذى يتكلم من فمه ، وأيضا بالنسبة لباقى الأمور حيث يحكم ويتصرف كأله ، وهذا الوحى الذى بموجبه يتصرف الملك الاله يبرر على أنه ارادة «رع» فاذا تصرف بعدل محتفظا بـ «ماعت» فانه يتحول إلى اله بعد موته ، لذلك فان من أهم واجباته تحقيق العدالة سواء قام هو بدور القاضى أو أعطى سلطاته القضائية لقضاته أو مندوبيه الذين يحكمون تبعا لارادته[٢] .

والذى يهم الدارس أن يوضحه أن الانسان المصري القديم قد سجل على أثاره كل شىء فى حياته وبرغم عدم العثور على القانون المصرى القديم إلا أن هناك الكثير من الشواهد على وجود هذا القانون المصرى القديم[٣] .

---

(١) Baikie, J., OP. Cit., PP. 189 - 191.
فى الدولة الحديثة لدينا مثال مشابه حيث أمر «رمسيس الثالث» فى وصية تركها لخليفته بتعين لجنة خاصة للتحقيق فى مؤامرة الحريم الموجهة ضده وتوقيع الجزاء العادل بمرتكبى المؤامرة عليه ، عن مزيد من التفاصيل أنظر :
Wilson, J., OP. Cit., P. 267 ff.

(٢) Pirenne, J., OP. Cit., PP. 41 - 42.
وكـذا : Frankfort, J., OP. Cit., P. 51.

(٣) من الأمثلة على وجود قانون ولو أنه يعود إلى عصر الدولة الحديثة هو هذا الحديث الذى يعتبر أوامر صدرت من الملك «تحتمس الثالث» إلى وزيره «رخمى رع» بألا يصدر حكمه فى أى قضية إلا بعد الاطلاع على البردية التى تسجل نوع العقوبة وفى اللوحة رقم أربعة =

وكما يرى مصطفى الأمير ـ طيب الله ثراه ـ أنه يمكننا تقسيم القانون المصرى القديم إلى قسمين ، القسم الأول يتضمن القانون المكتوب وهو الذى لم يعثر عليه حتى الآن وإن كنا لا نشك فى وجوده ، والقسم الثانى وهو القانون المطبق ويتصل بالعقود والاجراءات القانونية التى أمكن التوصل إليها من خلال بعض النصوص التى وصلتنا والتى تنتمى إلى العصر الفرعونى(١) .

وبمعنى آخر فان هناك نوعان من القانون أولهما القانون العام ويتناول نظم الحكم والادارة وهو الذى لم نتوصل إليه حتى الآن برغم أن الأدلة العديدة تؤكد وجوده بدليل أن الملوك قد جعلوا التعامل من خلاله وهو ما سبق الاشارة إليه فى حادثة الملكة «ايمتس» .

أما النوع الثانى وهو القانون الخاص(٢) ، والخاص بالملكية وإجراءات التعاقد والحقوق العينية فهناك العديد من الشواهد على وجـوده .

وكأمثلة فقد عثر على وثيقة شرعية لأحد الموظفين الكبار ويدعى «متن Methen»(٣) ومنها يستدل على وجود قانون للأسرة وتنظيم الوراثة

= من حياة الوزير «رخمى رع» توجد أمامه أربعة حصائر تحتوى على كتب القانون وبين صفين من عظماء عشرة الوجه القبلى يحضر المتهمون للفصل فى قضاياهم ، أنظر :
Newberry, P., The life of Rehma Ra., 1900, P. 23.

(١) مصطفى الأمير : الالتزامات والعقود فى القانون المصرى الفرعونى ، مجلة كلية الآداب ، الاسكندرية ، ١٩٥٧ ، ص ١٣٣ ـ ١٤٠ .

(٢) شفيق شحاته : تاريخ القانون الخاص فى مصر ، جـ ١ ، القانون المصرى القديم ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ١٦ ، ١٧ .

(٣) من نقوش مقبرة «متن» بسقارة وفيها يحكى سيرة حياته حيث بدأ كاتبا حتى وصل حاكما لعدد من المدن فى الدلتا وكذلك حاكما على الجزء الشرقى من الفيوم والاقليم السابع عشر فى مصر العليا ، وعاصر أواخر ملوك الأسرة الثالثة وتوفى فى عهد «سنفرو» الأسرة الرابعة . أنظر :
Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt, Vol. 1, Chicago, 1905, P. 76 ff.

والهبات ، وبموجب تلك الوثيقة فان والد «متن» قد انتقل إليه جزء من أملاك أمه بالوراثة[1] ، ويتضح من تلك الوثيقة الهامة المساواة فى الحقوق بين الرجل والمرأة حيث كانت هذه المساواة محققة منذ الأسرة الثالثة وربما قبلها أيضا فنجد أن كل فرد فى الأسرة حر فى ادارة أملاكه وثروته الخاصة فوالدة «متن» ـ كما سبق الاشارة ـ تتصرف بحرية فى أملاكها فهى تمتلك قدرة قانونية كاملة[2] ، وهناك الكثير من عقود بيع ملكية الأراضى وفيها نعرف أن الأرض كان من الممكن شراؤها وبيعها والأرض أيضا يمكن تقسيمها بالتساوى بين أولاد مالكها بعد موته[3] ، وهناك من الأدلة على وجود ما يسمى بالاجراءات القانونية والتى فى وجودها تراعى العدالة وتتم بواسطتها الاجراءات المختلفة وفى هذا الصدد فان «ديودور الصقلى» يصف كيف أن المدعى كان عليه أن يكتب شكواه بالتفصيل موضحا ما يريد ذكره كما أن خصمه كان عليه أن يرد عليه كتابة ثم يفصل فى الشىء موضوع النزاع بواسطة لجنة قانونية[4] واعتزازاً بمهمة العدالة كان القضاة يتخذون من الالهة «ماعت» ربة الحقيقة والعدالة آلهة حامية لهم وكان للوزير بجانب رئاسته للجهاز الحكومى والادارى وظيفة قضائية وبهذه الصفة حمل لقب كبير القضاة[5] كما اشترط

---

(١) Daumas, F., La Civilisation de L'Egypte Pharaonique, Paris, 1965, PP. 196 - 197.

(٢) سليم حسن ، مصر القديمة ، جـ ٢ ، ص ٥٠٤ .

(٣) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 303.

(٤) ديودور الصقلى : ديودور الصقلى فى مصر ، ترجمة وهيب كامل ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ١٣٤ .

(٥) Breasted, J., H., A History of Egypte, P. 82.

على حكام الأقاليم ضرورة الالمام بالقانون والقيام بأعمال القضاة بجانب الادارة(١) كما نسب القضاة أنفسهم دائما إلى بلدة «نخن» وأثبت حكام الأقاليم على جدران مقابرهم تمسكهم بالعدالة فى القضايا التى عرضت أمامهم .

ومن أقـوال أحد القضاة ويدعى «أوروخو Our Khou» (الأسرة السادسة) :

«... لم أسمح أبدا بأن ينام رجل غير راضٍ عن قرارى انى أجىء بالسلام»(٢) .

ولقد تمسك الفراعنة أنفسهم . بتطبيق الـ «ماعت» حيث أنه يحكم بما يسود عالم الالهة من عدل ، ولدينا مثال من الأسرة الرابعة الذى بلغت فيه عقيدة الملكية الالهية أوج عظمتها وقوتها ويوضح إلى أى مدى التزم الملوك أنفسهم بمراعاة الحق والعدل حيث نطالع أثناء زيارة الملك «منكاروع» إلى جبانة الجيزة ليتفقد العمل فى مقابر أسرته :

«... جلالته أمر ألا يؤخذ أى رجل فى أى عمل جبرى ، ولكن ليعمل كل شخص بما يرضيه»(٣) .

ومن النص نعلم مدى التزام الفرعون بمبادىء العدالة وخاصة أننا نعلم أنه كان يعطى لهؤلاء العمال مقابل عن عملهم من مواد غذائية وكساء وملبس ، بالاضافة إلى ما يعنيه النص من وجود

---

(١) Ibid., P. 79.

(٢) Pirenne, J., OP. Cit., P. 42.

(٣) Breasted, J., H., Ancient Recoeds of Egypt, Vol. 1, P. 95.

مبادىء وأصول قانونية تراعى حيث كان العمال يعينون بمقتضى عقود تحدد ظروف العمل[١] والنتيجة التى نصل إليها أنه يمكن القول أن النصوص والأدلة التاريخية تدحض الرأى القائل بأن فرعون هو المصدر الوحيد للقانون ، ويمكن القول أن الملك كان هو السيد الوحيد المسيطر وإليه تنسب صفات العدالة كما أن الجهاز القضائى وعلى رأسه الوزير وبقية الموظفين يشترط لبقائهم وترقيتهم ضرورة موافقة وإنعام الملك عليهم وخاصة قبل تقلدهم وظيفة القاضى الفعلية[٢] .

وكان لتمسك ملوك فجر التاريخ وما بعدهم حتى النصف الأول من الدولة القديمة بتحقيق العدل والاستقرار والنظام أن تمتعوا باحترام الشعب لهم نتيجة لذلك وظل الاعتقاد بأن كل التصرفات الرسمية سواء فى الناحية الدينية أو الدنيوية قائمة على قوة منحها الملك الذى تمتع بكل مظاهر الاحترام من كل شخص فى المجتمع مهما كانت مكانته فان عليه أن يرقد على بطنه ويقبل الأرض عند الدخول فى حضرة الملك الاله ، وحدثت أحيانا تعديلات طفيفة فى بعض المناسبات الاستثنائية للخروج على هذه القواعد مثلا بأن يسمح لأحد النبلاء (ويعتقد أنه من الأسرة المالكة) عندما كان الملك الاله يمتدحه على شىء كان جلالته يسمح له بتقبيل قدمه ولم يسمح له بتقبيل الأرض[٣] .

وهى أمثلة يجب النظر إليها باعتبارها تنم عن مدى ما تمتع به الملك الاله من قدسية ومهابة واحترام تمنع أى شخص أن يشير إليه

---

(١) Piernne, J., OP. Cit., P. 45.

(٢) أ. ارمان ، هـ . رانكة ، نفس المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(٣) Baikie, J., OP. Cit., P. 191.

باسمه ، وعند الاشارة إليه شخصيا يكنى عنه ببعض الألفاظ مثل : «الاله» أو «جلالته» أو «واحد» و «دع واحد يعرف» مستخدمين الضمير عند الأشارة إليه(١) .

كما اتجه المجتمع بكل طبقاته عن عقيدة نحو ارضاء الملك الاله باعتباره المثل الأعلى لهم وبقى الفارق الكبير بين الملك وحاشيته ورعاياه ويمكن التدليل على ذلك بعظمة الآثار الملكية فى الأسرة الرابعة وخاصة فى النصف الأول منها بالمقارنة بغيرها من آثار باقى رجال الدولة(٢) .

ويمكن القول أنه فى ظل تلك الملكية الالهية أمكن تحقيق أعظم الانجازات فى كافة المجالات المادية والمعنوية مما أدى إلى بلوغه القمة فى عصر الأسرة الرابعة غير أنه فى نهاية الأسرة الرابعة وما تلاها من أسرات حتى نهاية الدولة القديمة قد حدث تغيير فى مفهوم الملكية الالهية كان له أثره فى تطور فكرة الضمير الخلقى فى النصف الثانى من عهد الدولة القديمة وهو ما سيتناوله الدارس فى الفصل التالى .



(١) محمد بيومى مهران : نفس المرجع السابق ، ص ١٩ .

وكـذا :

Breasted, J., H., A History of Egypt, P. 74.

(٢) Vercoutter, J., OP. Cit., PP. 292 - 293.



الفصل الثانى

تطور فكرة الضمير الخلقى فى النصف الثانى من عصر الدولة القديمة .

(٢٥٦٠ ــ ٢٢٨٠ ق.م)

رأينا فى الفصل السابق كيف نجح الملك الاله فى صبغ الدولة المصرية القديمة بصبغة دينية مقدسة تمثلت أول ما تمثلت فى شخصه نفسه[١] وقد مكنه ذلك من تحقيق أعظم الإنجازات فى كافة المجالات غير أن مفهوم الملكية الالهية بدأت تدب فيه مظاهر الضعف التدريجى وخاصة فى أواخر الأسرة الرابعة وما تلاها من أسرات وكان لهذا أثره على المجتمع كله وكذلك على القيم والمثل العليا لذلك المجتمع ولتوضيح تلك الحقيقة لابد من الاشارة إلى أنه بالرغم من أن الملك الاله كان يمتلك فى يده السلطة والثروة والقوة إلا أنه كان لابد من جهاز يعاونه فى أداء واجباته نحو هذا المجتمع وفى أول الأمر أسندت الوظائف الهامة إلى أبناء الملك وإلى أفراد الأسرة المالكة[٢] ، وبمرور الوقت وتبعا لتطور الدولة وتقدمها وحاجتها إلى رجال ذى مقدرة وكفاءة ، فان هذا التقدم تبعه واستلزم معه ظهور مجموعة كبيرة من الأفراد من غير الأسرة المالكة كان لهم دورهم الهام فى بناء تلك الحضارة ولم يكن ذلك يمثل أى مخاطر طالما كان على رأس الدولة ملك قوى .

ومن الجدير أن نذكر أن هؤلاء الموظفين الملكيين كان الشرط لبقائهم فى وظائفهم هو رضاء الملك الاله عليهم وحرصوا هم على ذلك لأن خدمة الملك واجب مقدس وكانوا يكافئون بمنحهم الغذاء[٣] ، وكان المجال مفتوحا أمام هؤلاء الموظفين لاثبات كفاءتهم حتى ينالهم رضاء الملك الاله وبذلك يرقوا إلى وظائف أكبر وذات مسئوليات أشمل وخاصة أن طبيعة المجتمع المصرى القديم لم يكن يجبر أحداً ذو

---

(١) Wilson, V., OP. Cit., P. 72.

(٢) Brested, J., H., OP. Cit., P. 119.

(٣) Drioton, E., et Vondier, J., L'Egypte, Paris, 1938, P. 182.

مقدرة وكفاءة أن يظل أسير طبقته التى توارثها[١] ، وخضع هؤلاء جميعا لأوامر ورغبات الملك الاله وحرصوا على اثبات ذلك فى كل مناسبة وكان برسمه أن ينقله من عمل إلى آخر أو تغييرهم بغيرهم بمعنى أن بقاءهم مرتبط برضائه الالهى عنهم .

غير أنه بمرور الزمن ونتيجة لأكثر من عامل فان مظاهر الضعف قد بدأت تنتاب سلطان الملوك فى النصف الثانى من حكم الأسرة الرابعة وخاصة بعد حكم «منكاورع» وقد يكون ذلك مرجعه إلى تلك الخلافات داخل الأسرة المالكة حول أحقية وراثة العرش والتى بدأت بعد وفاة «خوفو»* بدليل عدم العثور على أسماء خلفائه فى الجهات التى اعتاد ارسال حملاته إليها مثل سيناء وغيرها[٢] ، كما أن مقابر أسرة «منكاورع» التى اكتشفت لم يكن قد تم نحتها عند الدفن حيث أنه من المعتاد أن الملك أثناء حياته يعطى مقابر أسرته عناية كبيرة[٣] ، وقد يكون من نتيجة تلك الخلافات حول أحقية العرش لجوء الملك إلى كسب تأييد كبار القوم مما جعل المسافة البعيدة بين الملك الاله ورعاياه تقترب ويدل على ذلك اتجاه الملك «شبسكاف» لتزويج ابنته لأحد أفراد حاشيته[٤]، من

(١) WILSON, J., OP. Cit., P. 75.

* انقسمت الأسرة الحاكمة بعد وفاة «خوفو» إلى ثلاثة فروع كل منهم يرى أحقيته فى الحكم وخاصة بعد وفاة الوريث الشرعى «كارعب» قبل وفاة أبيه بقليل أنظر :

(٢) Drioton, E., et Vandier, J., OP. Cit., P. 172.

(٣) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ٢ ، القاهرة ، ١٩٤٤ ص ٢٩٩ .

(٤) عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق ص ١٢٣ .

وكـذا :

Drioton, E., et Vandier, J., OP. Cit., P. 210.

والمحتمل أن «شبسكاف» [hieroglyphic cartouche] لم يكن ابن الملكة الرئيسية ولكى يؤكد أحقيته فى الحكم فانه تزوج أخته غير الشقيقة ، ومن ناحية أخرى يلاحظ أيضا تعاظم كهنة «رع» وتدخلهم التدريجى فى شئون الحكم بعد وفاة «خوفو» ومساندة فرع من الأسرة على الآخر ويستدل على تزايد أهمية «رع» من وجود لفظ «رع» فى أسماء ملوك الأسرة الرابعة وما بعدها فى الأسرة الخامسة(١) حيث نجح كهنة «رع» فى الاستحواذ على النفوذ السياسى واستحواذ «رع» لمكانة الاله «حور» فأصبح الأول هو اله الدولة وأصبح الملوك أبناء وورثة «رع» من صلبه تبعا لتلك القصة التى نسجها كهنته ، والتى وصلتنا مكتوبة على بردية اتـفق على تسميتـها ببردية «وستكـار» Pap-yrus westcar(٢) .

---

(١) WILSON, J., OP. Cit., P. 88.

(٢) تحتوى بردية «وستكار» Westcar على قصة خرافية جاء فيها أن خوفو خاطب يوما أبنائه عن أعمال السحرة الماهرين وطلب من نجله «حرورف» أن يحضر له ساحرا يعرفه وحينما حضر الساحر ووقف بحضرة الفرعون وقام بأعمال سحرية أخذت بعقول الحاضرين وعندما أوشك على الأنتهاء أظهر خوفه للفرعون عن عدم رغبته فى افشاء سر كبير غير أنه اضطر أمام رغبة الملك أن يفصح عنه ويخبره بتلك الولادة الالهية الأولى من نوعها فى التاريخ المصرى ، وذلك أن زوجة أحد كهنة «رع» وتدعى «رود ــ ددت» ستحمل منه وستلد بمساعدة الالهة ثلاثة أطفال سيحكمون مصر ، مما أغضب خوفو غير أن الساحر طمأنه بأن العرش سوف ينتقل إلى ابنه وحفيده ثم ينتقل إلى أحد أبناء الاله «رع» الذين ظهرت عليهم علامات الملك وان المعبودات سمتهم باسمائهم وهم «وسركاف» ، «ساحورع» ، «نفرايركارع» (كاكاى) ، وعلى الرغم أن أسلوب القصة يدل على أنها كتبت فى عصر الدولة القديمة لتثبت أحقية وصول هؤلاء الملوك إلى عرش الملك إلا أن أول نموذج وصل إلينا كان منقوشا على جدران معبد «أمنمحات الثالث» وتكررت بعد ذلك مرات عديدة طوال التاريخ المصرى (أنظر :

أ. ارمان ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبدالمنعم أبوبكر ، مراجعة محمد أنورشكرى ص ٦٤ .

وكـذا :

Vandier, J., La eligion Egyptienne, P. 141.

Breasted, J., H., OP. Cit., P. 123.

Shorter, A., H., OP. Cit., 94 ff.

ويرجح أنها قد وضعت لتبرر إعتلاء هؤلاء الملوك للعرش بدون حق شرعى فيه إذ كانوا من كبار كهنة «رع» والمعروف أن الملك «وسركاف» كان كاهنا أعظم للاله «رع» فى «اون ـ عين شمس» قبل توليه العرش .

ويرى «برستد» وغيره من العلماء أن انتزاع الحكم من أصحابه الشرعيين فى الأسرة الرابعة قد تم بمساعدة من كهنة الاله بتاح» الذين احتفظوا بوراثة منصب الوزارة بعد أن كانت تلك الوظيفة الهامة تعطى لولى العهد وبذلك يظل الملك محتفظا بكل السلطات فى مملكته يدل على ذلك وجود أكثر من وزير حمل نفس الاسم كما يدل أيضا أن السلطة قد قسمت بين «رع» و «بتاح» حيث احتفظ الأول بسلطة الملك والثانى بمنصب الوزارة(١) .

وهكذا وبمساعدة كهنة «رع» وكهنة «بتاح» تقلد «وسركاف» العرش والمعروف عنه أنه من نسل الفرع الأصغر لأسرة «خوفو» حفيده الأكبر «لد دف رع» وأكد حقه فى التاج بزواجه من ابنة «منكاورع»(٢) ، ولقد بدا حكمه بالعرفان لـ «رع» وكهنته بانشاء معبد للاله «رع» وهذا الاتجاه إلى الدين واستخدامه بتبرل حكم غير شرعى كان له أثره كأحد العوامل الهامة فى تقلص نفوذ الملك ولم يعد الملك هو «حور» المتربع على العرش وإنما أصبح خاضعا لوالده الاله «رع» بعد أن كان متساويا معهم بصفته اله ، ولذا فان اعتراف الملك بانتمائه لـ «رع» قد قلل من منزلته فى أعين شعبه وهذا بالتالى أثر على مكانته السياسية والاجتماعية فى مصر القديمة(٣) .

---

(١) Breasted, J., H., OP. Cit., P. 126

وكـذا : Vercoutter, J., OP. Cit., P. 295.

(٢) Ibid., P. 294.

(٣) Drioton, E., et Vandier, J., OP. Cit., P. 194.

وكما يرى «ويلسون» فان «رع» وكهنته أصبحوا أصحاب الأمر والسلطان حتى على الفرعون نفسه[1] و الذى كان من الضرورى أن يشيد بمجرد اعتلائه العرش معبدا لـ «رع» (ولم يخرج عن ذلك إلا كلا من «جد كارع» «اسيسى» و «وناس») (آخر ملوك الأسرة الخامسة) وما تبع انشاء تلك المعابد من المنح الملكية على كهنة «رع» ومعابده والتى لم تقف عند حد ويسوق الدارس هذا المثال :

> «فان عطاء الملك «أوسركاف» لمعابد الاله «رع» فى السنة الخامسة من حكمه بلغ ٢٠٤ استات (وهو يوازى ثلثى فدان تقريبا) بينما بلغ عطاء «ساحورع» ما قيمته ٣٠٢٩ استات»[2] .

والمعروف أن هذه المنح كانت باستمرار فى تزايد نتيجة تعاظم نفوذ «رع» وكهنته وخاصة أنها كانت تصدر بمرسوم ملكى مما يصعب معه الرجوع فيها ، وبالفعل لم ترجع هذه المنح إلى الملك الذى كانت خزانته نتيجة لذلك تتناقص باستمرار[3] ، وربما يكون هذا هو السبب فى عدم استطاعة أواخر ملوك هذه الأسرة بناء معابد للاله «رع» مثل من سبقهم من الملوك فى الوقت الذى تزايدت فيه الملكية الفردية وتكونت معها فئة بشرية من حكام الأقاليم والكهنة وكبار

---

(١) Wilson, J., OP. Cit., P. 88.

(٢) Pirenne, J., Histoire Des Institions et Du Droit Prive De L'ancienne Egypte, Bruxelles, 1935, P. 267.

(٣) Drioton, E., et Vandier, J., OP. Cit., P. 183.

موظفى الملك وبمرور الزمن فإننا نرى أن المسافة الكبيرة بين الملك والتابعين له من البشر قد أخذت تضيق ويتضح ذلك فى النصف الأخير من الأسرة الرابعة وبداية الأسرة الخامسة وما تلاها من أسرات ذلك أنه فى فترات قوة الدولة المتمثلة فى شخص الملك الاله كانت خدمة الملك واجب مقدس وحرص الموظفون وكبار رجال الدولة على أن يذكروا فقط الدرجات التى كان الملك يتعطف ويمنحهم إياها غير أن ذلك قد أصابه تطور ملحوظ فى فترات الضعف الملكية ذلك أن حاجة المجتمع قد تتطلب كفاءة كل فرد فيه ، تلك القوى التى كانت تعمل على تأييد حكم الملك وتعاون فى بناء الدولة وفى إنتاج المظاهر الحضارية المختلفة وقد حرص الموظفين وكبار رجال الدولة أن يذكروا فقط الدرجات التى كان الملك يتعطف ويمنحهم إياها غير أن هؤلاء المرظفين قد إكتشفوا من خلال عملهم والمهام التى يكلفهم بها الملك الإمكانيات الكامنة داخلهم وأيضا قوتهم الشخصية وظهرت الإرادة الفردية لتحل محل التبعية المطلقة للملك الاله ذلك لأنه كان واجبا عليهم أن يتصرفوا حسب ما يروه هم ليضمنوا النجاح وليظل رضاء الملك عليهم مما تولد عنه الثقة بالنفس ومن هنا كان سعيهم لإظهار شخصيتهم المستقلة وخاصة أثناء ضعف الملكية ويمكن الإستدلال على ذلك من تلك النقوش التى إزدادت بالتدريج إبتداء من عصر الأسرة الخامسة على جدران مقابر النبلاء وحكام المقاطعات وهى تدل بالإضافة إلى أنها علامة على ضعف قوة الملكية(١) ، فإنها تدل على محاولة أصحابها إظهار شخصيتهم المستقلة والتحلل بقدر الإمكان من تلك القيود التى ربطتهم بالأسرة الحاكمة ويتضح ذلك على الأخص لدى حكام المقاطعات الذين سعوا إلى تقليل إرتباطهم بالملك وإعتمادهم

---

(١) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 297.

عليه وساعدهم ضعف الملوك على ذلك وخاصة بعد أن سمحوا لهم أن يورثوا أولادهم ويكونوا الثروات ويجمعوا الحاشية والموظفين مثلما كان الحال فى البلاط الملكى[١] ، بل وإعداد المقابر كل فى اقليمه يدفن فيها هو وعائلته .

وقد حاول الملك فى أواخر الأسرة الخامسة القيام بمحاولة وقف ذلك التداعى نحو اللامركزية والاستقلال الذى يهدد سلطته وذلك عن طريق تعيين حاكم للجنوب من أحد المقربين إليه ليقوم بالإشراف على الأعمال وجمع الضرائب ومراقبة حكام الأقاليم بعد أن فقد الملك ثقته فى هؤلاء الحكام ، غير أن تلك المحاولة قد فشلت ربما لأن الملك لم يعد متمتعا بنفس المكانة الالهية التى كانت له فى العصور السابقة وكذا لنجاح حكام الأقاليم الذين ساعدهم أن يعودوا تابعين للملك فسعوا لإلغاء تلك الرقابة المتمثلة فى حاكم الجنوب حتى يتمتعوا بنفس المكانة التى أكتسبوها .

وكانت النتيجة أن عددا كبيرا من حكام الأقاليم أصحاب النفوذ حمل هذا اللقب فى نفس الوقت بسبب أهمية الولاية وغناها أو أن حاكمها قد أدى خدمة للقصر وبذلك لم يعد فائدة من تعيين مندوب للإدارة المركزية يشرف على تنفيذ أوامر الفرعون ويمنع التداعى فى الاتجاه نحو اللامركزية وإنتهى الأمر بأن هذا اللقب بقى ضمن ألقاب التشريف الذى توارثه ولاة المقاطعات أبنا عن أب وأصبحت السلطة موزعة فى أنحاء البلاد مما كان له آثاره على الدولة كلها[٢] .

---

(١) Drioton, E., OP. Cit., P. 297.

وكـــذا :

SHORTER, A., OP. Cit., P. 185.

(٢) Wilson, J., OP. Cit., P. 96.

وتدل الآثار على أن نفوذ اشراف البلاد وعظمائها كان يزداد تدريجيا وكانت من وسائل إظهار تلك المكانة والكفاءة أن يدونوا كل ذلك على جدران مقابرهم مع توضيح الخدمات المؤداة للفرعون والوظائف التى اسندت إليهم(١) ، كما بدأ فى تلك الفترة التعبير عن قوة الشخصية والكفاءة ليس فى المؤلفات الأدبية فقط وإنما تعدتها إلى كافة الأعمال الفنية التى عبرت عن المجتمع وتطوره وكمثال تمثال الملك «خفرع» فى النصف الأول من الدولة القديمة حيث تتضح فيه التصورات المعبرة بوضوح عن مدلول فكرة الملكية الالهية من حيث القوة والمهابة والثقة بالنفس أيضا فان الفن فى النصف الثانى من الدولة القديمة قد عبر عن تلك الأوضاع السياسية والاجتماعية خير تعبير وكمثال على ذلك أربع تماثيل للملك «بيبى الأول» تمثله فى سن الرضاعة وفى سن الطفولة على حجر أمه وفى سن الشباب راكعا على ركبتيه يقدم قربانا للاله ، والأخير يمثله شيخا ممسكا بعصاه يقف بجواره ولى عهده «مرن رع» فى سن الطفولة وواضح أن الفنان كان يعبر عن آراء مجتمعه من حيث ابتعاد الملك الاله عن مفهوم الملكية الالهية (شكل رقم ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦)(٢) ، ويمكننا أن نستنتج أيضا من ذلك الخطاب المنتمى إلى الأسرة السادسة والذى وجد فى سقاره والمشتمل على أمر مكتوب من القائد لاحضار الجنود من المحجر فى طره لاستلام ملابس فى حضور الوزير فى مكان يسمى ([hieroglyphs]) وكذلك تضمن الخطاب الرد من قائد هذه الفرقة بأنه سبق لجنوده الذهاب إلى مقر الاقامة هذا وأضاعوا ما يقرب من ستة أيام بدون إعطائهم هذه الملابس بينما كان من الأفضل إرسال الملابس إليهم فى مقر إقامتهم(٣) .

---

(١) Breasted, J., H., OP. Cit., P. 109.

(٢) عبدالعزيز صالح ، نفس المرجع السابق ، ١٣٦ .

(٣) LeGunn, B., A Sipth dynasty letter from Saqqara, Ann. Serv., Tome 26, Caire, P. 244 - 245.

والخطاب على هذا النحو يعطى صورة واضحة لأهتزاز السلطة بالاضافة إلى شعور الثقة بالنفس الذى وضح فى ابداء الرأى من هذا القائد المحلى ونقده الباهر لشخص رئيسه الأعلى وعدن تصرفه التصرف المناسب كما يدل على أن التطور الطبقى والثقة بالنفس لم يقتصرا على كبار الموظفين فقط وإنما تعداهم إلى الطبقة الوسطى أيضا(١) .

كما يمكننا أيضا أن نستشف من سير بعض الشخصيات الهامة فى الدولة القديمة على تطور طبيعى للثقة بالنفس والتعبير عن الذات وغيرها من المبادىء وذلك من خلال تتبع حياة بعض هؤلاء الأفراد ورقيهم وتقدمهم فى مجالات الحياة المختلفة .

وسوف نحاول ما استطعنا إلقاء الضوء على حياة هؤلاء وعلاقتهم بالمجتمع من خلال كتاباتهم موضحين كيف حلت الارادة الشخصية والثقة بالنفس محل التبعية المطلقة للملك الاله مع ملاحظة أن هذا قد تم ببطء وبطريقة تدريجية(٢) :

بتاح شبسس (Pth Špss)* :

ترك لنا سيرة حياته مما يسمح برسم صورة عن الحياة فى تلك الفترة وخاصة أنه عاش مع أواخر ملوك الأسرة الرابعة وعاصر أيضا ملوك الأسرة الخامسة وهو يصف حياته بفقرات واضحة تنتهى كل فترة باسمه ، ولد «بتاح شبسس» فى عهد «منكاروع» (الأسرة الرابعة) وتربى مع أطفال الملك فى القصر وكان مقربا لدى الملك أكثر

---

(١) عبدالعزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، جـ ١ ، ص ٣٩١ .

(٢) Breasted, J., H., The Dawn of Conscience, P. 163.

(*) من النقش الموجود على الباب الوهمى فى مقبرة «بتاح شبسس» المكتشفة فى سقارة بمعرفه مريت Mariette أنظـر :

Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt, P. 115.

من أى طفل آخر[١] ، وفى عهد الملك «شبسسكاف» (أى فى بداية حياته) كان يتعلم مع أولاد الملك فى القصر الملكى ، وكانت مكانته أكثر من أى شاب آخر وقد نال رضاء الملك واعجابه ولذا فقد زوجه من كبرى بناته* .

«... جلالته أعطاه أبنته الكبرى (معات
خع M3ct hc) كزوجة له ، لأن رغبة
جلالته أن تكون معه (أفضل) أكثر
من أى رجل آخر» .

ثم يصف خدمته تحت حكم الملك «وسركاف Userkaf» (الأسرة الخامسة) .

"... المقرب من «وسركاف» كبير كهنة
منف المحترم من الملك أكثر من أى
خادم حيث كان يسمح له أن ينزل فى
سفن القصر ...»[٢] .

كما عمل أمين سر لكل الأعمال الهامة التى طلبها جلالته .

---

(١) Breasted, J., H., OP. Cit., P. 115.

(*) فى الأسرة السادسة تزوج الملك «بيبى الأول» من ابنة أحد موظفيه وتدعى «خوى» وأعطى أميرة ملكية من الأسرة لأخو زوجته ، مما يمكن القول أن هذه الارتباطات كانت خطراً على السلطة الملكية لأن هذه المصاهرات تقلدت الحكم وهى لا تمت للعائلة الملكية بصلة الدم وأصبحت الأسرة المالكة التى يؤمن الشعب بألوهيتها بعيدة عن الحكم أنظر :
محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢١ وكذا :
Drioton, E, Vandier, J., OP. Cit., P. 210.
Vercoutter, J., OP. Cit., P. 321.

(٢) Breasted., J., H., OP. Cit., P. 118.

ثم يصف خدمته مع كل من الملـــك «ساحورع» و «نفرايركارع» (كاكاى) موضحا مكانته وكيف كان الملك يحبه ويستثنيه من بعض تلك القواعد الهامة التى درج عليها رجال البلاط وكل من يقف فى حضرة الملك(١) .

«... المقرب إلى «نفرايركارع» أكثر من
أى خادم عندما كان جلالته يمتدحنى
بشىء لأمر ما جلالته سمح له بتقبيل
قدمه ولم يرضى جلالته أن يقبل
الأرض ، «بتاح شبسس»(٢) .

ويستمر فى نيل نفس المكانة مع الملوك الذين جاءوا بعد ذلك الملك حتى حكم الملك «نى أوسررع» (الأسرة الخامسة).

ويتضح لنا من دراسة سيرة حياة «بتاح شبسس» كيف أن الهوة الكبيرة التى كانت تنفصل بين الملك الاله ومرظفيه قد أنتابها الضعف حيث أصبح الملك قريبا جدا من رعاياه يدل على ذلك كيف سمح الملك «شبسسكاف» لـ «بتاح شبسس» أن يتزوج أبنته ، ولقد أدت تلك المصاهرات وتكرارها فى فترات أخرى إلى انتقاص طبيعى من هيبة الملك الاله فى نظر رعاياه وبالتالى سوف يكون لها اعتبارها على هؤلاء المرظفين وتطلعاتهم ، أيضا كان فى استطاعة أى شخص مجتهد أن يجعل من نفسه شخصا لا غنى عنه مثلما فعل «بتاح شبسس» الذى عمل لدى كل من ملوك الأسرة الرابعة والخامسة دون أن يفقد منصبه وتمتع بنفس الاحترام تقديرا لكفاءته .

---

(١) Baikie, J., OP. Cit., P. 191.

(٢) Breasted, J., H., OP. Cit., P. 118.

وبينما كان من الصعب على أى شخص عادى أن يحضر مستلزمات البناء لمقبرته[١] وكان غاية الانسان المصرى القديم أن يشمله الملك بعطفه ويمنحه قبرا ويدفن على نفقة الملك ويمنح القرابين الملكية[٢] ، فاننا نرى أن مقبرة «رع ور» الذى عاش فى الأسرة الخامسة تعد من أكبر المقابر إذ لا تقل عن خمسين حجرة وبها مجموعة كبيرة من التماثيل مما يدل على مقدار الثروة التى تمتع بها ذلك الموظف والنفوذ الذى كان له وهو ما تؤكده الألقاب التى حصل عليها إذ أنه كان الكاهن لآلهة الوجه البحرى ، والكاهن لآلهة الوجه القبلى، وأكبر كاهن فى الدولة، والسيد الوحيد، ومدير القصر، ورئيس أسرار الملك ، بل انه اعتبر نفسه السيد وتشبه بالملك مع الفارق - داخل مقبرته أو حولها ولقد بلغ من مكانته العظيمة أن اعتذر له الملك عندما لطمت عصاه ساقه دون قصد ولم يكتف بذلك با انه أمر بتدوين هذا فى مقبرة «رع ور»[٣] ، وإذا كان هذا يدل على مدى توفر معانى الإنسانية وما كان يسود بين الملك وموظفيه أو بين الحاكم ورعيته لكنه يدل فى الوقت نفسه على تداعى مكانة الملكية الالهية واتجاه الملوك إلى التقرب من رعاياهم وخاصة عندما يسجل ذلك ضمن نقوش مقبرة هذا النبيل وخاصة إذا وضعنا فى الاعتبار حجم المقبرة وما حوته من حجرات عديدة ومقارنة كل هذا بمقابر النصف الأول من عصر الدولة القديمة . وسنورد مثلا آخر هام لإحدى الشخصيات الهامة فى الأسرة الخامسة التى تساعد فى فهم الروح التى كانت تسود الحياة العامة لعصر الدولة القديمة وما ساد فيها من إحساس الأفراد بالثقة بالنفس وطموح وتقدم للأمام وخاصة لمن يمتلك

---

(١) Drioton, E., Vandier, J., OP. Cit., P. 182.

(٢) Wilson, J., OP. Cit., P. 95.

(٣) عبدالعزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، ص ١٣٠ .

الكفاءة والمقدرة فى انجاز ما يطلب منه على أحسن وجه[١] كما وصلت إلى أيدينا بعض التعاليم[٢] والحكم لشخصيات عاشت فى عصر الدولة القديمة ، ومن هذه التعاليم ومن سيرة حياة هؤلاء نستطيع أن نتعرف على بعض صور الحياة المصرية القديمة ، كما نرى فيها مقدار كبيرا لأدب ذلك العصر ، وكما تدلنا نصوصها على اهتمام المصرى القديم بالكلام الجميل والحكم والتعاليم الأخلاقية وما ينبغى أن يحرص عليه من قيم ومن محاكاة الأولين والأجداد الذين كانوا يطيعون الآلهة .

وبعض هذه التعاليم يكتبها اب ويوجهها إلى ابنه بصفته أقرب الناس إليه ليعطيه تعاليمه لما فى هذا من حرص الابن الدائم على ترديد أقوال أبيه والعمل بها .

وفى هذا الصدد ترك لنا «بتاح حوتب» (٣) لأبنه نصائح قيمة تتعلق بأمور الحياة الدنيا وطرق النجاح فيها .

والمخطوط الرئيسى المتضمن تلك التعاليم هو بردية «Prisse» المكتوبة فى الدولة الوسطى والموجودة فى المكتبة الوطنية فى باريس تحت رقم ١٨٣ ــ ١٩٤ .

---

(١) Wilson, J., OP. Cit., P. 191 - 192.

(٢) كلمة تعاليم « Sb3yt » بمعنى تعليم كانت تستعمل لدى المصريين القدماء للدلالة على الحكمة بسبب اتجاههم بضرب نماذج من الماضى أو دروس من الحياة . أنظر :

Wilson, J. The Instructions of the vizier PTAH-HOTEP, ANET Chicago. 1969, P. 412.

(٣) «بتاح حوتب» PTAH HOTEP كان وزيرا للملك أسيسى IZEZI الأسرة الخامسة (٢٤٥٠ ق.م تقريبا) وهناك أكثر من وزير يحمل نفس الاسم عاصروا ذلك الفرعون وأكثرهم شهرة ترك مقبرة فى سقارة .

IBID., P. 412.

وكـذا : vercoutter, J., OP. Cit., P. 317.

وهناك برديات أخرى يرجع تاريخها إلى الدولة الحديثة محفوظة الآن بالمتحف البريطانى (١٠٣٧١ ، ١٠٤٣٥ ، ١٠٥٠٩) أيضا ظهر اللوحة الأولى «لكارنفون» Carnarvon الموجودة الآن بمتحف القاهرة[١].

ويستهل الوزير المسن «بتاح حوتب» الحديث برجاء إلى مليكه بعد وصف طيب للشيخوخة ، راجيا السماح له بتلقين ابنه حكمته وخلاصة تجاربه حتى يكون سندا له ويتمكن من القيام بأعباء الوزارة وخدمة الاله (الملك) ويقضى على أسباب الشجار والخلاف بين النـاس[٢] .

يقول «بتاح حوتب» :

«لقد اقتربت الشيخوخة وجاءت السكينة وامتلأت الأعضاء آلاما وأصبحت العين لا ترى ، والأذن لا تسمع والقوة أخذت فى الذهاب بسبب ضعف قلبى والفم صامت لا يستطيع الحديث مجرد الوقوف أو الجلوس صعب» .

وفى النسخة القديمة فإن المقدمة تختلف حيث يذكر أهمية معرفة العلم وأصـول الحديث (الالقـاء) مما يعود بالنفع على من يسمعه ويفهمـه .

ولقد وافق الملك بعد تلك المقدمة وزيره بأن يقوم بإسداء النصح لأبنه واعداده للقيام بأعباء وظيفته بطريقة تكون مثلا وقدوة لأبناء العظمـاء .

---

(١) Wilson, J., OP. Cit., P. 412.

(٢) Maspero, G., Histoire Ancienne Des Peuples de l'orient, Paris, 1878, PP. 86 - 88.

Baikie, J., OP. Cit., P. 152.

Zaba, Z., Les Les Maximes de Ptah hotep Pargue, 1965, P. 69.

وهكذا تبتدى الكلمات الحسنة الطيبة ، التى نطق بها (الوزير) المحبوب من الاله:

ويبدأ «بتاح حوتب» طالبا من ابنه ضرورة التحلى بالتواضع والتوصل إلى المعرفة والحقيقة فى أى مكان ..

«... قلبك عظيم بمعرفتك ...»

(١)

ولكن شاور الجميع ، لا يمكن أن تصل إلى أسرار الفن ، فليس هناك عالم قد بلغ نهاية الفن ، والكلمة الحسنة (الطيبة) مخبأة أكثر من الحجر الأخضر الكريم "Fieldspoth vert" ومع ذلك فإننا نجده عند النساء اللائى يعملن فى المطاحن(٢) .

وبلغت نصائحه أثنتان وأربعون تشتمل كل منها على نصائح مختلفة جاءت بدون ترتيب أو تنظيم موضوعى الأفكار حسبما تتراءى لـه ، أوصى ابنه فيها بضرورة الاهتمام الجاد والاستماع الحسن وحسن المجاملة واستعمال الذهن وهو ما اعتاد أن يطلق عليه القلـب(٣) .

---

(١) Ibid., PP. 19 - 20.

(٢) Ibid., P. 72.

(٣) اعتقد الانسان المصرى القديم أن القلب هو بمثابة العقل والوعى للانسان ، انظر :
Shorter, J., OP. Cit., P. 107.

ونظرا لأن تعاليم هذا الوزير يمكن اعتبارها دليلاً على ازدياد طموح الأفراد وتحقيق النجاح بسبب ما يتحلى به الفرد من كفاءة وحب للعمل وهى قيم وجدت مكانها فى حضارة الدولة القديمة .

وهى أيضا وفى نفس الأهمية كانت ترمى إلى أهداف تربوية وقيم سامية فى آداب السلوك والأخلاق حيث تخلد ذكر صاحبها وتضمن له النجاح فى الحياة الدنيا والآخرة وضرورة تلقينها للسلف والبعد عن الأنانية (الخير يجب أن يكون للآخرين أيضا) .

sic (١)

واشتملت هذه التعاليم تبعا لذلك جوانب عديدة من المجتمع من حيث علاقة الفرد بالنسبة للملك (الإله) أو الحاكم وأيضا بالنسبة لعمله ورئيسه المباشر وعلاقته بالنسبة لأسرته وذوى القرابة وبالنسبة للغير عموما .

وتضمنت الوصايا فى هذه النواحى قيما طيبة تداخلت مع بعضها البعض أحيانا كثيرة لتؤلف فى النهاية ما يمكن أن نسميه حكم أو وصايا .

لذا فإن الباحث سوف يحاول أن يلقى بعض الضوء على هذه النواحى المختلفة .

وبالنسبة للعلاقة المتبادلة بين الملك أو الحاكم ومن يتعامل معهم فإن «بتاح حوتب» يرى :

---

(١) إقرأ بدلاً من ZABA, Z., OP. Cit., P. 55.

وكـذا : جيمس برستد : تطور الفكر والدين فى مصر القديمة ، ترجمة زكى سوس ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٣٢٠ .

«... إذا كنت من يطلب منه مطلب (ذو منصب) فاستمع بهدوء مهما كان من يتكلم ولا تسيء معاملة المتظلم قبل أن يقول لك لماذا أتى ... لأن الملتمس يفضل الاستماع إليه من تحقيق ما جاء يشكو منه» .

أما من يطرد من يقدم طلبا ، فان الناس سوف يتساءلون عن السبب فى حين أن الاستماع الجيد راحة للقلب ...[١]»

(٢)

وبالرغم مما يحمله هذا المعنى من شفقة وحث على التحلى بها ، فلاشك لدينا أن تلك الشفقة يجب أن تكون المعاملة الطيبة المبينة على الحق مصاحبة لها[٣] ، فهو لا يكتفى بأن السائل يجب أن تسمع كلماته وعدم الاساءة إليه بل يرى أكثر من ذلك :

«... ضرورة تحقيق ما سمع (ما جاء يشكو من أجله) ...»

(٤)

(١) Wilson, J., OP. Cit., P. 413.

وكـــذا : ج. برستد : نفس المرجع السابق ، ص ٣٢٣ .

(٢) Zaba, Z., OP. Cit., P. 37.

(٣) Vercouter, J., OP. Cit., P. 317.

(٤) Breasted, J., The Dawn of Consoience, P. 136.

«ابحث لنفسك عن كل عمل صالح إذا كنت تملك سلطة اعطاء الأوامر حتى تكون أوامرك خالية من الضرر (أفعالك بدون خطأ) .

فالعدالة شيء عظيم ولم تفقد قيمتها منذ أيام الذى فعلها وهى لم تمس منذ عصر «أوزير» وهناك جزاء لمن يتجاوز حدودها وقواعدها .. أنها الطريق الصحيح والخطأ لا يصل أبدا بفاعله إلى البر ...»

وربما كانت الأساليب السيئة تجمع الثروات ولكن قوة العدالة (الحق) هى التى ستدوم وتستمر[1]

(٢)

وعندما نتمسك بالعدالة فان الانسان يستطيع التفاخر بها كصفة موروثة يحرص عليها بصفته قد ورثها عن أبيه :

«هذه أرض أبى» ويضيف :

«إذا كنت من هؤلاء الذين يناط اليهم اقامة العدل والحكم بين الناس شخص مزود برسالة تهدئة الأغلبية حافظ على عدم انحياز العدل واحرص على وجوده وعامل الجميع بالعدالة[3] .

واهتم الحكيم «بتاح حوتب» بضرورة اتباع سلوك دنيوى يؤدى إلى النجاح فى الحياة[4] ، والتمتع برضاء وعطف الملك «الاله» وذلك فى فقرات عديدة منها :

---

(١) WILSON, J., Ibd P, 412.

(٢) ZABA, Z., OP. Cit., P. 94.

(٣) ZABA, Z., OP. Cit., P. 94.

(٤) Vercoulter, J., OP. Cit., P. 297.

«... اجمع امكانياتك [قلبك] للخير (بمعنى ركز انتباهك) لفائدة سيدك وكن حذرا ، ولا تتكلم إلا عندما تعرف انك تفهم فالسكرت أفضل من نبات تفتف "Tcftef" . أنه فعلا ماهر (فنان) من يستطيع الحديث فى مجلس لأن التحدث أكثر صعوبة من أى عمل آخر[١] . والكلمة فقط لمن يعرف كيف يستعملها» .

ومن المهم على الموظفين الكبار أمثال الوزير ، ورؤساء الأسرار المقيمين فى مجلس الملك أن يخدموه بالبحث عن الخير «الحقيقة»[٢] .

والإقامة فى مجلس الملك شيء عظيم يفترض على صاحبه أن يكون ذا مقدرة وشعور عميق بالمسئولية ومعرفة ممتازة بالمسائل المطروحة عليه ، ولكن الحديث يتطلب ضرورة إتقانه مع حسن التصرف فى المواقف المختلفة فإذا قابلت على سبيل المثال محدثاً ذا روح بارزة وكان أفضل منك إعط يديك واحن ظهرك بمعنى قدره واحترمه ولا تعارضه ، أما إذا كان يتكلم باعوجاج فجابهه بحيث يوصف بالجاهل .

أما إذا كان الأمر يتعلق بشخص من مستواك فاظهر له بصمتك أنه لا يتحدث كما يجب وبهذا ستكون أفضل منه وربما يجامله الموجودون ولكن اسمك سيحترم رسيقدر . أما إذا كان رجلا عاديا يتحدث وليس من أمثالك لا تنفعل ضده مادمت تعرف أنه رجل قليل الوزن ولا تهتم به فهو سيعاقب نفسه ، لأنه من الرحمة ألا تؤذى بسيطا (حقيرا)[٣] .

---

(١) Wilson, J., OP. Cit., P. 414.

(٢) PIRENNE, J., La religion et la Morale dons l'Egypte antique 1965, P. 43.

(٣) Ibid, J., H., Cit., P. 43.

وواضح من هذه الترفعات فى المواقف مدى الاهتمام بالسلوك الخلقى وأنها تعكس حضارة راسخة عظيمة ولها أثرها الانسانى على من يسمعها ويمارس السلطة باسم الملك أو نيابة عنه .

كما يتضح من النص وجود مجلس فى تلك الفترة كان يتداول أعضاؤه ما يجب أن يتخذ ، وكان كل عضو من أعضاء هذا المجلس له حق النقد فى آراء زملائه[١] ، وهى صفة يمكن اعتبارها من الصفات الطيبة فى مدى ممارسة ما يمكن أن نسميه «بالديموقراطية» فى عصرنا الحالى ولو أنه يمكن أن تكون أيضا سببا فى الابتعاد عن الحكم المركزى مع غيرها من العوامل كما حدث فيما بعد .

ويوصى «بتاح حوتب» بضرورة الطاعة ويحث عليها :[٢]

«... أن الرجل الذى يحبه الاله هو الذى يطيع»

«... الطاعة مفيدة لمن يسمع»

«... الطاعة أحسن من كل ما فى الوجود ..»[٣]

ونتيجة لرضاء الملك (الاله) وطاعتك له فمن المؤكد أن عطايا الملك وكرمه سوف يزداد وسيكافأ نتيجة لذلك .

«... حيث ستملاء معدتك ، وظهرك يكسى نتيجة لذلك»[٤]

غير أنه يحثه أيضا رغم تلك الحظوة التى حصل عليها أن يكون كريما مع من حوله ناظرا للامام بحسن تصرف لما يخبئه المستقبل .

---

(١) ZABA, Z., OP. Cit., P. 113.

(٢) Vercontter, J., OP. Cit., P. 317.

(٣) Ibid., OP. Cit., P. 101.

(٤) Ibid., Z., OP. Cit., P. 93.

وفى هذا يضيف :

«... اشبع اصدقاءك بما جد لك بسبب تمتعك بتلك المكانة عند الاله (أى الملك) ، وسترى فيما بعد أنه حينما تسوء حظوتك فان عملك الطيب هو النافع فى المحنة»[1] .

وتضمنت التعاليم أيضا ما يختص بالعمل فى الحياة الدنيا والعلاقة بين الرئيس المباشر والعاملين معه فيدعو إلى تقدير الأمور ووزنها بالميزان الصحيح وعدم معارضة الشخص الأعلى والترفع عن الصغائر مما يؤدى إلى حسن سير الأعمال ومنها :

«... إذا كان رئيسك فيما مضى من أصل وضيع فعليك أن تنسى ذلك واحترمه للمكانة التى وصل إليها لأن الثمرة لا تأتى عفوا»[2]

«... وعندما يصيب رئيسك شهرة التقدير فانها ستبقى حسنة للأبد ، والرجل العاقل يعرف بعمله»[3] .

وفى هذا دلالة على تمسكه بوظيفته وضرورة النجاح فى عمله والابتعاد عن الأشياء التى لا تعنيه حتى يمكنه أن يحقق آماله فى الثروة ويحظى بحب رؤسائه ...»

ويضيف قائلا :

«... إذا أرسلك أحد العظماء لتوصيل رسالة فكن جديرا بالثقة التى منحها إياك ، وبلغ الرسالة كما هى ولا تخفى شيئا مما قيل لك واحذر أى نسيان وتمسك بالحقيقة ولا تتجاوزها»[4] .

---

(١) سليم حسن ، الأدب المصرى القديم ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص ١٨١ .

(٢) سليم حسن ، نفس المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

(٣) نفس المرجع السابق .

(٤) Wilson, J., OP. Cit., 413.

(١)

ولاشك فإن الأسرة هى بمثابة الخلية الاجتماعية والخلقية الأولى فى المجتمع المصرى القديم ولهذا لم يغفلها الوزير الحكيم «بتاح حوتب» من نصائحه ودعا إلى ضرورة الزواج لما فيه من مشاركة عواطف ومصالح فى نفس الوقت :

«... إذا كنت رجلا ناجحا (رجل محترماً) اجعل لك عش زوجية (بيتا) ، حب امرأتك بحرارة واسعد قلبها طالما فيه نبض لك ، ولا يجب أن تهملها واحسن إليها بسبب الخير الذى حصلت عليه منها ...»(٢)

ومن هذه العبارات القيمة تتضح لنا تلك المكانة التى احتلتها المرأة المصرية القديمة ومقدار الحب الذى تمتعت به من زوجها وأيضا من أولادها مما كان له أثره الكبير لتقدير المجتمع لها .

وأوصى الآباء بأبنائهم كما نصح الابناء بالتمسك بطاعة الوالدين(٣) :

«... إذا كنت رجلا ذا مكانة وكونت أسرة وأنجبت أبنا أحبه الاله* وإذا كان مستقيما ومنكبا على أداء ما تطلب منه ويستمع لتعاليمك» .

---

(١) Zaba, Z. OP. Cit., P. 28.

(٢) Ibid., P. 87.

(٣) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 317.

(*) الاله فى هذه النصوص الحكيمة يعنى أحيانا الملك ، وأحيانا الاله الخالق ، أنظر :
Wilson, J., P. 413.

«... ما أجمل أن يستمع الابن لأبيه»

(١) [hieroglyphic text]

«... وإذا كان يحافظ على املاكك وثروتك كما
ينبغى فافعل من أجله كل فعل نافع . انه
ابنك الذى انجبته الـ «كا K3 » من أجلك لا
تبعد قلبك عنه ، أما إذا ابتعد عن تعليماتك
وأوامرك ولم يتقبل نصائحك وتصرفاته فى
بيتك تثير الأسف ويثور (تمرد) على ماتقوله
له بينما فمه يتفوه بالألفاظ السيئة بينما هو
لا يمتلك شيئا يجب عليك أن تهمله ، أنه
حقيقة ليس ابنك (لم يولد لك) بسبب أفعاله ،
أنه منتقد (غير محبوب) من الاله وهو فى
رحم (أمه) (منذ نشأته)(٢) ...»

من الجميل أنه اعتبر الابن غير المطيع لوالديه لا يمتلك شيئا لأن الخلق الحسن وطاعة الوالدين من الممتلكات الثمينة التى يرثها الأبناء من الأجداد ، أيضا لم يكتف الحكيم بذلك الوصف بل وضع التصرف العملى لمعالجة وضرورة معالجة ذلك الاعوجاج من جانب الأبناء .

لذلك فمن الأشياء المألوفة نتيجة لتلك الروح المليئة بالمحبة والشفقة أن نجد دائما على المقابر تلك العبارة :

---

(١) Zaba, OP. Cit., P. 59.

(٢) Wilson, J., P. 413.

«... لقد احترمت والدى وكنت حليما مع والدتى
محبا لأخوتى وكنت طيبا مع خدمى ...»

والعلاقات الطيبة لا يجب أن تكون كلمات لذلك ينهى «بتاح حوتب» عن الطمع والشر ، وضرورة حصول كل إنسان على حقه مما يمنع نشوب المنازعات على المصالح التى تنشأ عن الميراث داخل الأسرة وبين الأقارب .

«... إبتعد عن كل أذى ، إبتعد عن الجشع ، انه مرض مؤلم لا يمكن الشفاء منه ، إنه يخلط ويفسد بين الآباء والأمهات والأخوات والأم ويطرد الزوجة من الزوج ، الرجل تدوم حياته وذكراه عندما يراعى العدل ولكن الرجل الطماع لن تكون له مقبرة (وعدم وجود مقبرة لدى المصرى القديم تعد من الأشياء الخطيرة لاهتمامهم الزائد بالخلود والعالم الآخر) ، ولا تكن جشعاً عند القسمة ولا تكن طماعا تجاه أقربائك مستغلا تلك القرابة ...»(١)

وهو هنا يمس قضية الأمانة والعدالة والبعد عن الطمع مهما كانت درجة القرابة ، كما نصحه بضرورة التمسك بالنقاء والصفاء الخلقى والإبتعاد عن النساء وأعطى مثلا لذلك لرجل يدخل منزل سيده أو أخيه أو صديقه أو فى أى مكان آخر فمن الواجب عليه إذا أراد أن تدوم صداقته أن يحترم حريمه ولا تسول له نفسه بتصرف خطأ أو نظرة خلسة من صاحب الدار وبهذا يمكن نسيان ألف رجل لمصلحتهم (الخاصة) .

---

(١) Zaba, Z., OP. Cit., PP. 85 - 87.

ويؤكد بأن الشخص الذى ينقاد لشهواته ، شخص أحمق ويعرض نفسه للهلاك والكراهية .

« ... لا تفعل ذلك أنها فعلا كراهية ... »(١)

وواضح من ذلك ومما سبق أن المحبة الزوجية طريق موصل للسعادة وإن استمرارها مقرون بالطهارة والابتعاد عن المغامرات غير المستحبة .

وبذلك فان الطريقة المثلى لتنظيم الحياة فى رأيه هى المعيشة فى البيت مع زوجة عزيزة ، وفى المودة مع صديق يحبه ويرتاح إليه وأوضح كيفية أختياره وذلك بعد أن تكون حكمت عليه بنفسك .

« ... اختبر قلبه بالحديث إليه ... »

« ... لا تبعد وجهك عنه (تعبس فى وجهه) ولا نرد عليه بغطرسة ... »(٢)

« ... وإذا استمعت إلى ما قلته إليك فسوف تحقق النجاح ومشروعاتك ستكون أفضل من مشروعات أسلافك ... »

وبالنسبة لما أوصى به لقواعد الأخلاق والسلوك خلاف ما تقدم فإن «بتاح حوتب» ذكر أشياء عن قواعد المجاملة وحسن الإصغاء والاستماع واتباع العقل والعدالة وأشياء أخرى من نفس النمط الأخلاقى حيث ينصح بالتواضع :

---

(١) Wilson, J., OP. Cit., P. 413.

(٢) Pirenne, J., OP. Cit., P. 49.

«... إذا أصبحت كبيرا بعد أن كنت صغيرا وأصبحت غنيا بعد أن كنت فقيرا (عكس أحوالك من قبل) فلا تتغن بثروتك التى جاءت إليك من الاله (المقصود به الملك) ...»(١) .

وفى مكان آخر :

«... إذا زرعت حقولك وأثمرت وإذا أعطاك الاله بغزارة فلا تملأ فمك دون حساب أقربائك ...»(٢) .

وفى المعنى الأول دلالة كافية على وجود المنح الملكية وأثرها فى ثروة الأفراد وانعكاس ذلك على سلوكهم وهو ما يحذر منه الوزير الحكيم .

وفى المعنى الآخر دلالة على وجود المنح وتزايدها وأنه يجب مراعاة الآخرين أيضا والعطف عليهم مما ينمى شعور التضامن بين أفراد المجتمع ، وهو يتفق أيضا مع ما ذكر على بعض المقابر (فيما بعد) :

«... لقد أعطيت خبزا لكل جائع وأعطيت الشراب لمن كان ظمأنا وثيابا لمن كان عاريا وعبرت النهر بمن لم يكن لديه مركب وقد دفنت من لم يكن له إبن ...»

وهى عبارات تنم عن روح معبرة مليئة بالمحبة والشفقة ومن الطبيعى فى مجتمع الدولة القديمة حيث أعظم الإنجازات الحضارية

---

(١) Zaba, Z., OP. Cit., P. 95.

(٢) Pirenne, J., OP. Cit., P. 47.

فإن المجاملة لها قواعدها وهى جزء من السلوك الواجب التمسك به سواء إذا دعيت لمقابلة الآخرين فى مأدبة أو مناقشة ففى كل مناسبة ينبغى على المرء أن يتصرف بطريقة مهذبة :

«... إذا كنت أحد المدعوين (الجالسين) على مائدة شخص أعظم منك ، خذ ما يقدمه لك ويجب أن تنظر لما هو أمامك ، لا تضايقه بكثرة النظر إليه لأن ذلك تحدى لـ «كا» .

(يرى ويلسون أن الـ «كا» هى بمثابة القوة الحيوية الحامية والموجهة للرجل وبذلك تكون دليله الاجتماعى) .

«... إخفض وجهك حتى يوجه حديثه إليك وعليك بالتحدث فقط عندما يوجه حديثه إليك ، اضحك عندما يضحك ...»(١) .

وإذا تصرف بهذه الكيفية فان ذلك سوف يجلب له السعادة وسيسر منه سيده أو ذلك العظيم الذى دعاه لمشاركته ويدعو للأمانة وينهى عن :

«... الاستحواذ على أموال الغير (زميلك) ، ولا تسرق منزل جيرانك ...»(٢) .

ويدعو للنجاح فى الحياة والطاعة حينما يرى أن الابن المثالى هو ذلك الذى يتصرف بطريقة مثالية ويطيع ويحسن الأصغاء ويحب العمل :

---

(١) Wilson, J., OP. Cit., P. 412.

(٢) Zaba, Z., OP. Cit., P. 96.

«... رجل عاقل يقوم مبكرا يعيش للأبد ، بينما الابله الذى لا يطيع فإنه لن يصل إلى شىء بسبب عدم طاعته واعتباره العلم مثل الجهل والأشياء النافعة مثل الضارة ...»[١] .

واهتم أيضا بالعلم والحروف الجميلة وكما يقول الوزير الحكيم هما نفع لمن يسمعها ولعنة لمن يبتعد عنهما ولكن كما سبق أن أوضحنا .

«... فلا يجب أبدا التظاهر بالمعرفة والتكبر بالعلم لأنه لا حدود للفن ولا يصل أى انسان (فنان) إلى الكمال ...»[٢] .

ولم ينس «بتاح حوتب» وقت الفراغ وضرورة التمتع به لما فى ذلك من راحة للنفس والعقل والجسم :

«... كن سعيدا طالما أنت تعيش ولا تختصر (تضيع) الوقت الموقوف للسعادة لأنه من المكروه للـ «كا» أن تضيع وقت السعادة ، ولا تشغل نفسك بالنهار فى العمل أكثر مما هو لازم لإحتياجك الشخصى ...»[٣] .

«... وعندما تنعم بالثروة عليك أن تمتع نفسك ، فلا فائدة من الثراء عندما يهمل[٤] ، ومن الواجب أن يحصل الانسان على نصيبه الوافر من الراحة ...» .

---

(١) Ibid., P. 102.

(٢) Pirenne, J., OP. Cit., P. 51.

(٣) Ibid., P. 31.

(٤) سليم حسن ، نفس المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

(١)

ويختتم الوزير الحكيم «بتاح حوتب» نصائحه إلى إبنه :

«بأن فى امكانه أن يصل إليه وإلى علمه متمتعا بصحته
(كما يرى ويلسون يلحق به فى العالم الآخر)(٢)
وسوف يكون الاله (الملك) راضيا بما تم وبما حدث .

ويضيف «بتاح حوتب» إلى إبنه بعبارة تحبب إلى نفسه العدالة وتمتلىء أيضا بالكثير بالاحساس بالثقة فى النفس(٣) ، وهو شعور كان آخذا فى التزايد :

«... ان بامكانك أن تعيش حياة طويلة وتؤدى الكثير إن
ما فعلته على الأرض ليس قليل (وهو ذو قيمة) لقد
بلغت من العمر مائة وعشر سنوات ، وهى التى
منحنى إياها الاله (الملك)» .

(كان المصريون يعتبرون ١١٠ عاما هو الحد المثالى للعمر)(٤) .

---

(١) Zaba, Z., OP. Cit., PP. 30 - 31.

(٢) Wilson, OP. Cit., P. 114.

(٣) Breasted, J., H., P. 141.

(٤) Wilson, J., OP. Cit., P. 414.

«... أديت فيها كل ما هو طيب لجلالته حتى أنه رضى
عنى وتجاوزت منحه كل منح الأسلاف (الجدود)
وذلك لأنى أقمت العدل للملك حتى أنه أثنى علىّ
(وضمنى القبر فى مكان المبجلين ...» .

(١)

وهى عبارة تتضح فى ثناياها أهمية العدالة باعتبارها أسمى درجات الأخلاق وهو ما حاول أن يؤكده ذلك الحكيم وغيره من الحكماء الذين عاشوا فى عصر الدولة القديمة التى لم تصلنا منهم إلا القدر اليسير .

ويمكن للدارس أن يستخلص من خلال نصائح «بتاح حوتب» التى تعالج السلوك الشخصى والرسمى بروح التعقل والاعتدال مع التأكيد على نمو الشخصية الفردية والثقة بالنفس إلا أنه يمكن القول أن الدولة القديمة خلال تلك الفترة قد إستطاعت أن تجمع الدين والسلطة والأخلاقيات كلها فى نظام واحد على قمته يجلس الملك الالـه(٢) .

---

(١) Zaba, Z., OP. Cit., P. 65.

(٢) لوحة «ونى» كانت موجودة بمقبرته التى اكتشفها «مريت Mariette» فى أبيدوس .

وهناك مثل آخر يوضح مدى قوة الأمراء وكبار الموظفين وما اكتسبوه من مقدرة خلال مدة عملهم فى بناء الحضارة المصرية وانعكس ذلك الاحساس بالثقة فى النفس عند وصفهم بفخر لسجل حياتهم وما فعلوه فى خدمة ملوكهم الذين حرصوا على تاكيد ولائهم لهم وحرصهم على نيل رضاهم ، وهناك نقش هام من الأسرة السادسة يتحدث فيه «ونى Wony»[١] بفخر عن صعود سلم الحياة السياسية وتدرجه مع كل من «تتى» ، «ببى الأول» ، «مرن رع» وكيف بدأ حياته فى وظيفة متواضعة فى عهد «تتى» أول ملوك الأسرة[٢] ، ثم عينه «ببى الأول» مشرفا على الممتلكات الخاصة بهرم الملك وقربه إلى بلاطه وأغدق عليه الألقاب ومنها «قاضى نخن» ويصف «ونى» ذلك بقوله :

> «... (جلالته جعلنى) قاضى منتمى إلى نخن هو أحبنى أكثر من أى شخص ممن خدمه ، وسمعت (المعاملات) وحدى مع الوزير رئيس القضاه فى كل الأشياء الخاصة التى تخص الملك والقصر وفى قاعة المحاكم الستة للعدالة ، لأن جلالته أحبنى أكثر من أى شخص من موظفيه ، وأكثر من أى نبيل لديه وأكثر من أى واحد من خدمه لأنى كنت محبوبا من جلالته ...»[٣] .

---

(١) وهى الآن محفوظة بالمتحف المصرى تحمل رقم ١٤٣٥ ، أنظر :
أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ١٥٠ .

(٢) Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt, PP. 134 - 135.
وكـذا :
Wilson, J., The Burden of Egypt, P. 89.

(٣) Breasted, J., H., OP. Cit., 141.

ثم يضيف أنه التمس من الملك أن يمنحه تابوتا وبابا وهميا ، ومائدة قرابين لمقبرته ، وقد وافق الملك على ذلك . و «ونى» يصف ذلك بفخر وعرفان :

«... ثم طلبت من جلالة الملك أن يجلب لى تابوتا من الرخام من طره ، وقد أوفد الملك «حامل الختم» ومعه مجموعة من البحارة تحت إمرته وذلك كى يحضروا لى من طره وقد وصل به فى سفينة كبيرة تابعة للقصر ومعه الباب الوهمى واثنين [...] ومائدة قرابين ولم يفعل مثل هذا لأى خادم من خدمه لأنى كنت ممتازا إلى قلب جلالته ومحبوبا إلى قلب جلالته ولأن جلالته أحبنى»(١) .

ومن الأعمال الهامة التى يحدثناعنها أنه الوحيد الذى سمح له الملك بأن يشترك مع أحد قضاة نخن فى محاكمة الملك «إيمتس Imtes» ولم يحدث لأحد من قبل أن سمع أسرار الحريم سواه وذلك بسبب عظم منزلته لدى الملك(٢) .

ويستمر «ونى» فى سرده بإفتخار كيف عهد إليه الملك بمهمة إعداد وجمع جيش من عشرات الآلاف من كل أرض مصر العليا من «الفنتين» فى الجنوب إلى آخراز «ديتوبوليس» فى الشمال وكذلك من مصر السفلى من جانبى الدلتا وكذلك من قبائل بلاد النوبة ، وكان هو

---

(١) Ibid., P. 141.

وكـذا :

Pirenne, J., Histoire des institions et du droit prive do l'ancienne Egypte, P. 263.

(٢) Breasted, J., H., OP. Cit., P. 142.

وكـذا : Baikie, J., OP. Cit., PP. 166 - 167.

على رأس هذا الجيش مصطحبا معه بعض الكهنة ربما لكى يلهبوا حمية أفراد الجيش(١) .

ثم يتبع ذلك بفقرة خلقية على جانب كبير من الأهمية فى أدب الحروب وما يجب أن يتحلى به الجيش من دقة ونظام بين أفراده وكذلك تجاه المارة والمدن المار بها وأهلها فيصف :

«... لقد كنت الذى أعدلهم الخطة بينما وظيفتى هى المشرف على الممتلكات الملكية ولم يتشاجر أحد من (أفراد الجيش) مع جاره ولم ينهب أحد (عجينة أو) صندل من المارة ولم يأخذ أحد خبز من أى مدينة ولم يأخذ أحد عنزة من أى قوم ...»(٢) .

ثم يستمر «ونى» فى سرده عن كيفية تفقده لهذه القوات وحسن ادارته لها وعودته مع جيشه مظفرا بعد نجاحه فى أداء مهمته وقضائه على العصيان الذى أثاره ساكنى تلك المناطق .

ويضيف :

«... جلالته أرسلنى لأقود (هذه القوات) خمس مرات لكى أعبر أراضى ساكنى الرمال كلما أثاروا عصيانا وجلالته مدحنى لذلك ...»(٣) .

ثم يتحدث النص عن حملة أخرى قام بها «ونى» بعد ذلك لاخماد عصيان يحتمل أنه قريب من «جبل الكرمل» جنوب فلسطين أو حسبما أطلق عليه أرض «انف الغزال» ــ ونجاحه فى ذلك حيث استخدم

---

(١) محمد بيومى مهران : نفس المرجع ، ص ٤٩ .

(٢) Breasted, J., H., OP. Cit., P. 143.

(٣) Ibid., P. 144.

بجانب القوات البرية قواتا بحرية أبحر بها خلف خطوط المتمردين فى الشمال وإستطاعت أن تفاجئهم وتحقق النصر[(١)] ، الذى يعد مفخرة لمصر باعتبارها أول من استخدم القوات البرية والبحرية فى آن واحد معـا .

ولما مات «بيبى الأول» خلفه على العرش أكبر ولديه الملك «مرن رع» الذى عين «ونى» حاكما للجنوب ، وبفضل إرشاداته صارت الأمور كما ينبغى[(٢)] ، ويعتقد أن المنطقة الجنوبية أسفل الشلال كانت آمنة بدليل نجاح «ونى» عندما أرسله الملك بالقرب من الشلال الأول لاحضار قطع الجرانيت الخاصة بتابوته حيث استطاع أن ينجز مهمته مستخدما مركباً حربية واحدة ، أيضا أرسل «ونى» فى مهمات أخرى إلى الجنوب حيث يقص أن الملك قد أرسله ليحفر خمس قنوات فى الجنوب فشيد سبع مراكب لنقل الأخشاب واستطاع أن ينجز هذا فى عام واحد كافأه الملك لذلك .

ويختتم سرد حياته بالعبارة التالية :

«... كنت محبوبا من والده ، أثنت عليه أمه محببا من أخوته ، الحاكم الحقيقى للجنوب الموقر من «أوزير» «ونى»[(٣)]» .

ويتضح لنا من نص «ونى» وكذلك من الظروف السياسية التى صاحبت الأسرة السادسة ما يشير إلى جو من عدم الاستقرار السياسى والإجتماعى يدل على ذلـك مصرع أول ملوك الأسرة «تتى»

---

(١) Ibid., P. 144.

وكـذا : أحمد فخرى ، نفس المرجع السابق ، ص ١٥١ .

(٢) Breasted, J., H., A History of Egypt, P. 135.

(٣) Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt, P. 150.

واغفال ذكر خليفته «وسر كارع» الذى اعتبرته «قائمة سقارة» والمؤرخ «مانيتو» مغتصبا وتعمد نصوص كبار رجال الأسرة إغفاله ، وبرغم نجاح الملك «ببى الأول» فى توفير جو من الاستقرار بعد ذلك الاضطراب الذى سبق توليه للعرش ونشاطه فى كافة المجالات فأن النصوص تشير لمؤامرة قد حيكت له من زوجته الملكة وشارك فى التحقيق فى هذه المؤامرة أحد كبار موظفيه مما يمكن القول معه ان أسرار القصر لم تعد مصونة ثم اتجاه «ببى الأول» ، الى مصاهرة أمير أبيدوس والزواج من ابنته والنتائج التى ترتبت على هذه المصاهرة .

ثم تجىء تلك الفترة الطويلة التى حكمها الملك «ببى الثانى» والتى بلغت نحو أربعة وتسعين عاماً أصابه الوهن فى نهايتها فأخذت السلطة المركزية فى الضعف التدريجى وازداد بالتالى نفوذ حكام الاقاليم والأمراء نتيجة احساسهم بقدراتهم الفردية فانصرفوا الى مصالحم الذاتية ولم يصبحوا موظفين تابعين للحكومة المركزية وبدأ كل فى بناء مقبرته فى اقليمه وليس جانب الهرم الملكى كما كان الحال من قبل واشتد التنافس بينهم من أجل الاستحواذ على سيادة البلاد ، ويزداد فى الوقت نفسه جشع الكهنة واستغلالهم للمجتمع وموارده[1] ، مما جعل الحالة تزداد سوءا فى البلاد ويفقد الانسان المصرى القديم الثقة فى حكامه الضعفاءنتيجة لتدهور مكانة الملكية الضعيفة .

---

(١) محمد بيومى مهران : نفس المرجع السابق ، ص ٢٢ .

وفى الوقت الذى أخذت فيه مكانة الملك فى التدهور فان العقيدة الدينية انتابها تطور كبير حيث رأينا ازدياد مكانة «أوزير» وعقيدته التى يتساوى فيها الجميع[١] ، على أساس من العمل الصالح وسيطر التفكير فى «أوزير» وأسطورته على فكر كل انسان وتمنى أن يصير مثلـــه[٢] .

مما يرى معه الدارس ضرورة التعرض لقصة «أوزير» للتعرف على هذه الجوانب المتصلة بالقيم التى أدت بالشعب المصرى أن يتخذها دليلا ماديا فى سلوكه الدينى والاجتماعى حتى نهاية العصور الفرعونية وذلك فى الفصل التالى .

---

(١) أحمد فخرى : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

(٢) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ، الجزء الأول ، الاسكندرية ، ١٩٦٠ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .



الفصل الثالث

دور الاله «أوزير» فى مفهوم المثل العليا

يتصل موضوع المثل العليا اتصالا وثيقا بموضوع القيم الفكرية التى عبر عنها الإنسان المصرى القديم فى أدبه الدينى ، لذا فإن دراسة هذا الأدب تلقى بعض الأضواء على تلك القيم الهامة .

وفى تاريخ مصر الفرعونية مجموعة كبيرة من المعبودات الإلهية أرتفع بعضها إلى أعلى المراتب وبقى بعضها على حاله أو اندمج مع غيره من الآلهة وقد تناولنا الأساطير أعمال هذه الالهة فجعلت منها قصصاً وروايات غدت حقائق بمـــرور الوقت وتعد أسطورة «أوزير Osiris»[١] ، من أعظم وأكثر الأساطير المصرية القديمة انتشارا وشهرة حيث وجدت فكرة الخلود وهى إحساس قديم لدى المصريين ما ينميها ، بدليل بعث «أوزير» نفسه وإيمانهم بخلوده الدائم وتأكد كل فرد ان بإمكانه أن يصبح «أوزير» بعد موته وأن باستطاعته أن يصل إلى نعيم الآخرة ويتيمتع به كما تمتع به «أوزير» التى تدل قصته حسب ما تضمنته أنها قد مثلت فى فجر التاريخ البشرى[٢] ، واتخذها الشعب المصرى فى كل معاملاته الاجتماعية والدينية حتى نهاية العصور الفرعونية وربما بعدها حيث وجدت مكانها فى قلوب بنى الإنسان لكونها من صميم الحياة الانسانية .

---

(١) أقدم الأشكال لأسم «أوزير يس» كان : [hieroglyphs]

وهناك بعض أشكال مثل : [hieroglyphs]

عن مزيد من التفصيلات انظر :

Battes, O., The Name of "Osiris", JEA, Vol. 2, 1915, P. 207.

يرى بلوتارخوس ان كتابة اسم «أوزير» بعين وصولجان يدل احدهم على الحذر بينما يدل الآخر على القوة أنظر :

بلوتارخوس : ايزيس وأوزيريس ، ترجمة حسن صبحى بكرى ، مراجعة محمد صقر خفاجة القاهرة ، ص ٧٩ ـ ٨٠ .

(٢) ترجع هذه الاسطورة إلى عام ٤٢٤١ ق.م حينما بدأ المصريين ينظمون تقويمهم وسموا أيام النسىء الخمسة بأسماء الآلهة الواردة فى الأسطورة .. بالاضافة إلى أسماء =

هذا مع مراعاة أن قصة «أوزير» قد جذبت إليها عواطف الإنسان المصرى القديم لأنها تمثل انتصار الحق مهما إعترضته العوائق وإنتصار الحياة الأسرية ووفاء الزوجة لزوجها وحنوها على أبنائها ، أيضا نصرة ووفاء الأبناء لوالديهم وتقواهم[1] ، وغير ذلك من المعانى الطيبة مما جعلهم وخاصة العامة منهم يميلون كل الميل إلى تنمية كل فصل من فصول القصة والزيادة فى الإشادة «بأوزير» والتمسك بعبادته فى كل عصور التاريخ .

ونظرا لأهمية «أوزير» كإله للبعث والخلود والعالم الآخر وارتباط ذلك كله بالشواهد البشرية التى كان لها أثرها فى العقيدة والأحداث السياسية[2] ، ولذا يرى الدارس ضرورة التعرض لتلك الاسطورة وخاصة تلك الفقرات الخاصة ببعث «أوزير» كرب للموتى وملك على حياة الخلود ، وكذا معانى الوفاء والصراع بين الحق والباطل وما أسفرت عنه الاسطورة بانتصار الحق ممثلا فى «حور» والعلاقة بينه وبين أبيه الملك القديم حيث لعب العامل السياسى دوره مع العقيدة لصالح الملك الحى[3] ، ولقد سجلت هذه الأسطورة أول ما سجلت ضمن «نصوص الأهرام»[4] ، واتصلت فى تفاصيلها بتاريخ الملكية المقدسة .

= تاسوع أون «هليوبوليس» الذى لم يتكون الا من اضافة الهه اسطورة «أوزير» إلى الالهة المحلية ، أنظر :

ارمان (أدولف) ، رانكة (هرمان) : نفس المرجع السابق ، ص ٨٠ .

(١) Breasted, J., OP. Cit., P. 59.

(٢) Vandier, J., OP. Cit., P. 81.

(٣) Ibid., PP. 81 - 82.

(٤) ذكر أقدم وصف لأسطورة «أوزير» فى نصوص الأهرامات ولكنها لم تذكر بطريقة متتابعة وبدون ترتيب منطقى أنظر :

Ibid., P. 46.

وتحديد أصل «أوزير» نشأته يعد أمرا غامضا حيث يرى العلامة «مرسر Mercer» أن «أوزير» فى الغالب لم يكن مصريا لأن أغلب الأدلة حتى الآن تشير إلى بيت أساسى له فى الشرق متجاوزا حدود مصر ، بينما يرى «بتـرى Petrie» أن أوزير اله ليبى وليس آسيـوى(١) .

وعلى أية حال فلقد سكن الدلتا وحول جهرده نحو الأرض وأهتم تدريجيا بالزراعة وبشئون الرى التى تعطى الحياة لتلك المنطقة الخصبة ويبدوا أنه اتخذ منزله بـ «چدو» عند نقطة على الجانب الشرقى للدلتا فى مكان سمى فيما بعد «بر أوزير» (بلدة أبو صير الحالية)(٢) وانتشر نفوذه السلمى وإمتد للأماكن الأخرى حتى ممتلكات الآلهة «ايزيس» وأيضا ممتلكات «ست» الذى إعتبر إله وطنى صحراوى يمتد نفوذه من الشمال إلى الجنوب ولكنه اله محارب شرس يطالب «أوزير» بسلطات فى الدلتا وغيرها ولكن «أوزير» كمسالم تمكن من إقامة تفاهم بين تلك الآلهة الآدمية ونفوذها فى الدلتا وخاصة مع الزعيم والاله «رع» وأتباعه(٣) ، ونجح «أوزير» فى جلب الخير وادخال الزراعة كما نجح أهل الدلتا فى بسط نفوذهم مما أوغر صدر «ست» وأتباعه فى الصعيد وجعلهم يعلنون الحرب على «أوزير» وأتباعه فى الدلتا ونجاحهم فى ذلك وهو ما عبرت عنه الأسطورة بقتل «ست» لأخيه «أوزير» تلك اللحظة الحاسمة فى تاريخ هذا الإله حيث كانت بمثابة الامتداد المشار إليه من إله للخصب والنماء الأرضى إلى الـه للموتى ذو تأثير فعـال فى الأرض السفلى

---

(١) Bates, O., OP. Cit., P. 208.

(٢) Breasted, J., OP. Cit., P. 60.

(٣) Mercer, S.A., The Pyramid Texts vol IV, PP. 26 - 27.

وخلال ذلك أصبح ممثلا لمفهومين فى الحياة المصرية ، المفهوم الأول ونعنى به اله النماء والخصب الأرضى ذو الأهمية القصوى لطبقة الشعب المصرى من الفلاحين حيث الوجود عندهم متعلق بالخصب عن طريق فيضان النيل وتلك التروة تؤثر بالتالى فيما على وجه الأرض من نباتات وما يتبع ذلك من محصول وحياة ثم يأتى بعد ذلك المفهوم الآخر كإله للموتى[١] .

ويشير أقدم مصدر لدينا وهو «نصوص الأهرام» إلى حادث الاغتيال واغتصاب عرش «أوزير» بالعبارة الآتية :

«... لقد أوقعه أخوه «ست» على جنبه فى الشق الأبعد
من أرض «جحستى Ghsti»

أو «بعدما أوقعه أخوه «ست» فى أرض «نديت»[٢] .

وهناك وثيقة أخرى ترجع إلى عصر الأهرام تقول : لقد أغرق أوزير فى مائة الجديد «الفيضان»[٣] ، بمعنى أنه ذبح وألقى به فى المـاء[٤] .

ولقد تعددت القصص والروايات حول كيفية مقتل الاله «أوزير» وكذلك المكان الذى تم فيه هذا القتل مثله مثل أشياء كثيرة فى الاسطورة فالبعض يفسره بأنه حدث فى منطقة «الغزلان» وهى مكان مفتوح حيث يتقابل النماء والخصب من الصحراء وقد يكون هذا دلالة علـى طبيعـة كل مـن «أوزيـر» باعتبـاره النيـل «وست» باعتباره

---

(١) Mercer, S.A., The Pyramid Texts, Vol 1, N.Y. 1952 P. 173.

(٢) أنشودة «لاوزير» فى المكتبة القومية بباريس نصب رقم ٢٠ نشرها الدران .

(٣) Vandier, J., OP. Cit., P. 45.

(٤) OTTO, E., Osiris und Amun, 1966, P. 24.

وكـذا : Breasted, J., H., The Dawn of conscience, P. 98.

الصحراء[١] ، والبعض يعتبر «نديت» بأنها رمز للصعيد[٢] ، وكذلك قد يكون المكان رمزيا لتوضيح أثر الاله الميت الذى قتله «ست» فى أحراش الدلتا وأخذ أعضاءه وألقاها فى مختلف أقاليم الوادى حتى لا تستطيع «ايزه» (ايزيس) أن تعثر عليه مرة أخرى[٣] ، وفى هذا دلالة على وجود «أوزير» فى كل مكان حيث يستطيع أن يؤثر على النماء والخصب والأرض والموتى كما سيتضح فى نهاية الاسطورة .

والنصوص تصف وفاء الزوجة لزوجها التى أخذت تبحث عنه دون كلل فى كل أنحاء مصر وتعاونها فى بحثها أختها متحلتين بأقدس مظاهر التعبير عن الحزن الذى عرفه قلب الانسان المصرى القديم :

«... لقد أتيت باحثة (مع اختها نبت حت)

عن «أوزير»

«... ايزة تأتى «ونبت حت» تأتى احدهما على اليمين والأخرى على اليسار احدهما كعصفورة (و «نبت حت» على شكل حدأة»)[٤] .

ولقد وجدوا «أوزير» (كما أوقعه أخوه «ست» على الأرض فى «نديت»)[٥] .

ثم جلست «إيزه» مع أختها بجانب الجثة (لوحة رقم ٧) وأخذتا ترددان النشيد الآتى الذى أصبح فيما بعد نموذجا لتلك المناسبات الجنازية :

---

(١) OTTO, E., OP. Cit., P. 26.

(٢) عبدالعزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، ص ٣٢٧ .

(٣) عبدالحميد زايد : أبيدوس ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٨ .

(٤) Mercer, S., A., OP. Cit., Pyr. 972 "A", P. 173.

وكـذا : Vandier, J., OP. Cit., PP. 46 - 47.

(٥) Mercer, S., OP. Cit., Pyr, 1255 "A" - 1256, P. 207.

«... إرجع إلى منزلك ، إرجع إلى منزلك ، أيها الإله «أون» عد إلى منزلك ، أنت الذى لا أعداء لك . أيها الشاب الجميل ارجع إلى منزلك لترانى فأنا أختك التى تحبها ويجب ألا أفقدك أيها الطفل الجميل عد إلى منزلك .. إنى لا آراك الآن ومع ذلك فقلبى يفيض حبا لك وعيناى تتلهفان عليك . عد إلى تلك التى تحبك ، التى تحبك يا «أون نفر» المبرر أو المنعم ، عد إلى اختك .. عد إلى زوجتك .. إلى زوجتك أنت الذى جحد (وقف) قلبك .. عد إلى زوجتك فأن أختك من أم واحـدة فيجب ألا تبعد عنى،فالآلهة وبنو البشر يتوجهون إليك باكين إياك.

أناديك وأبكيك حتى يسمع صوتى فى السماء ولكنك أنت لا تسمع صوتى بينما أنا أختك التى أحببتها على الأرض ولم تحب غيرها يا أخى ، يا أخى»(١) .

وتجىء «ايزه» و «نبت حت» لتعانقا أخاهما أوزير ، وتبكيان من أجل أخيهم «ايزه» و «نبت حت» يبكون على أخيهم «إيزه» تجلس ويداها فوق رأسها ، «إيزه» تجلس وذراعاها قد أمسكت نفس حلمتى ثدييها بسبب أخيها(٢) ثم تقوم الأختان بتحنيط جثمان «أوزير» لحفظه من البلى ، يساعدهم فى ذلك «أنوبيس»(٣) .

---

(١) أ. ارمان : نفس المرجع السابق ، ص ٨٦ .

(٢) Mercer, S., A., Pyr. 1281 B, P. 210.

(٣) Ibid., Pyr. 1257, P. 207.

وفى أثناء ذلك استعانت «إيزه» بكل الآلهة والقوى السحرية حتى تمكنت من اعادة روحه إليه لفترة من الوقت حملت منه أثناءها حملا الهيا حيث أنجبت «حور» وريثا شرعيا لاستعادة حق أبيه وعرشه المغتصب(١) .

ويرى «اوتو Otto» أن التفسيرات المتأخرة أوضحت لنا ذلك الحدث المحاط بالأسوار فـ «إيزه» الباز (نوع من الصقور) أسدل الستار على جسدها واستقبلت مولودها .

وهذا التصور يبدو ذا مغزى هام يمكن ادراكه أنه يذكرنا أن الموتى يستطيعوا أن يهبوا الأحياء الخصوبة ومن هذا التصور نخرج بان الاله جسد الخصوبة الأرضية ولذلك قوته المؤثرة الناتجة عن ما هو تحت الأرض وحين تتجسد الفكرة فى شكل اله ميت ينتج الأثر الموروث ونعنى به منح الحياة الجديدة للابن من الموت(٢) .

وهناك فى الدلتا قامت «إيزه» على تنشئة طفلها باذلة له كل مشاعر الأمومة الصادقة حامية إياه من كل مكائد وحيل عمه «ست» حتى شب وبلغ مبلغ الرجولة وعقد له أتباع «أوزير» قيادتهم لاستعادة نفوذهم القديم وجاهدوا تحت شعار مدينة «بوتو» إحدى عواصم عبادة «حـــور» .

---

(١) Ibid., Pyr. 632 A, 633 B, P. 126.

وكـــذا :

Vandier, J., OP. Cit., P. 47.

(٢) Otto, E., OP. Cit., P. 28.

وكـــذا :

أ. ارمان ، نفس المرجع السابق ص ٤٨ ـ ٥٠ حيث يرى أن الاله «أوزير» تنسب إليه كل التطورات التى تحدث على سطح الأرض طوال العام فإذا ما جف النبات وفنى فإن معنى ذلك أن «أوزير» قد مات ولكن سرعان ما تعود إليه الحياة مرة أخرى وبعودتها تنبت المزروعات والمياه التى تجف أيضا سرعان ما تعود من جديد بعودة الفيضان أو بعودة «أوزير» الماء الجديد .

«... يا أوزير حور حضر يبحث عنك وتسبب فى تحرل «تحوت وأتباع ست نحرك ليحضرهم إليك مجتمعين .

قد جعل قلب ست خجرلا ، أنت أعظم (أو أكبر سنا) منه أنت خرجت قبله رقدراتك أحسن منه .

(الاله) «جب رأى قدراتك (ما تتمتع به) وقد وضعك فى مكانك . (الاله) «جب» أحضر إليك أختاك إلى جانبك إيزه ونبت حت ، حرر جعل الالهة تتحد معك[١] ليتآخرا معك فى اسمك ذلك صاحب القصرين وليس ليرنفضرك فى اسمك ذلك صاحب القصرين لقد جعل الآلهة تنتقم لك «جب» رضع نعل حذائه على رأس أعدائك من يخافك ابنك حرر يعجب به[٢] .

وتستمر المعركة بين «حرر» و «ست» رأتباعهما وتشتد ضراوة المعارك حتى يفقد «حرر» عينه ، غير أن الاله «تحرت» ينجح فى استعادة عين «حرر» الذى* يقدمها لأبيه من أجل استعادته الحياة .

ويصف النص ذلك :

---

(١) Mercer, OP. Cit., Pyr. 575 A - 577 B., P. 118.

(٢) Ibid., Pyr. 577 "C" - 578 P. 119.

(*) هذه العين أصبحت رمزا لكل القرابين المصرية ، انظر :

Vandier, J., OP. Cit., P. 47.

وكـذا :

Breasted, J., H., The Down of conscience, P. 102.

«... حور طليق من قيده ليعاقب أتباع ست ليقبض عليهم ويقتلع رؤوسهم وكذلك يخلع أرجلهم اقطعهم وانتزع قلوبهم

واشرب دماءهم .

عد قلوبهم وفى هذا يسمونك «انوبيس» عداد القلوب ، الأرواح والنجوم يخشونك .

الموتى يسجدون على وجوههم أمامك ، الموتى المباركين يعتمون بك . يعطيك ابنك السعادة والرضا(١) .

تقول يا حور : ليت «جب» يقدم عطاءا لأوزير ، يا أوزير «جب» أعطاك عينيك راضيا خذ لنفسك عينى هذا الكبير ، «جب» جعل حور يعطيك اياهما لتكون راضيا بهما إيزه ونبت حت وجدتاك.حور عنى بك ، حور جعل إيزه ونبت حت تحرسانك واعطتاك لحور ليكون راضيا بك .

انه لمتع لحور أن يكون معك باسمك «ذو الأفق» حيث يمضى «رع» فى أحضانك وفى اسمك الذى من داخل القصر لقد أغلقت ذراعيك حوله . حتى تتمدد عظامه ويصبح فخورا . يا أوزير خذ نفسك لحور ، قرب نفسك منه ولا تبتعد عنه حور حضر وتعرف عليك ، لقد أحضر ست اليك لأنك «كـائه» ،

---

(١) Mercer OP. Cit., Pyr. 1285 "B" - 1289 "B" P. 211.

حور جعله يخافك لأنك أعظم منه ، أنه يحوم تحتك ويحمل فيك واحدا أعظم منه ، ولاحظ أتباعه أن قوتك أعظم منه ، حتى لا يتجسدوا ويقاوموك .

حور يحضر ويرى فيك والده لأنك شاب فى اسمك «الذى من الماء الطازج».

حور قد فتح فمك ، يا أوزير لا تحزن ولا تزمجر ، جب احضر اليك حور ليعد لك قلوبهم ، لقد احضرت لك الالهة مجتمعة ولا يمكن أن يهرب منك أحد ، حور قد انتقم لك ولم يتأخر فى أن ينتقم لـــك(١) .

«حور كان يئن من أجل عينيه وست كان يئن من أجل خصيته عين حور جحظت بينما وقع (هو) على مرمى البصر من مجرى الماء ليحمى نفسه ضد (أو يحرر نفسه من) ست تحوت رآه على مرمى بصر من مجرى الماء عين حور جحظت على مرمى بصر من مجرى الماء(٢) .

«... يا أوزير انهض

حور يأتى ويطلبك من الآلهة ـ حور أحبك ، زودك بعينه حور أعطاك عينه ، حور فتح لك عينك لترى بهـــا(٣) .

---

(١) Ibid., Pyr 583 "A" - 591 "A" P. 120.

(٢) Ibid., Pyr 594 A - 594 (c) P. 121.

(٣) Ibid., Pyr 609 "A" - 610 "A" P. 122.

وفى موضع آخر :

«... يا أوزير انهض حور جعلك تنهض جب جعل حور يرى والده فيك باسمك ذى القلعة الملكية ، حور أعطاك الالهة ليضيئوا وجهك حور أعطاك عينيه لترى بها .
حور وضع أعداءك تحتك .
ليحملك كى لا تبعد عنه .
لتعود ثانية بحالتك الأصلية والآلهة أعطتك وجهك حور فتح لك عينيك لترى بها باسمها فاتحة الطريق لقد عاتبوه بشدة ورائحته شريرة حور وضع لك فمك مع عظامك ، حور فتح لك فمك وابنك الحبيب قد ثبت لك عينيك .
حور لا يرضى بأن يكون وجهك غير قادر على الرؤية(١) .

ويتوقف القتال ويعرض أنصار «حور» الأمر على آلهة الدولة الحكماء فى «أون» ويحضروا جثمان شهيدهم «أوزير» ليكون دليلا واضحا على اعتداء وغدر «ست» به ، وينكر «ست» انه بدء بالعدوان والشر مدعيا أن «أوزير» هو الذى تحداه ونزل أرضه .

«... حور يأتى ، تحوت يظهر ، رفعوا أوزير من جنبه جعلوه يقف (كالرئيس) بين اثنـين من الآلهة فى منزل الأمـير «بهليوبوليس» قال ست : لم أفعل هذا ضده ولم أضربه»(٢) .

---

(١) Ibid., Pyr 640 A - 644 "B" P. 127.

(٢) Ibid., Pyr 956 (B) - 958 "A" P. 171.

غير أن الآلهة فى نهاية الأمر لم تأخذ بما قاله ست واعتبروا أوزير «ماع خرو» أى مبرأ وصادق الصوت (   ) واحتفلت الالهة فى كل مكان من أرض مصر وفى الجهات الأربعة فى السماء والأرض بانتصار الحق متمثلا فى «أوزير»* .

وتصف النصوص ذلك :

«... أوزير يشرق ، طاهر ، قوى ، عال ، سيد الحقيقة فى أول العام ـ سيد العام» .

أتوم "Atum" أبو الآلهة مسرور ، شو وتفنوت مسرورين جب ونوت مسرورين[١] .

أوزير وإيزه مسرورين، ست ونبت حت مسرورين ، كل الآلهة فى السماء مسرورة وكل الآلهة على الأرض مسرورة ، كل آلهة الشمال والجنوب مسرورة وكل آلهة الغرب والشرق مسرورة ، كل آلهة المقاطعات مسرورة وكل آلهة المدن مسرورة من الكلمة الكبيرة والجبارة التى تخرج من فم «تحوت» «بخصوص أوزير ، خاتم الحياة وخاتم الالهة . انوبيس عداد الالهة يطرح أوزير من الآلهة التى تنتمى إلى الأرض ويعينه ضمن الآلهة التى فى السماء ...» .

(*) «الفصل الأخير من هذه الأسطورة وصفته قصة كتبت فى العهد المتأخر من عصر الدولة الحديثة وتعرض الأمر كأنه نزاع قانونى استمر نحو ثمانون عاما ، انظر :

أ. ارمان : نفس المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(١) Ibid., Pyr 1520 "A" - 1521 "A" P. 239.

ويرى الدارس أن هذا يعنى وجوده ضمن آلهة السماء ، كما أشارت النصوص أيضا إلى ارتباطه بالبيئة بوصفه كماء خصب[(١)] .

«... أنت والد حور الذى خلفه باسمك فخلف الطيور قلب حور مغتبط لأن اسمك أول الغربيين ...»[(٢)] .

ولعل من الأشياء التى تستوجب النظر ما عبرت عنه الأسطورة من قيم فاضلة فإخلاص الزوجة لزوجها وبر الأبن بأبيه والحنان والحب الخالص من الأنانية من الوالدين نحو الأبناء ونصرة الأبناء لوالديهم كلها أدلة على أهمية السلوك الفاضل داخل الأسرة باعتبارها العامل الأول فى ظهور الأفكار الخلقية[(٣)] ، والتى كان التمسك بها يعد من مميزات المجتمع المصرى القديم والأمثلة عديدة فى التاريخ المصرى القديم على ذلك .

وكمثال من عصر الدولة القديمة يتضح فيه بر الأبن بأبيه حيث يقص «سيبنى Sebny» (الأسرة السادسة) حارس البوابة الجنوبية على جدران مقبرته بأسوان عن قيامه بدون تردد برحلة تكتنفها المخاطر إلى بلاد النوبة بمجرد سماعه أن والده قتل فى تلك الأنحاء وذلك لكى يحضر جثمانه ليحنط وتجرى له الطقوس اللازمة[(٤)] ، ونتيجة لنجاحه فإن الملك قد كافأه على ذلك بمنحه قطعة من الأرض[(٥)] .

---

(١) Ibid., Pyr 1521 B - 1524 "A" P. 239.

(٢) Ibid., Pyr 650 B - 650 P. 129.

وكـــذا :

وصلتنا هذه الاسطورة فى عصور متأخرة من أكثر من مصدر ومنها ما ذكره «بلو تارخ» وغيره من المصادر اليونانية الأخرى وبأسماء يونانية وهى تتفق فى كثير مع أقدم نص لهذه الاسطورة عن مزيد من التفاصيل انظر :

(٣) Breasted, J., H., OP. Cit., P. 116.

(٤) توجد مقبرة «سبنى Sebni» على البر الغربى من أسوان ، نشر نصوصها

De Morgan, Catalague des Monuments 147, 148,

انظر : نقش سبنى وتفاصيل رحلته :

Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt, P.P. 164, 169.

(٥) Ibid., P. 169.

وكـــذا : Vercoutter, J., OP. Cit., P. 326.

أيضا ذلك الحكم الذى صدر لصالح «أوزير» بانتصاره وهو ما عبرت عنه كلمة صادق أو حق أو عدل[١] ، أو بمعنى آخر مبرأ «صادق الصوت»[٢] ، فان هذه الكلمات تدل فى معناها على معنى خلقى كان لها صداها أثناء عصر الدولة القديمة وعصر الدولة الوسطى واستخدمت بالمعنى الخلقى .

وكذلك يمكن أن نستنتج من نتيجة الأسطورة أن سلوك الإنسان وأفعاله قد خرجت من النطاق الضيق فى الأسرة وأصبح السلوك عرضة للحكم عليه بالصواب أو الخطأ من المجتمع لأن قيم الانسان وأفكاره ترتبط بحياته العملية وبسلوكه داخل المجتمع[٣] .

ونتيجة لأزدياد أهمية «أوزير» وأسطورته ذات المغزى الطيب وانتشاره أى انتشار ـ أوزير التدريجى فى المجتمع المصرى القديم وخاصة بين عامة الشعب (الطبقات الدنيا)[٤] ، وإنعكاس ذلك فى الخلود فى اسم «أوزير» ومحاكاته باعتباره تتمثل فيه الناحية الخلقية باعتباره ملكا مؤلها حكم مصر وراثة عن أبيه «جب» بالعدل وعلم الناس الزراعة وهدى الناس إلى الخير ونشر بينهم العدل ثم تعرض لغدر أخيه «ست» ـ كما تناولته الأسطورة ـ فمات وبعث حيا وظلت ذكراه فى قلوب الناس تحمل معانى التقديس والإجلال ولهذا فإن كهنة «رع» قد مزجوا فكرة عودته للحياة ليضيفوا إلى ملوكهم نفس الصفات المجسمة فى «أوزير» ليعيشوا الحياة الدائمة كما عاش

---

(١) Breasted, J., H., OP. Cit., P. 123.

(٢) Mercer, S.A.B., OP. Cit., P. 239.

(٣) Breasted, J., H., OP. Cit., 122.

(٤) Ibid., P. 122.

«أوزير» نفسه ، ومن هنا أضافوا ذلك النزاع بين «حور» ابن «أوزير» ونزاعه مع «ست» لأغراض سياسية[١] .

ولذلك رأينا الكثير من النصوص على مقابر الملوك فى الأسرة الخامسة والسادسة يتضح فيها اهتمامهم بتحقيق العدالة فى الحياة الدنيا وحتى وفاة الملك فان النصوص تحكى عن تمسكه بالعدالة وهذا يعنى استمرار القيم الخلقية فى العالم الآخر أيضا ولذلك حرص الملك «أوناس» أن ينقش فى نصوص هرمه :

«... الملك «أوناس» خرج فى هذا اليوم ليتمكن من احضار العدالة معه»[٢] .

وبالإضافة إلى ذلك تضمنت النصوص أدعية تهدف إلى تمتع الملوك المتوفين بالسعادة والأمان بواسطة «أوزير» .

ولم يقتصر هذا التصور الاوزيرى على الملوك فقط وإنما تعداهم إلى فئات أخرى من المجتمع وإن بدت ظواهره خفيفة فى البداية[٣] ، حيث طالعتنا النصوص منذ الأسرة الخامسة والسادسة لبعض النبلاء ذكروا على جدران مقابرهم تأكيدات على حسن سيرتهم فى المجتمع وتوضيح حسن نواياهم وكأمثلة ما نقشه النبيل «هنكو Henku»[٤] ، بمقبرته فى مجال سرده للأعمال الطيبة بمجهوده الفردى :

---

(١) Ibid., P. 151.

(٢) Ibid., PP. 128 - 129.

(٣) أحمد بدوى : فى موكب الشمس ، جـ ١ ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ١٦٧ .

(٤) نقش «هنكو Henku» بمقبرته فى «دير الجبراوى» التى نشر نصوصها «ديفيز Davies» فى Davies Deir El-Gebroiu .

أنظـر :

Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt, P. 126.

«... أعطيت خبزا لكل الجائعين فى اقليمى وكسيت العارى وملأت شواطىء الاقليم بالقطعان الكبيرة والصغيرة...»

وفى مجال سرده بتحقيق العدل فى اقليمه يضيف :

«... أبدا لم أظلم أى شخص فى أملاكه الخاصة ، الأمر الذى يجعله يشتكى من أجله لاله المدينة ، تحدثت وقلت الطيب ولا يوجد أحد خائف ممن هو أقوى منه» .

ويفتخر برعايته لإقتصاديات إقليمه وتشجيعه لأهالى الأقاليم الأخرى بالإنتقال إلى إقليمه لتعمير وزراعة القرى المهجورة عنده بواسطة هذه الأيدى العاملة :

«... كنت محسنا للاقليم بقطعان الماشية فى الحظائر وكذا بالطيور وقمت بهذا فى كل ناحية ولم أتحدث كذبا لأنى كنت محبوبا من والدى مثنى على من امى ممتازا فى تصرفاتى لاخوتى ودودا إلى اختى...»(١) .

ولم يقتصر هذا المعنى الخلقى على ذلك بل أن بعض هؤلاء النبلاء رغبة منهم أن ينعموا بحياة سعيدة فى العالم الآخر قد أضافوا على مقابرهم ما يفيد بالمسئولية الخلقية والمحاسبة بواسطة الاله العظيم* ،

---

(١) Ibid, P. 126.

وكـذا :

Pirenne, J., La religion et la morale dans l'Egypte antique, P. 72.

وكـذا : عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

(*) ذكرت المحاكمة أمام الاله العظيم فى كتابات مقابر الدولة القديمة ، انظر :

أ. ارمان ، هـ . رانكة : نفس المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

مقلدين «أوزير» حيث يقول أحدهم «ببى نخت Pepi - Nakht»(١) .

«... بأنه لم يضر أحدا من الناس لأنه يرغب أن تكون أعماله حسنة فى حضور الاله العظيم ...»(٢) .

وفى نصوص تلك الفترة وضحت ضرورة العمل الصالح فى الحياة الدنيا حتى يعيش الانسان حياة سعيدة فى العالم الآخر وهو ما تعبر عنه النقوش الشائعة الآتية :ـ

وكمثال ما نقشه «حرخوف Harkhuf» فى مقبرته :

«... كنت ممتازا (محبوبا) من والده ، مثنى عليه من أمه محبوبا من كل إخوته أعطيت الخبز للجائع والملابس للعارى ونقلت فى سفينتى من ليس له قارب ...»(٣) .

وهو أيضا ما يؤكده أحد المواطنين ويدعى (نزيمب Nezemb) الذى تدل آثاره التى عثر عليها على احتمال انتمائه إلى الطبقة الوسطى حيث نقش على مقبرته :

«... كنت محبوبا من الناس ، أبدا لم أضرب أحد فى حضور أى موظف منذ مولدى ، أبدا لم آخذ (استولى) على ممتلكات أى رجل بالعنف (٤)...» .

---

(١) ببى نخت : أحد حكام مقاطعة الفنتين فى الأسرة السادسة تمتع بمكانة كبيرة فى عهد الملك «ببى الثانى» للعديد من الأعمال والحملات التى قام بها إلى الجنوب والشمال وهو ما توضحه ألقابه العديدة ، أنظر :

Breasted, J., H., OP. Cit., PP. 162 - 163.

(٢) Ibid., P. 162.

(٣) Ibid., P. 151.

(٤) Ibid., P. 125.

واتضح هذا المفهوم فى عهد الدولة الوسطى حيث معظم الناس يريدون لأنفسهم سمعة طيبة وحياة هادئة فى العالم الآخر وفى التعاليم التى لقنت للملك «مرى كارع» تحذير بيوم المحاكمة حيث القضاة يحكمون بالحق ،

«... لا تثق بطول السنين فانهم ينظرون لأمد الحياة كأنها ساعة ...»(١) .

ويرى الدارس أن الانسان المصرى القديم الذى يكن كل الاحترام والتقدير لآلهته عندما توصل إلى أهمية العمل الصالح وضرورة المحاسبة فى العالم الآخر فانه كان يضع أمام عينيه الهه «أوزير» وما تمثله قصته وأسطورته من عمل للخير وإجتناب الشر حيث كان الجميع ملوكاً ونبلاء وحتى آلهة عرضة لهذه المحاكمة(٢) .

ولقد استمرت فكرة الحساب والمسئولية طوال عصور التاريخ المصرى القديم بصورة أوضح من حيث المعانى المعنوية أو المادية لتلك الفكرة الخلقية الهامة* .

---

(١) أ. ارمان : نفس المرجع السابق ، ص ٢٥٥ .

(٢) Breasted, J., H., The Dawn of Conscience, P; 128.

(*) يتضح من النقوش الدينية وخاصة (كتب الموتى) الفصل ١٢٥ وهى مجموعة لفائف من أوراق البردى من الدولة الحديثة إلا أنها كانت فصول دينية متفرقة تطور بعضها عن «متون التوابيت» وألف بعضها الآخر بما يتفق مع تصورات عصره ويوضح فيها طريقة محاكمة المتوفى على ما فعل فى الحياة الدنيا من خير أو شر أمام المحكمة التى يرأسها الاله «أوزير» اله الموتى وتتكون هذه المحكمة من ٤٢ قاضيا يمثلون أقاليم مصر ويحاسب المتوفى بأن يزن قلبه بميزان احدى كفتيه به ريشة ترمز إلى كلمة «ماعت» بمعنى الصدق أو الحق أو العدالة ويوضع فى الكفة الأخرى قلب المتوفى وإذا كان صادقا عادلا دخل جنة «أوزير» وينعم بحياة هادئة فى العالم الآخر (لوحة رقم ٨) أنظـر :
عبدالعزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ .

وكان الإنسان المصرى القديم حريصا كل الحرص أن يبرأ من خطاياه وأن تكون نتيجة الحساب أو المحاكمة لصالحه ولذلك حرص كل ملك متوفى أن يؤلف الصيغ والعبارات التى تنعته بهذه الصفة وكانت هذه الصيغ قاصرة أولا على الملوك حيث رأينا نجاح المذهب الأوزيرى فى أن يفرض نفسه على مذهب الدولة فصار الملك ـ اعتبارا من عصر «أوناس» وما بعده فى الأسرة السادسة ـ يوحد مع «أوزير» المبرأ وصار الكهنة يضعون إسم الاله «أوزير» قبل اسم كل ملك متوفى مثل «أوزير تتى» أو «أوزير ببى» وهكذا ...(١) ، وفى نهاية الدولة القديمة أصبح لأوزير النصر وأصبح الموتى جميعا تحت حكم «أوزير»(٢) ، وبالتدريج أصبح من حق كل متوفى يتسم بالأخلاق الفاضلة أو يأمل أن يعيش حياة سعيدة نتيجة لأفعاله الطيبة أن يضيف إلى إسمه صفة «المبرأ» وأصبحت العادة منذ بداية الدولة الوسطى أن يضيف كل متوفى إلى إسمه هذه الصفة التى تنم عن إدراك لمعنى المسئولية الخلقية(٣) .

ومنذ عصر الدولة الوسطى أيضا كان بإستطاعة كل إنسان دخول مملكة العالم السفلى التى أطلق عليها «دوات Dwat»* مملكة «أوزير» الذى أصبح سيد الغرب "nb imnt" وإمام الغربيين(٤) .

وهكذا رأينا الإنسان المصرى القديم بعد أن برأ نفسه من خطاياه أصبح هدفه هو التمتع بالقربان الجنزى* الذى حرص

---

(١) Breasted, J., H., OP. Cit., P. 252.

(٢) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 313.

وكـــذا :

Erman, A., OP. Cit., P. 308.

(٣) Breasted, J., H., OP. Cit., 253.

(٤) أ. ارمان ، هـ . رانكة : نفس المرجع السابق ، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .

(*) القرابين عادة كانت تقدم للموتى بواسطة الأبناء نحو والديهم أو من عائدات الأراضى الموقوفة للأبد لهذا الغرض أنظر :

Vercoutter, J., OP. Cit., P. 314.

الانسان المصرى القديم على تقديمه إلى موتاه والتى كان لأوزير باعتباره اله الموتى دوره الهام فى تطور هذه الصيغ ، فمثلا إذا ما قرر أحد الأشخاص العبارات الآتية فى مقبرته :

«... قربان يعطيه الملك وقربان يعطيه «أنوبيس» ألف من الخبز وألف من الثيران وألف من الجعة وألف من الأوز لـ كا «فلان» ...»(١) .

ولذلك كان من الضرورى جدا فى الأعياد والمناسبات والجنزية أن يقوم الكاهن بترديد هذه الصيغة السحرية(٢) ، فانه يجعل من الممكن للمتوفى الاستمتاع بهذه الأطعمة ولقد أصاب هذه الصيغ السحرية تطور خاص فان «أوزير» الذى قتله «ست» وانتقم له ابنه «حور» قد عاد من جديد إلى الحياة وهذا المصير والبعث فى العالم الآخر هو ما كان يأمل إلى تحقيقه كل مصرى فهو يرغب أن ينعم بحياة مباركة كما حدث لأوزير وأن له فى ابنه وخليفته الأمل الكبير فى العناية بمقبرته وتمجيد ذكره كما فعل «حور» من أجل أبيه ، وبناء على ذلك استمر المصرى القديم يفخر بأنه أعاد تشييد وبناء مقبرة والده كما أخذ يؤلف الصيغ السحرية التى تتلى على غرار الصيغ التى كان يستخدمها «حور» من أجل أبيه «أوزير» أيضا ومن الأشياء ذات الدلالة فى هذا الموضوع أنه بدلا من أن يقوم الملك بعمل القربان للمتوفى مع الاله والالهة نجده بعد انتشار أهمية «أوزير» يقوم بتقديم القربان للاله الذى يقوم بدوره باعطاء جزء منه للمتوفى(٣) .

---

(١) Erman, A., OP. Cit., P. 308.

وكـذا : محرم كمال ، تاريخ الفن المصرى القديم ، القاهرة ، ١٩٣٧ ، ص ١١٧ .

(٢) شجع الكهنة اللجوء إلى السحر لتوفير الحماية للمتوفى بواسطة تعاويذ سحرية يمكن أن تحمى الأحياء وكذلك الأموات ، انظر :

VanFer, J., OP. Cit., PP. 204 - 205.

(٣) سليم حسن وآخرون ، مجلة تاريخ الحضارة المصرية ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ .

كل هذا أعطى هذه العقائد السالفة ـ التى كانت قاصرة على شخص الملك فى البداية ثم شملت عظماء مصر وجميع أفراد الشعب المصرى نتيجة انتشار عقيدة «أوزير» وقصته ـ الشكل المميز للعادات الجنزية للانسان المصرى القديم .

ويمكن القول أن نفوذ الاله «أوزير» ومصيره فى العالم الآخر قد أخذ ينتشر تدريجيا بين كل طبقات المجتمع ملوك وأمراء وكل أفراد الشعب المصرى القديم الذين اعتقدوا أن المقبرة الأصلية للاله «أوزير» توجد فى مكان فى الصحراء خلف أبيدوس .

(بالمنطقة التى يطلق عليها أم الجعاب حاليا)[١] ، معتقدين أن مقبرة الملك جر (من الأسرة الأولى) هى مقبرة «أوزير» وبذلك أصبحت مقبرته مكانا مقدسا وإكتسبت «أبيدوس» قدسية لا يماثلها أى مكان آخر فى مصر حيث دفنت هناك طوال عصور التاريخ المصرى القديم فئات كثيرة من جميع الطبقات والأماكن لكى يكونوا أكثر قربا من الاله «أوزير» وينعموا برضائه[٢] .

> «... حتى يتقبلوا عطايا البخور والقرابين الالهية على مائدة سيد الالهة وحتى يقول لهم عظماء أبيدوس مرحبا (المقصود بذلك الآلهة) وحتى يمنحوا مكانا فى قارب «نشمت Nšmt» فى الأعياد الجنازية»[٣].

---

(١) أم الجعاب : ساد اعتقاد فى الدولة الوسطى أن قبر الملك «جر Ḏr» خاص بالاله «أوزير» ولهذا وضعوا القرابين فى قبره لتقديسه حتى ازدحمت الأوعية التى كانت تحمل فيها هذه القرابين ولذا أطلق على هذا المكان «أم الجعاب» أى صاحبة الأوانى أنظر :

عبدالحميد زايد : أبيدوس ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٩٤ .

(٢) Hayes, W.C., The Scepter of Egypt, New York, P. 81.

(٣) أ. ارمان ، هـ . رانكة : نفس المرجع السابق ، ص ٣٤٠ .

كما انتهز كل انسان الفرصة لكى يقيم بنفسه بتلك المنطقة المقدسة قبرا له وإذا تعذر ذلك لأى سبب من الأسباب فانه يقيم قبرا وهميا له أو لوحا تذكاريا ينقش عليه إسمه وأسماء أقاربه والدعوات والصلوات للاله العظيم ، وحرص بعض حكام الأقاليم فى حالة دفنهم بمكان اقامتهم أن يحمل جثمانهم إلى مقر اله الموتى فى رحلة هامة إلى تلك المنطقة والعودة ببعض الأشياء معهم حيث تودع معه فى قبره بعد عودته إلى إقليمه الأصلى .

وكمثال على ذلك وجد فى أحد النصب التذكارية التى شيدها هناك «ايخر نفرت Yhr nfrt»[1] ، فى أبيدوس وفيه تتحدث عن تلك المناسبة الهامة :

> «... ان جلالته أرسله صاعدا النهر إلى أبيدوس لوالده الاله «أوزير» أول الغربيين ليجمل مكانه المقدس بالذهب الذى أتى به جلالته من النوبة العليا فى انتصاره...»[2] .

ويتضح من العبارات أن «ايخر نفرت» كان مرسلا من قبل الملك للقيام ببعض الإصلاحات والنقوش بمعبد الاله «أوزير» الذى يكن له الجميع الحب والتقدير ولهذا فإن «ايخر نفرت» قد إنتهز تلك الفرصة لكى يدون هذا ويشارك فى الاحتفالات المقدسة التى كانت تقام للاله «أوزير» وما يرافقها من احتفالات تمثيلية لأسطورته وأهم أحداث حياته وموته وانتصاره الأخـــير وهى التى كانت تمثل بواسطة الكهنة

---

(١) ايخر نفرت Yhr nfrt : من نصه التذكارى بأبيدوس والموجود حاليا فى متحف برلين ، انظـــر :

Breasted, J., H., OP. Cit., P. 297.

(٢) Ibid, P. 298.

أمام جموع الشعب الذى حرص على شرف المشاركة فى هذا الاحتفال(١) ، ويصف «ايخر نفرت Yhr nfrt» ذلك :

«... ولكى أعرف كيف يؤدى الكهنة طقوسهم اليومية
لأعياد بداية الموسم ، راقبت العمل (من) على
المركب المقدسة ...»(٢) .

ويبدو من وصفه للمشاهد المعبرة عن قصة الاله «أوزير» وما تحمله من معانى انتصار الخير والحق ومعانى الخلود ووجود هذه القيم لان الإنسان جزء منها حيث يصف مشاركته لهذا الإحتفال الذى يتقدمه حارس الجبانة القديم «وب واوات» ويشارك مع غيره ومنهم صاحب النص فى صد هجوم الاعداء وابعادها عن المركب المقدسة للاله «أوزير» ويشير إلى احداث موت الاله وانتقاله إلى العالم الآخر واشارة صاحب النص أنه قد سار فى ذلك المركب العظيم للاله حتى مقبرته (مقبرة الملك جر) التى اعتبرت خطأ قبر الاله أوزير .

ويلاحظ أنه لم يقص كثيرا عن موت الاله وقد يكون ذلك مقصودا من الكهنة الذين احتفظوا ببعض أسرار هذا الاله لتكون وقفا عليهم دون سواهم وربما يرجع هذا أيضا لمكانة «أوزير» التى تجعلهم يتحدثون عنه بتحفظ شديد وهو ما قصه لنا «هيرودوث» و «بلوتارخ» فيما بعد(٣) .

ثم يصف النص :

«... ذبحت كل الأعداء من خلال الـ (-) نديت لقد
أسعدت قلـوب ساكنى الشرق (-) وأسعدت

---

(١) Breasted, J., H., The Dawn of Conscience, P. 245.

(٢) Breasted, J., H., ARE., P. 299.

(٣) Wilkinson, G., OP. Cit., P. 12.

الغرب لأنهم أحضروا (الاله أوزير أول الغربيين)
لأبيدوس لمكانه ...»[١] .

ويبدو من الكلمات السابقة أنها تمثل انتصار «أوزير» وابنه «حور» على «ست» واتباعه والسرور الذى انتاب أهل الشرق الاحياء وأهل الغرب الموتى حينما رجع إلى مكانه مسترجعا حقه وحق ابنه[٢] ، والاحتفال يحمل ويؤكد مغزى خلقى هام وهو ضرورة المطالبة بالحق وبكل الطرق المشروعة من قتال واحتكام حتى يرجع الحق وينتصر الخير وفى هذا دلالة على انتصار معانى الحق والايمان والحب وتغلغلها فى كل النفوس والطبقات ويمكن تلمس ذلك أيضا من حرص أحد الموظفين ويدعى «سيستت» على أن يقيم نصبه التذكارى فى أبيدوس حيث يقص فيه اغتنامه لرحلة عمل لأبيدوس بتكليف من «سنوسرت الثالث» لكى يقيم نصبه هذا الذى يبدأه بالدعاء لوالده وأقربائه ورغبته أن يؤمن لأسرته (ولنفسه) رضاء أوزير (عنهم) فى العالم الآخر[٣] .

ولقد شاهد الانسان المصرى القديم فى بيئته الزراعية النيل يفيض ثم ينحسر ويعود والزرع ينمو حتى إذا جاء ميعاده المحدد حصده الانسان وأعد العدة لغيره وكذلك شاهد مظاهر الكون من حوله الشمس وتجددها والأيام وتجددها وهكذا كل الظواهر خالدة وهو جزء منها ووصل بفكره فى ذلك العصر إلى ضرورة عودته فى العالم الآخر وإلى ضرورة رضاء الهه «أوزير» عن عمله الصالح حتى يبعث فى حياة سعيدة هادئة .

---

(١) Breasted, J., H., ARE., P. 300.

(٢) Breasted, J., H., The Down of conscience, P. 246.

(٣) Breasted, J., H., ARE., PP. 300 - 301.

وفى أحيان كثيرة يقوم أهل الموتى قبل دفن موتاهم فى الجبانة المحلية بزيارة شخصية لأوزير وقبره ، حيث كانت تلف المومياء فى أقمشة كتانية مطرزة توضع فوق ظهر سفينة وعليها الكهنة يؤدون الطقوس وينشدون الأناشيد ترافقهم سفينة أخرى تضم أقارب وأصدقاء الميت وعند وصول قارب الميت إلى أبيدوس فانه يحيى الاله «أوزير» بالكلمات الآتية التى توضح مكانته وإنتشار عقيدته .

«... السلام عليك أيها الاله العظيم يا سيد «تاور» (بما يعنى الضاحية الدينية فى أبيدوس) العظيم فى أبيدوس ، لقد أتيت إليك يا سيدى فى سلام (يقصد بذلك رحلته الجنزية) فكن بى عطوفا فأنت صاحب العطف واستمع لندائى ولب ما أقوله فانى واحد من عابديك ...»(١) .

وهكـــذا أصبحت «أبيدوس بعد نهـاية الدولة القديمة مـكانا مقدسا(٢) ، وأصبحت الرحلة إليها بمثابة الحج لدى المصرى القديم حيث وجد فيها الاله الخير اله الموتى «أوزير» وبالطبع حلت أبيدوس والرحلة إليها محل ما يسمى «بالحج القديم الذى كان يقام فى عين شمس(٣) ، والدليل على ذلك اللوحات الجنازية الموجودة فى أبيدوس» من كل أنحاء مصر التى أقامها المصريون القدماء عند زيارتهم قبر «أوزير» ومدينته المرتبط كل منهم بالآخر .

وكما يرى الدارس فان «أوزير» قد تعدت أهميته كاله للطبيعة والبعث والخلود تلك المظاهر التى كان لها أثرها فى العقيدة الدينية إلى

---

(١) أ. ارمان ، هـ . رانكة ، نفس المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

(٢) Erman, A., OP. Cit., P. 309.

(٣) سليم حسن وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٥٥ .

تأثيره أيضا فى الأحداث السياسية بطريق مباشر أو غير مباشر فى تلك الفترة بها أواخر الدولة القديمة وعصر الانتقال الأول ، حيث رأى الانسان المصرى القديم فى النصف الأول من الدولة القديمة نجاح الملك الاله ـ الذى كان يمسك بيده كل مقاليد الأمور ـ فى توفير الخير والاستقرار للمجتمع فير أن الانسان المصرى فى النصف الثانى من الدولة القديمة لمس بنفسه مظاهر اهتزاز الملك وعدم مقدرته على تحقيق كافة الجوانب الخيرة المطلوبة لذلك المجتمع .

ولابد أن قصة الاله الخير والملك الصالح «أوزير» قد تمكنت منها عوامل الشر على نحو ما رآه فى الأسطورة وأيضا فى واقع حياته ومن هنا لجأ أنصار الخير الشامل لكافة أفراد المجتمع يتطلعون إليه ويلتمسونه فى كل مكان وكان انعكاس ذلك الطبيعى تلك الثورة الإجتماعية التى عبر عنها الإنسان المصرى القديم فكرا وعملا فى عصر الإنتقال الأول والتى كان من أهم أفكارها ضرورة العمل الصالح كما سيجىء فى الفصل التالى .





الفصل الرابع :

الثورة الإجتماعية ودورها فى مفهوم المثل العليا لدى الإنسان المصرى القديم .

(٢٢٨٠ ـ ٢١٣٤ ق.م)



تعد تلك الفترة التى مرت بها مصر القديمة والتى اصطلح على تسميتها بعصر الفترة الأولى أو بعصر الثورة الإجتماعية الأولى وغيرها من المسميات من أهم فترات تاريخها لما ساد فيها من روح جديدة لم يعرفها الإنسان المصرى القديم من قبل والتى نتجت عن إنقلاب الأوضاع السياسية والاقتصادية للمجتمع وبالتالى تصدع بناء الدولة على أثر الثورة الإجتماعية والتى تناولتها «بردية ليدن Leiden»(١) ، وغيرها من الوثائق المعبرة عن الحيرة واليأس اللذين انتابا الإنسان المصرى القديم عندما رأى أن مجتمعه بما يحويه من آلهة يكن لها كل الخشوع والتقدير وحياة مستقرة ثابتة كالأهرام فى خلودها ، كل هذا قد انقلب وتداعى ودبت فيه مظاهر الضعف والإنحلال .

وتناولت الأعمال الأدبية التى خلفتها تلك الفترة كل مشاعر الدهشة والألم الذى أصاب مصر فى تلك الفترة فكان ذلك التشاؤل إلى النفس ومحاسبتها وهو هذا الإزدواج فى الفكر الذى وضح تماما فى حوار ذلك الرجل الذى دفعه الألم والبؤس والفقر فى حياته إلى محاولة الإنتحار(٢) .

وإتجهت نصوص تلك الفترة إلى إقتراح حلول مختلفة للقضاء على ما يتهدد حياتهم من فوضى شاملة والرغبة فى وضع قيم جديدة قد يكون فى بعضها تخلص من تلك القيم القديمة المنهارة والاعتماد على أسس إنسانية جديدة وقيام حاكم عادل إفتقدته البلاد مما يحيى الأمل فى إعادة الأمان والإستقرار والخير أو بمعنى آخر توفير العدل الإجتماعى لهذا المجتمع .

---

(١) Hayes, W., C., OP. Cit., P. 135.

(٢) Wilson, J., OP. Cit., PP. 206 - 207.

وعلى الرغم من إتفاق المؤرخين عن غموض الأسباب التى أدت إلى إنهيار حكومة الدولة القديمة بإنتهاء حكم الأسرة السادسة ، إلا أن هذه هى النهاية المنطقية للتطور فى التداعى الذى بدأ تقريبا منذ منتصف الأسرة الخامسة حيث أصبحت الوظائف الهامة فى الدولة وخاصة فى الأقاليم مقصورة على عائلات معينة من كبار ملاك الأراضى ثم أصبحت الوظائف وراثية(١) .

وكما يرى «ولسون Wilson» أن العامل الإقتصادى كان له أثره الفعال ـ بجانب العوامل الأخرى ـ فى ذلك الضعف الذى هدد كيان الدولة المصرية وأجمل عدة أسباب منها عبء تشييد مبان تهدد إقتصاد الدولة مثل قيام كل ملك جديد ببناء مقبرة له وتخصيص المخصصات والأوقاف الدائمة للإنفاق على مقابر الملوك والملكات والأمراء الأمر الذى يحرم الدولة من جزء كبير من الدخل نتيجة حرمانها من هذه الأوقاف ، كذلك إحتمال إنقطاع الموارد التى كانت تأتى من التجارة الخارجية وخاصة حينما عجز الملوك عن توفير الأمن والإستقرار فى البلاد وفى الأنحاء البعيدة فى بلاد النوبة والسودان وغيرها مما كان له أثره السىء على مصر اقتصاديا وسياسيا(٢) ، بالإضافة إلى محاولة الملوك كسب رضاء وتأييد حكام الأقاليم المختلفة مما أدى إلى إزدياد روح الثقة بالنفس بين هؤلاء الحكام فاعتبروا أنفسهم إما سادة الاقليم أو موظفى الملك تبعا لقوة أو ضعف الملكية ، وفى الوقت الذى كان فيه ميراث الوظيفة والمكانة منحة دينية من الملك الاله الذى يملك كل شىء بما فى ذلك عالم الآخرة فان هذه المنحة أصبحت حق سياسى ، نتيجة ضعف الملوك وبالتالى أصبح حكام

---

(١) Erman, A., Ranka, H., La civilisation Egyptienne, Paris, 1963, P. 112.

(٢) Wilson, J., OP. Cit., PP. 98 - 100.

الأقاليم ملوك على مصر أو إذا شئنا الدقة على جزء كبير من أقاليم مصر كما أصبح حاكم الإقليم رغم مظاهر التقرب والخضوع الإسمى للملك البلاد يحكم الاقليم ويجمع حوله الحاشية وتؤرخ الأحداث حسب توليه حكم الاقليم كما لو كان ملكا .

وهكذا أصبح حكام الأقاليم بما يملكون من قوة وثروة من العناصر التى تهدد السلطة المركزية المتمثلة فى الملك ، ومما يشير إلى التداعى أن المقاطعات أصبحت لها نفس أهمية العاصمة .

كذلك أيضا فقد لجأ الملوك فى النصف الثانى من عهد الدولة القديمة إلى محاولة كسب وتأييد الكهنة إلى جانبهم عن طريق الاكثار من بناء المعابد لهم ووقف الأوقاف عليها وإصدار الأوامر الملكية بخصوص الإعفاءات الممنوحة لها ، وقد عثر على عدد من هذه الأوامر الملكية بعضها يرجع إلى حكم «ببى الثانى» وتهدف جميعها إلى حماية معبد الاله «مين» وكهنته وإعفائهم من القيام بأى عمل للقصر وكذلك عدم مطالبتهم بأى سلعة أو قطعان للماشية حيث أنهم معفون من أجل الههم كذلك يهدد الملك أى حاكم للوجه القبلى يجرؤ على استدعائهم إلى أى مكتب فى إدارة الملفات الملكية أو إلى مكتب رئيس المراجعة أو إلى أى مكتب فيه ختم (رسمى) ليفرض عليهم عملا للقصر ، فإن اللعنة ستحل عليه وتحق عليه كلمة الخيانة(١) .

وتشير هذه الاعفاءات والمنح من جانب إلى حرمان الخزانة الملكية من جزء غير قليل من دخلها وأيضا زيادة فى الثروة والقوة لهذه الفئات التى إستغلت ضعف الملوك من أجل مصالحها الذاتية .

---

(١) Ibid., P. 100.

وكـذا :

Gardiner, A., OP. Cit., 108.

وبوفاة «ببى الثانى» فإن قوة الإدارة المركزية فى «منف» قد تلاشت وسادت الفوضى البلاد وبدأت بالنسبة لمصر أظلم فترة سياسية فى تاريخها وهى الفترة المتوسطة الأولى وتضم الأسرات من السابعة حتى العاشرة وجزء من الأسرة الحادية عشرة[١] .

ولقد تناول «فوركتيه Vercoutter» هذه الفترة وقسمها إلى ثلاث مرحل ، الأولى تمثل انهيار المملكة القديمة واضطراباتها الإجتماعية والتسلل الأجنبى وخلال هذه الفترة لم يستمر حكم الأسرتين السابعة والثامنة فى «منف أكثر من أربعين عاما (٢٢٨ ـ ٢٢٤٢ ق.م) ، وفى المرحلة الثانية نجح أمراء أهناسيا (هرقليوبوليس) فى حكم مصر معتبرين من أنفسهم خلفاء للملوك «منف» تمتعوا فيها بفترة من الهدوء أثناء حكم الأسرة التاسعة (٢٢٤٢ ـ ٢١٣٣ ق.م) ، غير أنه تحت حكم الأسرة العاشرة حوالى (٢١٣٣ ـ ٢٠٥٢ ق.م) انفجرت المعارك فى الوقت الذى كان هناك جزء من الأرض محتل بواسطة أجانب والمقاطعات تحارب بعضها ، البعض منهم يعترف بسلطة أهناسيا والآخر بسلطة طيبة ، والفترة الثالثة والأخيرة والتى يراها البعض كجزء من الدولة الوسطى حيث كان النصر النهائى لطيبة وفيها أسست الأسرة الحادية عشرة حوالى (٢١٣٤ ـ ١٩٩١ ق.م) التى حكمت الجزء الجنوبى من مصر ومسيطرة على مصر كلها من الشمال إلى الجنوب مع إعتبار طيبة هى العاصمة الأساسية للبلاد كلها[٢] .

---

(١) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 327.

(٢) Ibid., P. 328.

الحوادث التاريخية والاجتماعية :

خلف «ببى الثانى» عدد من الملوك الضعاف وتشير بردية تورين أنه بعد «نيتوكريس» فإن الأسرة السادسة قد استمرت مع أربعة ملوك بعدها ، فى الوقت الذى لم يضع فيه «مانيتو» أى حاكم بعد هذه الملكة[١] ، التى وصفت بأنها كانت أنبل وأجمل امرأة فى عصرها ، وتبعا للإسطورة فإنها قد استولت على العرش بعد مقتل أخيها الأمر الذى جعلها تنتقم له وتقدم بعد ذلك على الانتحار[٢] .

وفى هذا دلالة على تردى الملكية ومدى ما أنتابها من ضعف عجل نهاية الأسرة السادسة وأصبحت الحالة السياسية فى البلاد شبيهة بتلك الفترة التى سبقت توحيد مصر قبل بداية الأسرات وتفتت وحدة البلاد وأستقل حكام الأقاليم وحاول كل منهم أن يمد نفوذه إلى ما جاوره من مناطق[٣] .

ومن الواضح أن تاريخ الأسرة السابعة غير واضح نتيجة لعدم وجود آثار معاصرة لهم بالدرجة الكافية حتى أن «مانيتو» يذكر سبعين ملكا حكموا سبعين يوما والأسرة كلها يعتقد أنها صورية وأن «مانيتو» كان يقصد من ذلك الإشارة إلى الفوضى وسوء الأحوال فى البلاد بعد سقوط الأسرة السادسة[٤] ، أو أنها تعنى أن مصر قد حكمت فى تلك الفترة بما يشبه حكومة القلة التى تكونت من كبار موظفى وعقلاء تلك الفترة الذين حكموا معا كمجموعة لفترة تقدر

---

(١) Petrie, F., A. History of Egypt, London, 1963, P. 109.

(٢) Hawkes, J., The first great Civilization, London, 1973, P. 297.

(٣) Breasted, J., H., A History of Egypt, P. 143.

(٤) Gardiner, A., OP. Cit., P. 107.

بسبعين يوما[١] ، وطبقا لآخر دراسة قام بها «هيز Hayes W. C.» فقد وجدت تسعة ملوك لهذه الأسرة ولكنها لم تحكم أكثر من ثمانى سنوات أى بمتوسط حوالى عشرة شهور لكل فرعون[٢] .

أما الأسرة الثامنة فتاريخها غامض رغم وجود أسماء ملوكها فى قوائم الملوك حيث ذكرت «قائمة أبيدوس» أسماء سبعة عشرة ملك وفى «قائمة تورين» نجد ثمانية ملوك فقط بينما ذكر «مانيتو» أن عدد ملوكها ثمانية عشرة دون أن يذكر أسمائهم ، على حين أن قائمة سقارة لم تذكر أحدا بعد «ببى الثانى» حتى أوائل الأسرة الحادية عشرة كما لم نعثر أيضا فى سقارة على أهرامات لهذه الأسرة[٣] .

ومن واقع قائمة «أبيدوس» فاننا نرى أن ملوك الأسرة الثامنة حاولوا التشبه والتمسك بالتقاليد القديمة وتسموا بأسماء الملوك القدامى فى معظم الأحيان وانهم حكموا لفترات قصيرة وكانوا ذو سلطة ضعيفة ولم تمتد سيطرتهم أكثر من وسط مصر[٤] .

ويلاحظ أن «قائمة أبيدوس» لم تلتزم فى أسماء ملوك هذه الأسرة بتسلسلهم وخلطت بين أسماء ملوك الأسرة التاسعة ووضعتهم بين ملوك الأسرتين السادسة والثامنة[٥] ، وحرص ملوك هذه الأسرة على إتباع تقاليد «ببى الثانى» فى تخصيص إعفاءات ومنح لصالح معبد «الاله مين» وكهنته فى «قفط» وتضمن أحد هذه المراسيم تهديدا من أحد ملوكها لكل من يعتدى على المقدسات الدينية بحرمانه من ميراث

---

(١) Hayes, W., C., Cit., P. 136.

(٢) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 329.

(٣) Drioton, E., Vandier, J., OP. Cit., P. 214.

وكـذا : Breasted, J., H., OP. Cit., P. 147.

(٤) Hayes, W. C., OP. Cit., 136.

(٥) عبدالعزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، ص ٤٠١ .

آبائه ونفيه وعدم تقديم الطقوس الجنزية المعتادة له عند وفاته ، مما يتضح معه أن الاعتداءات على المقابر والمعابد والتماثيل كانت قائمة بالفعل ولجأ الحكام الضعفاء لمحاولة منعها بشتى الوسائل[١] ، والمعلوم أن آثار التخريب الذى قام فى خلال تلك الفترة إمتد وشمل حتى مقابر وأهرامات الملوك أنفسهم .

ويبدو أن حاكم مقاطعة «قفط» قد نجح فى تكوين مملكة مستقلة تشمل مقاطعات الوجه القبلى السبعة الواقعة فى أقصى الجنوب وأسس منها مملكة مستقلة تحت سلطانه عن أسرة «منف» الحاكمة وبالعثور على مقبرة كل من «عنخ تيفى» وإلى «جبا (ادفو)» و «نخن» ، (هيراكنوبوليس) ، يتضح أن هاتين المقاطعتين بالإضافة إلى مقاطعة «ييو (الفنتين)» لم تقبل حكم ملوك «قفط» دون قتال ومقاومة وإنتهى الأمر بإنحسار نفوذ «قفط» وإنتقال السلطة فيما بعد إلى طيبة كما حدث وسنشير إليه فى حينه[٢] .

وكما يرى «كورت زيته .Sethe, K» بأن السلطة التى توفرت لهم لم تستمر أكثر من أربعين عاما[٣] .

بينما يرى (هيز Hayes) ويؤيده فى ذلك (فوركتيه Vercoutter) بأن آخر الملوك الثلاثة فى الأسرة الثامنة المنفية قد سجلت أسماؤهم على مجموعة مراسيم ملكية أصدرها بشأن طقوس جنازية وجدت منحوتة على حوائط معبد «مين Min» فى قفط ، وتعيين «شماى» أميرا للاقليم وأبنه «أيدى» وهما من أسرة قوية هناك فى منصب الوزير وحاكم

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ .

(٢) Drioton, E. Vandier, J., OP. Cit., P. 215.

(٣) عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٤٠٢ .

مصر العليا وهى كغيرها من المراسيم الملكية التى كان يصدرها ملوك الدولة القديمة وتسجل على ألواح من الحجر الجيرى ووضعت فى مدخل معبد «مين Min» وبالتالى فان هذا لا يمكن أن يكون سببا فى الإعتقاد بأن هناك أسرة ملكية مستقلة قامت فى «قفط» أو فى «أبيدوس» والمدون فى معبد «مين» هى مراسيم ملوكها كما رأى بعض المؤرخين(١) وأحد هذه المراسيم يثبت «شماى Shemay» فى وزارته على أقاليم مصر العليا الاثنين والعشرين ، والثانى يعين ابنه «ايدى Idy» كحاكم على مصر العليا فى أقصى الأقاليم الجنوبية السبعة والنص الخاص بـ «أيدى» كامل تقريبا .

ولا أثر هناك فى هذه النصوص لأى اضطراب سياسى ولكن يمكننا أن نستنتج أنها تدل على رغبة الملك فى إرضاء أحد كبار حكام مصر العليا والضعف الذى إنتاب الملكية فى «منف» حيث تهدف هذه المراسيم إلى إبراز التحالف بين الملك وكل من «شماى» وأبنه الذين كانوا بدورهم نبلاء مقاطعات فى قفط ، وهو برهان على أن الأسرة الثامنة شهدت تحولا من نبلاء مقاطعات إلى مستخدمى قصر ملكى ضعيف يعترف فيه الفرعون بالأمر الواقع من حيث قوة هؤلاء الحكام فى الوقت الذى عادت فيه مصر إلى مجموعة ولايات متصارعة(٢) .

ومن المرجح أنه خلال تلك الفترة المضطربة منذ أواخر حكم الأسرة السادسة حتى الأسرة الحادية عشرة فإن الثورات لم تنقطع إلا لتعود بعد فترة مما جعل فكـــرة الملكية الالهية نفسها موضع تساؤل .

---

(١) Hayes, W., C., OP. Cit., P. 136.

وكــذا : Vercoutter, J., OP. Cit., P. 331.

(٢) Ibid., P. 331.

ولقد وجد لدينا نص يشير إلى تلك الفترة المظلمة من تاريخ مصر وهو ما يعرف «ببردية ليدن»* الخاص بذلك الحكيم المصرى « إيبور » وهو يصف الحالة فى مصر وما حدث فى البلاد من بؤس وشدة بعبارات تنم عن المعاناة كما وصف انعكاسات الحالة الداخلية على خارج مصر وأوصى فى مقالة بضرورة الاصلاح وإيجاد أسس جديدة يقوم عليها عصر جديد .

وعلى الرغم أن المخطوط مجزأ ولا يسمح بمعنى متكامل ومتصل ولكنه يبدو واضحا منه أن مصر عانت من إنهيار الحكم مصحوبا بفوضى إجتماعية واقتصادية وسياسية .

وقد قوبلت تلك المصائب من السلطة المهيمنة على الأمور بعدم المبالاة مما جعل مفكروا تلك الفترة ومنهم حكيمنا «أيبوور Ipu-wer» الذى لا نعرف عن شخصيته شيئا يقدم تقريرا للملك عن الفوضى الضارية فى البلاد ، والفرعون المشار إليه غير معروفة شخصيته ويرى «جاردنر .Gardiner A» أن الفرعون المقصود ربما كان من بين آخر فرع لملوك منف(١) .

(*) بردية «ليدن» الخاصة بنبؤات وتحذيرات «ايبوور» عبارة عن مخطوط كتب فى الأسرة التاسعة عشرة أو العشرين ربما من نص أصلى من الفترة بين المملكة القديمة والوسطى حيث تطابق الحالة تلك الفترة .

والنص فى حالة حفظ يرثى لها ، وقد ترجم النص الأول لأول مرة بمعرفة العالم الاثرى الدانمركى «لنجة .Lange H» والدراسة النهائية للنص مازالت للعلامة «جاردنر Gardiner» تحت عنوان : The admonition from Egyptian Sage (Leipzig, 1909) .

وترجمت الدراسة إلى لغات أخرى متعددة منها الارامية والفرنسية وغيرها .

عن مزيد من التفاصيل أنظر :

Wilson, J., The Admonitions of Ipo-Wer, ANET, P. 441.

(١) Gardiner, A., OP. Cit., 109 - 110.

ويتفـــق معـه كـل مـن «ويلســون Wilson» و «وفوركتيه Vercoutter» و «هيز Hayes» بأن تلك الحالة الموصوفة تنطبق على تلك الفترة من التاريخ المصرى بعد سقوط الملكية وأن الفرعون المشار إليه ربما هو أحد حكام الأسرة السادسة أو أحد ملوك الأسر الضعيفة اللاحقة(١).

ويتفق الجميع أنه من المستحيل تحديد الوقت المعين لحدوث ذلك الاضطراب الخطير الذى أشارت إليه بردية «ليدن» ولو أن حدوثه حقيقة لاشك فيه ، ومن المحتمل أن الفوضى ظلت مستمرة بصورة مستمرة أو متقطعة خلال عصر الفترة الأولى وحتى قيام الأسرة الحادية عشرة .

والبردية مثلها مثل نصوص مصرية كثيرة ضاع أولها وآخرها وهى لا تتبع نظاما أو ترتيبا منطقيا للأحداث ولكنها من الآثار الهامة جدا والتى تلقى ضوءا عن الحالة الفعلية لتلك الفترة ، كما تعطينا صورة للاضطراب العام بين الحكومة والادارات التابعة لها ، والعلاقة بالأجانب فى مصر وتسلل عناصر البدو الآسيريين إلى الدلتا الذين بدأ دخولهم الأراضى المصرية أواخر حكم «ببى الثانى» منتهزين فرصة الفوضى وتفتت السلطة لكى ينعموا بالخير والاستقرار على أرض الدلتا الغنية بخيراتها .

ويتضح من تلك الرواية التى سردها لنا «ونى» أن مصر واجهت مشاكل من هؤلاء الرحل الذى أشار إليه نصه بإصطلاح (عامو حريوشع c3m - hrywsc بمعنى أولئك الذين فوق الرمـال)(٢) .

---

(١) Wilson, J., OP. Cit., P. 441.

وكـذا : Vercoutter, J., OP. Cit., P. 329.

(٢) Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt, P. 142.

ولقد اختلفت آراء العلماء عن الكيفية التى جاء بها هؤلاء الآسيويين إلى مصر وفى الوقت الذى يعتقد فيه «جاردنر Gardiner» بأن هذا العصيان أوكلت مهمة القضاء عليه إلى «ونى» فانه يمثل فى الواقع أول موجة من الضغط الآسيوى التى سببت لمصر المتاعب أثناء محنتها بعد سقوط الدولة القديمة(١) ، ويؤيده فى هذا الرأى مجموعة من العلماء حيث يرى «دريوتون وفاندييه Srioton, Vandier» أنه على الرغم من الهزيمة الثقيلة التى نزلت بالبدو أيام (ببى الأول) إلا أنهم تحينوا الفرصة المناسبة لكى يغزوا مصر وقد لاحت لهم فى نهاية الحكم الطويل للملك «ببى الثانى» حيث كانت الحالة مهيئة لهم ، ففى صعيد مصر كان الحكام مشغولين بتنظيم أقاليمهم كممالك صغيرة مستقلة وفى العاصمة (منف) كان الملك المسن عاجز عن المقاومة ، أما فى الدلتا فلربما كانت هناك محاولة للمقاومة ولكن فى غياب الوثائق الدالة عن ذلك فأنه لا يمكن تأكيد هذا الغرض(٢) .

وكذلك يؤكد «بيكى Baikie» آراء «بترى Petrie» التى ترى أنه بنهاية الأسرة السادسة ضعفت البلاد وإضطربت نتيجة شيخوخة الملك «ببى الثانى» ولذا غزوها وربما إحتلت الدلتا وجزء من صعيد مصر وذلك بواسطة عناصر من الشمال الشرقى لسوريا (عناصر آمورية) ، بل ويضيف «بترى» أن مصر قد تعرضت لغزو آخر من الجنوب نجح فى تهديد طيبة وفيما بعد أعطى مصر فرعين من الملوك وهم ملوك الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة(٣) ، وهناك رأى آخر لمجموعة من المؤرخين الأجانب ومنهم (هيز Hayes, W.) وغيره الذين أرجعوا

---

(١) Gardiner A., OP. Cit., P. 99.

(٢) Drioton, E., Vandier, J., 22 P. Cit., P. 213.

(٣) Baikie, J., OP. Cit., P. 221.

دخول هؤلاء الآسيويين البلاد مستغلين حالة الفوضى والحرب الأهلية والتنافس بين الأقاليم المختلفة ووجود جماعات النهب حيث تسلل هؤلاء البدو من سيناء وجنوب فلسطين مقيمين فى الدلتا[١] ، وهو نفس رأى مجموعة من المؤرخين الوطنيين التى أشارت إليه أنه كان تسللا وليس غزوا قامت به جماعات مهاجرة منتهزة ضعف الملكية المصرية والحالة التى كانت عليها البلاد من تنافس وفساد الكهنة وجشعهم[٢] ، وهو ما يؤكده «ولسون Wilson, J.» حيث يرى أن النصوص المصرية القديمة ترجع مسئولية الفوضى والضعف التى انتابت مصر إلى دخول البدو الآسيويين للدلتا فى حين أن هذا يعد تهربا من مسئولية الفساد ، لأن هؤلاء البدو لم يأتوا غازين بل أنهم انتهزوا فرصة أختلال الأمور بالدلتا ليتوغلوا فى البلاد ، مما زاد الأمور إضطرابا وأدى إلى إنفصال الدلتا وإنقطاع الضرائب عن العاصمة وبإنتهاء عصر الفترة الأولى فانهم كانوا قد امتزجوا بالمصريين[٣] ، ويبدوا أن الأنسان المصرى القديم ولأسباب نفسية قد تجاهل العوامل الأخرى التى سببت الإضطراب وألقى بمسئولية ذلك على الأجانب وحملهم أسباب هذه الفوضى ويصف «ايبوور» ذلك :

«... حقا ، الصحراء منبسطة فى البلاد المقاطعات
مدمرة البرابرة من الخارج أتوا إلى مصر ، لا
يوجد أناسا فى أى مكان ...»[٤] .

---

(١) Hayes, W., C., OP. Cit., P. 135.

(٢) محمد بيومى مهران : نفس المرجع السابق ، ص ٨٢٢ ـ ٨٨ .

(٣) Wilson, J., The Burden of Egypt, P. 106 ff.

(٤) Wilson, J., The Admonitions of Ipr.-Wer, ANET, P. 441.

كان المصريين يستعملون كلمات : الناس ، الانسان ، الرجال للدلالة على أنفسهم على عكس الأجانب الذين لم يكونوا يعتبروا أناسا حقيقيين لسبق المصريين الحضارى عليهم وإحساسهم بذلك ، ويستمر النص :

« ... حقا أرض الدلتا الخصبة لن تخفى بعد الآن وثقة أرض الشمال أصبحت طريقا معبدا ، ماذا نستطيع أن نفعل أنظر أنه فى أيدى الذين لم يعرفوا ، والذين عرفوا ، الأجانب الآن مهرة فى العمل فى الدلتا ... »(١) .

ويقصد «ايبوور» أن خيرات الدلتا أصبحت مباحة بسبب الاهمال فى حماية حدود مصر الشرقية وأن الطريق فى مصر السفلى ممهدة للأجانب ليدخلوا البلاد ويقيموا بها فى الوقت الذى عجزت السلطة عن القيام بأى شىء لوقف هذه الجماعات(٢) ، وأيضا عجز السلطة حتى عن ارسال الحملات والبعثات التى كانت ترسل إلى الخارج مما يعود بالخير والرخاء من جراء تلك الأنشطة الاقتصادية ويصف النص ذلك :

« ... لا أحد يبحر اليوم شمالا إلى (بيبلوس) (فى إتجاه بيبلوس) ماذا سنفعل (بشأن خشب شجرة الأرز) لاستبدال أكفان موتانا التى يستخدمها الكهنة ، النبلاء كانوا يدهنون بالزيت الذى يأتى من

---

(١) Ibid., P. 442.

وكذا : Hayes, W., C., OP. Cit., P. 135.

(٢) ج. برستد : تطور الفكر والدين ، ص ٢٩٢ .

«كفيتى» (يرجح أنها كريت) ولكنه لم يعد يجىء ،
والذهب يتناقص (–   ) ، كم هو مهم (الآن)
عندما يأتى سكان الواحات حاملين المؤن ...»[١] .

ومن المرجح أن منتجات الواحات لم تكن ذات قيمة بالنسبة إلى تلك البعثات الاقتصادية التى اعتاد الملوك أن يرسلوها إلى الشمال والجنوب التى توقفت لإنهيار الحالة الداخلية وتعرض حياة المسافرين للأخطار والسلب والنهب والمنازعات بين المقاطعات المختلفة وحدوث الثورة الاجتماعية التى جاءت مصحوبة باستمرار التسلل الأجنبى للبـلاد .

والمعنى السابق يتفق مع ما ذكره المتنبىء «نفر رهو»* الذى أشار أن قلة تدابير الأمن هى التى سببت دخول البدو والرحل للبلاد :

«... حيث جاء الأعداء الآسيويين من الشرق إلى مصر
لن يصغى أحد من الحماة،سيشرب وحوش
الصحراء (المقصود بهم الآسيويين) من مياه النيل
وسيمرحون على ضفتيه لعدم وجود القوة التى
تطردهم ...»[٢] .

ومن المؤكد أيضا أن السبب فى توقف التجارة الخارجية مرجعه إلى إنهيار التركيب الإجتماعى للمجتمع وسوء الحالة الداخلية التى شغلت حيز كبير من نص «ايبوور» ، يختار منها الدارس بعض الفقرات المعبرة عن ذلك .

---

(١) Wilson, J., OP. Cit., PP. 441 - 442.

(*) «نفررهو» (نفرتى) : Neferti : كاهن حكيم ولد فى مقاطعة أون (هليوبوليس) وكان كاهنا فى «بوباسطة» ويرجح أن نبوءته كتبت فى عصر الدولة الوسطى ، أنظر :
Wilson, J., The Prophecy of Neferti, Anet, P. 444 ff.

(٢) Ibid., P. 444.

«... يقول [حارس] البوابات : هيا بنا ننهب ... الرجل المكلف بالنظافة يرفض حملها ... [رجال] الدلتا يحملون الدروع (دليلا على القسوة والعنف) الرجل الفاضل يسير فى حزن لما حل بالبلاد ... لماذا حقا الوجه شاحب وحامل القوس مستعد السرقة فى كل مكان ، لا يوجد رجل الأمس (حيث الماضى باستقراره والوقت الطيب الممنوح له من الآلهة) ـ النيل يفيض (ولكن) لا أحد يحرث لنفسه لأن كل واحد يقول : أننا لا نعرف ما عساه يحدث للأرض لماذا حقا لقد نضبت النساء ولم تعد تستطيع الانجاب ...» .

لقد انقلبت الأمور وهو لذلك يستخدم تشبيه ملموس فى حياته الدينية والعملية وهو الاله «خنوم» وعجلة الفخار للدلالة على سوء الحالة الاجتماعية .

«... خنوم لا يستطيع تشكيل الآدميين بسبب حالة الأرض ، الرجال الفقراء أصبحوا يمتلكون الكنوز ، الذى لم يكن يستطيع أن يعمل لنفسه زوج صنادل أصبح (الآن) يمتلك الثروات ...»(١) .

ويستمر الحكيم فى وصفه موضحا الأحوال التى طرأ عليها التغيـيـر:

«... كثيرا من الموتى دفنوا فى النهر والمجرى أصبح (بمثابة) مقـبرة ومكـان التحنيط أصبـح مجــرى

---

(١) Ibid., P. 441.

(النهر) ، النبلاء فى حزن بينما الفقراء فى مرح ،
وكل مدينة تقول دعنا نطرح (نقص) كثير منا (ربما
للدلالة على الفقر والجوع) والقذارة تعم البلاد ولا
يوجد أحد (ذو) ملابس بيضاء فى ذلك الوقت ،
الأرض تدور (الأوضاع تنقلب) مثل عجلة الفخار ،
اللص (أصبح الآن) هو سيد الثروة .

النهر (ملىء) بالدم وإذا شرب منه أحد فهناك
من يمنعه ويظل عطشان ...»[١] .

وفى هذا دلالة على العنف والقسوة التى انتشرت فى البلاد حيث يغطى الدم كل مكان[٢] ، وامتدت سوء الأحوال فشملت كل شىء حتى الإدارات وموظفى القصر أنفسهم الذين أهملوا واجباتهم حيث إمتدت الثورة إلى قاعة المحكمة وأرشيفها ممزقة ناهبة كل شىء ، والمكاتب العمومية انتهكت وكشوف الاحصائيات مزقت ، والمعروف أن المكان السرى للادارة ، يحتوى على مكاتبات مدنية ودينية لا تفتتح للعاديين من الشعب وللحصول عليها والرجوع إلى ما فيها يلزم للفرد أن يتبع قواعد معينة بهذا الصدد[٣] .

«... مكاتبات الكتبة نقلت من مكانها (وحملت بعيدا)
وقوت (غذاء) مصر فى متناول أى شخص (ربما
يعنى هذا أن المخازن الحكومية قد نهبت) ،
والقوانين ألقى بها بعيدا والناس يسيرون عليها فى
الطرقات والفقراء يمزقونها فى الشوارع ...»[٤] .

---

(١) Ibid., P. 441.

(٢) Hayes, W.C., OP. Cit., P. 135.

(٣) ج . برستد ، نفس المرجع السابق ، ص ٢٩١ .

(٤) Wilson, J., OP. Cit., P. 442.

ويتضح من النص أن القوانين التى تنظم الحياة والتبادل فى غياب الحق لم تعد ذات قيمة فالعامة تدوس عليها بالفعل فى الطرقات والفقراء يقطعونها فى الطريق والضرائب لا تجبى بسبب الحرب الأهليـة :

«... الفنتين واقليم ثنى و [المكان المقدس] لمصر العليا لا يدفعون ضرائب بسبب الحرب [الأهلية] ... وبيت المال بدون دخل ...
أنظر لأن النار تصاعدت أعلى ولهيبها امتد تجاه أعداء البلاد (الأرض) .
انظر الآن لقد حدث شىء لم يحدث أبدا منذ زمن بعيد لقد استولى الفقراء على الملك .
انظر الذى دفن على أنه صقر (اله) (يرقد الآن) فى تابوت عادى ، وما كانت الأهرام تخفيه أصبح خاليا ، أنظر الآن لقد وصلنا إلى درجة (نقطة) تدار معها الأرض الملكية (تنهب) بواسطة عدد قليل من الرجال غير المسئوليين ،
أنظر الآن لقد وصلنا لدرجة يثور معها (الرجال) ضد آريوس (علامة الملكية) ... لـ «رع» الذى يجعل الأرضين سالمتين .
أنظر سر الأرض التى لا يعرف حدودها أصبحت مكشوفة . أنظر الثعبان (الحارس) قد أخرج من جحره (الثعبان المؤله الذى كان يحرس المعبد والقصر) وأسرار ملك مصر العليا والسفلى أصبحت عارية مكشوفة ...»[١] .

---

(١) Ibid., P. 442.

ويتضح من العبارة السابقة سوء الحالة التى وصلت إليها البلاد وهى نتيجة طبيعية أو تطور لملك ضعيف لا يملك القدرة على إصلاح الأمور وإعادة الأمن والإستقرار إلى ما كان عليه وبالتالى اتسعت الثورة حتى عليه نفسه وعلى جهازه الإدارى البعيد عن أداء الواجب بالصورة المطلوبة ويبدو من بعض الفقرات أن الأيدى قد امتدت إلى الملك نفسه وإلى المقدسات الدينية التى إعتقد فيها الأنسان المصرى منذ فجر تاريخه وفى هذه الفقرات السابقة فإن كاتب النص يوجه إتهامه العلنى للملك ويحمله مسئوليه محاربة هذا الفساد الذى رغم فداحته فان القصر وعلى رأسه الملك لا يبالى بسبب ضعفه الشديد أو أن مظاهر الفساد قد بلغت درجة أعظم من طاقته .

والسطور السابقة عن مصير الملكية فى نص «ايبوور» غير واضحة تماما وتضعنا أمام تساؤلات عدة .

هل خلع الملك بواسطة الجماهير وحل محله ملك آخر شرعى أو غير شرعى حاول بدون جدوى اعادة النظام لأرض الكنانة .

وبرغم أن هذا الحدث وفى تلك الفترة المؤلمة من تاريخ مصر يعد من مفاخر ذلك العصر الذى قام فيه شعب مصر فى ثورة عاتية مطالبا بحقه فى الحياة والعدل الاجتماعى ، فأن الأدلة تعوزنا وخاصة أن النص ملىء بالفجوات والتناقضات مما يزيد من غموضه .

ويفترض «شبيجل Spiegel» أن الملك المخلوع هو «مرن رع الثانى» (الأسرة السادسة) وخلفه هو ملك الأسرة الثامنة على إعتبار أن الأسرة السابعة لم يكن لها وجود(١) ، بينما يرى «دريوتون وفانديه» أن الشعب قد انتهز الفرصة ليعبر عن سخطه للأحوال التى آلت إليها

---

(١) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 330.

البلاد فى أواخر الأسرة السادسة ليقوم بثورته التى حدثت مع آخر ملوك الأسرة «مرن رع الثانى» و«نيتوكريس»(١) .

ولقد وصف «ايبوور» الملك المثالى الذى سيعيد المجد والاستقرار إلى شطرى الوادى وسيحرر مصر من أعدائها ووازن فى عبارات تحمل كل الأمانى بين الحاكم الحالى وبين عهد اله الشمس «رع» الحاكم العادل الذى لا يحمل فى قلبه سوى الخير .

«... سيأتى الوقت الذى يأتى فيه الهدوء إلى القلب ،
سيقول الرجال : انه را ع كل الرجال الشر ليس فى
قلبه وربما قطيعه صغير إلا أنه أمضى النهار كله
للعناية به ...» .

ثم يعقب ذلك بفقرة غير واضحة وكما يرى «ويلسون Wilson» فانها ربما تشير إلى الاله «رع» ويحتمل أيضا أنها تشير إلى المستقبل :

«... ليته قد ءأدرك أفعالهم منذ خلقهم فى (الجيل)
الأول لكان ضربهم (وقضى على) الشر ولكان
قد مد زراعه ضده ولكان قد قضى على بذرته
وإرثهم ...»(٢) .

ثم يتساءل «ايبوور» عن شخص هذا الملك الذى هو بمثابة الحل والاصلاح للأمور المضطربة :

«... أين هو اليوم ؟ هل هو نائم ؟ انظر المجد لا
يمكن رؤيته ...»

---

(١) Drioton, E., Vandier, J., OP. Cit., PP. 213 - 214.

(٢) Wilson, J., OP. Cit., P. 443.

ثم يمضى فى بيان ما يجب أن يتحلى به الملك من صفات :

«... السلطة أو ما يعنى النطق الآمر

الفهم (الادراك)

ثم العدالة (الحقيقة والنظام)

وهى قد اضطربت معك فى البلاد ...»[١] .

ثم يعود الحكيم موضحا الحالة الكئيبة التى وصلت إليها البلاد وضرورة الاصلاح حتى يتحقق الرخاء ونهاية النص ورد الملك وإجابة «ايبوور» عليه محذوفة ويبدو أن حكيمنا كان يجابه أعذار الملك الضعيف بما يمثله الواقع من مرارة يتألم لها كل مصرى غيور على وطنه والذى يهم الدارس أن يوضحه هو ما انفرد به عصر الأنتقال الأول أنه كان العصر الأول الذى جرأ فيه شخص من الشعب على الوقوف أمام مليكه معددا مساوىء الحكم مطالبا بضرورة الرجوع إلى الحكم الصالح مصرا على تحقيق العدالة ومعرفة الحقيقة وهو ما توضحه عبارة «ايبوور» :

«... يجب أن يغتبط قلب الملك حين تأتى إليه الحقيقة»[٢] .

وفى وجود الملك لم يتردد عن الافصاح عن النتيجة الضارة التى نجمت عن إحتفاظه وأمثاله من الحكماء والشعب بالحقيقة وعدم التصدى للفساد وهذا يعتبر مفخرة للحضارة المصرية وقيمها العظيمة التى حثت على ذكر الحقيقة ونبذ السلبية وهو ما دعت إليه الأديان السماوية فيما بعد :

---

(١) Ibid., P. 443.

(٢) Ibid., P. 442.

«... لو كنت رفعت صوتى من وقتها كان ذلك يريحنى
من العذاب الذى أعانيه الآن ...» .

كذلك يتضح من نص «ايبوور» والصفات التى يجب أن يتحلى بها الحاكم المثالى من أغراض خيرة وأخلاق لا تشوبها شائبة وجهاده من أجل الخير وقضائه على الشر يعد إنجاز للفكر المصرى القديم فى تلك الفترة[١] ، وهناك نص هام ينتمى إلى تلك الفترة سجله أديب مصرى سأم مظاهر الفساد وإضطراب الأحوال فى عصره فدخل فى حوار مع روحه من أجل أن ينهى حياته وفى البداية فإن روحه ترفض الفكرة ثم وافقتها[٢] ، ويمكن اعتبار النص كما يرى الدكتور عبدالعزيز صالح تعبيرا عن التشاؤم واليأس الذى انتاب الأنسان المصرى القديم فى تلك الفترة أو انتابت ذلك الأديب صاحب ذلك الحوار الذى ناقش روحه كأنها شخص آخر قام بذاته شارحا لها سوء الأحوال فى عصره وسوء طالعه بينما تمسكت روحه بالحياة الدنيا راغبة أن يترك الحياة فى العالم الآخر عندما يحين وقته ، ثم اقترحت عليه الانتحار حرقا ولكنه تردد وفى النهاية حكى لها أسباب تشاؤمه ويأسه فى أربع قصائد[٣] ، فى الأولى وصف لها مقت المجتمع له بدون وجه حق والظلم الواقع عليه بصفة خاصة .

وفى الفقرة الثانية يتحدث عن إضطراب الأحوال فى المجتمع بصفة عامة فى عبارات أدبية منها :

«... لمن أتحدث اليوم ، وما عاد أحد يتذكر الماضى لمن
أتحدث اليوم ولم يعد هناك الرجال المتحلين بالحق

---

(١) ج. برستد : نفس المرجع السابق ، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

(٢) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 342.

(٣) عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٤١٢ .

والأرض أعطيت لهؤلاء الذين يفعلون الشر لمن
أتحدث اليوم ، وقد أثقل كاهلى بالهموم ...»[١] .

ثم يعاود فى الفقرة الثالثة وصف الموت آملا أن يكون فيه خلاصه من الظلم الموجود فى مجتمعه والعذاب الذى يتعرض له دون أن يذكر أية كلمة عن الملك أو الالهة ، نتيجة فقدانهم تلك المكانة الهامة :

«... أصبح الموت أمامى اليوم مثل الشفاء للرجل
المريض وكمثل التنزه فى الطريق بعد المرض ،
أصبح الموت أمامى اليوم كرائحة بخور المر ،
وكانسان يجلس تحت ظلة فى يوم شديد
الريح ...»[٢] .

وفى الفقرة الرابعة فإن أديبنا قد هدأت نفسه فأخذ يؤكد[٣] ، لروحه إيمانه بالحياة فى العالم الآخر حيث العدل وحسن الثواب .

ويرى «ولسون Wilson» أن النص بما يحويه من كلمات مصرية قد إتفق مع ما يسود تلك الفترة من أحداث ، غير أن الإنسان المصرى لم يأخذ بمثل تلك الأفكار التى تدعو إلى اليأس فى معالجة مشاكله مهما كان حجمها بدليل عدم تكرار تلك الفكرة وأيضا عدم العثور على نسخ أخرى مطابقة لها فى العصور التالية لعصر الانتقال الأول[٤] .

---

(١) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 342.

(٢) سليم حسن : الأدب المصرى القديم ، جـ ١ ، ص ٢٨٧ .
وكـذا :
Vercoutter, J., OP. Cit., P. 342.

(٣) عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٤١٢ .

(٤) Wilson, J., The Burden of Egypt, P. 113.

كما ظهر نتيجة لما ساد المجتمع في تلك الفترة من شكوك فى القيم والعادات اتجاه يدعو إلى ترك الأجداد والإنغماس فى الحياة الدنيا غير مبالين بالآخرة وبتلك البيوت الأبدية التى بنوها لملوكهم لتكون مثوى لهم فى العالم الآخر وقد عبر الانسان المصرى عن هذا الاتجاه فى أغنية أطلق عليها «الضارب على العود»[١]، وفيها يتساءل :

«... الالهة الذين كانوا فى الأزمنة البعيدة الذين يرقدون فى أهراماتهم النبلاء والمبجلون رحلوا ، ودفنوا فى أهراماتهم ، هؤلاء الذى بنوا (مقابرهم) معابدهم أماكنهم لم تعد لها وجود تأمل ماذا حدث فيها ...»[٢] .

ثم يمضى الضارب على القيثارة فى تساؤله عن مصير الآلهة والموتى الآخرين وآثارهم الخالدة وتلك الكلمات الحكيمة التى سمعها ورددها الناس للحكماء أمثال «ايمحوتب» و«حورددف»* تلك الكلمات التى سمعها ولم يعد لها وجود (فائدة) فى عصر إضطربت فيه الأمور .

ولم يكن هذا فقط ما خلفه لنا عصر الفترة الأولى من نصوص أدبية بل كانت هناك نصوص أخرى تعبر عما أنتاب مصر فى تلك الفترة من أحداث وسوف يتعرض لها الدارس فى حينها .

---

(١) وصلتنا نسختان لما أطلق عليه أغنية «الضارب على العود» أحدهما على شكل بردية منقولة عن نقوش مقبرة تنتمى إلى عصر الإنتقال الأول ونقلها أحد الأناتفة من ملوك الأسرة ١١ على جدران مقبرته ، والأخرى كانت مدونة على جدران أحد القبور فى طيبة ، أنظر :

Breasted, J., H., The Dawn of Conscience, PP. 162 - 163.

(٢) Ibid., P. 163.

(*) إعتبر كل من «إيمحتب» الموظف الحكيم للملك «زوسر» ، «حورددف» ابن الملك خوفو من الحكماء التقليدين وظلت ذكراهم باقية ، أنظر :

Wilson, J., The instruction of Prince Hor-Dedef, Anet, PP. 419 - 420.

وما يهمنا أن نوضحه الآن وحسب ما وجدناه من نصوص قليلة للأسرة الثامنة وهو أن آخر ملوك هذه الأسرة كان لهم نفوذ محدود فالدلتا تعانى فساد الأحوال الإقتصادية وإضطراب الأوضاع الاجتماعية وممتلئة بالرحل الآسيويين كما أوضحنا وبالتالى أصبحت خارج سيطرة الحكومة المنفية ، والجنوب بما يحويه من مقاطعات هامة مثل (ثنى بالقرب من أبيدوس) بمركزها الدينى الهام ، ومقاطعة «ييو (الفنتين) كمدخل للنوبة ، وغير ذلك من مقاطعات ، الجميع يعترفون بالسلطة الملكية ولكنهم نادرا ما كانوا يطيعونها لما تعنيه من ضعف .

وهكذا لا يبقى للملك الجالس فى العاصمة سوى الحكم على منطقة صغيرة حول منف وبعض الأمراء القليلون الذين يدينون له بالطاعة مثل أمراء قفط وغيرها .

غير أن هذه السلطات أيضا قد نزعت من آخر ملوك الأسرة الثامنة نتيجة نجاح حكام اقليم «أهناسيا» (هرقليوبوليس) الذى أقام الأسرة التاسعة معتبرا من نفسه وخلفائه ملوكا على مصر كلها خلفا لملوك مصر القدامى(١) .

ملــوك أهناسيا :

حوالى عام ٢٢٤٢ ق.م استولى «خيتى» (الأول) على عرش مصر ونادى بنفسه ملكا على كل من الوجه القبلى والبحرى ، وبذلك إنتقل مركز الحكم والثقل من «منف» إلى «أهناسيا» (الاقليم العشرين من مصر العليا)(٢) ، والظروف التى أدت إلى نشأة أسرة «خيتى» تحيط بها الغموض .

---

(١) عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٤٠٤ .

(٢) Hayes, W., C., OP. Cit., P. 143.

وكــذا : Drioton, E., Vandier, J., OP. Cit., P. 215.

وتقع عاصمة الاقليم «نن نسوت» ( ) وهى مدينة «أهناسيا» الحالية على الضفة الغربية من نهر النيل مقابل «بنى سويف» على بعد ٥٥ ميل إلى جنوب منف القديمة وعاصمة الملك الجديد «خيتى» (الأول) كانت أصلا مركزا هاما قبل توحيد القطرين بصفتها عاصمة ملوك الوجه القبلى ومن الناحية الدينية إرتبطت بآلهة «تاسوع أون» وبذلك كانت من الأماكن المقدسة فى البلاد[١] .

ومن الناحية الاستراتيجية كان موقف حاكم «نن نسوت Nen-neswt» ممتازا عند مصب نهر الفيوم وهى منطقة تعد من احدى أغنى مناطق مصر الزراعية ، كان اذن قريبا من «منف» ولكن هناك مسافة كافية بين أراضيه وبين جماعات الآسيويين فى الدلتا ، كما كان أيضا بعيدا عن الجنوب وحكام مقاطعاتها المحاربين فى طيبة وأبو (الفنتين)[٢] ، وهم الذين تسببوا فى نهاية حكمه فيما بعد حينما اكتملت لهم أسباب القوة .

ولم يجيء ذكر الملوك الاهناسيين فى قائمة أبيدوس أو سقارة ومصادرنا الرئيسية «مانيتو» و«بردية تورين» .

ويأتى اسم «خيتى» فى أول قائمة «مانيتون» للملوك الأهناسيين وهو لا يفصل بين الأسرة التاسعة والعاشرة ولكنه جعل لكل منهما سنوات حكم منفصلة فقدر للأسرة التاسعة ١٩ ملكا حكموا ١٨٥ عامـا .

---

(١) Hayes, W., C., OP. Cit., P. 143.
وكـذا :
Baikie, J., OP. Cit., P. 222.

(٢) Drioton, E., Vandier, J., OP. Cit., PP. 215 - 216.
وكـذا :
Maspero, G., Histoire Ancienne des Peuples do L'orient, Paris, 1878, P. 95.

وبردية «تورين» برغم أنها دونت أسماء ثلاثة عشر ملك فإننا لم نستدل إلا على أربعة أسماء فقط ، وابتداء من الاسم السادس حتى النهاية فهى ضائعة أو غير كاملة .

وتدل أسماء ملوك هذه الأسرة مثل «نفر كارع Nfr K3 Rc » و «نب كارع Nb K3 Rc » إلى أن الأسرة أيضا كانت تود التمسك بتقاليد المملكة المفية القديمة(١) .

وهكذا فإننا لا نستطيع أن نجزم بترتيب فراعنة هذه الأسرة لكن المؤكد حاليا أن «خيتى الأول» هو «مرى أيب رع » (بمعنى حبيب قلب رع) وقد حكم نحو ٤٢ عاما تقريبا (٢٢٤٢ ـ ٢٢٠٠ ق.م)(٢) ، و «مانيتون» يقول عنه انه تصرف بقسوة أكثر من كل الملوك الذين سبقوه (ربما لتدعيم حكمه) وبعض الكتاب الأغريق (اسيبيوس ، ارستنيوس) يقولون أنه أصيب بالجنون فى نهاية عمره وقتل بواسطة تمساح(٣) .

ومن الأدلة الأثرية التى تؤكد وجود «خيتى» (الأول) عثورنا على إناء من النحاس موجود الآن فى اللوفر بالاضافة إلى عصا من الأبنوس وبعض الآثار الأخرى القليلة الأهمية عثر عليها فى «مير» وتحمل أسمه ، ثانى من حمل هذا الاسم هو «واح كارع W h Ka Rc» عرفناه عن طريق تابوت عثر عليه فى «البرشا» ، El-Bersheha وهناك أيضا ملك يحمل نفس اللقب هو «اختوى تب كارع» (Nb K3 Rc) وقد جاء أسمه فى حفائر «بترى Petrie» فى الرتابة كما جاء ذكره فى قصة الفلاح الفصيح(٤) .

---

(١) Breasted, J., H., A History of Egypt, P. 147.

(٢) سليم حسن ، مصر القديمة ، جـ ١ ، القاهرة ، ص ٢١٦ .

(٣) Petrie, F., OP. Cit., P. 112.

(٤) Gardiner, A., OP. Cit., P. 112.

ومن المعروف أن اسم «خيتى Khety» من الأسماء الشائعة وهناك أكثر من ستة وثلاثون اسم فى تلك الفترة لملوك وحكام وغيرهم[١] .

وما يهمنا الآن أن أسرة هيراكليوبوليس (أهناسيا) سواء الأسرة التاسعة أو التالية لها أى منذ قيامها حتى حدوث الصدام بينهما وبين طيبة فى الجنوب فإنها قد أعطت مصر الوسطى قدرا كبيرا من الاستقرار مما جعل تلك الفترة هى الفترة الغنية للأدب المصرى وجاءت بنتائج هامة ساعدت الباحثين فى إلقاء ضوء على تلك الفترة بفضل ما تركته لنا من نصوص[٢] .

وتعتبر تعاليم «خيتى» إلى ابنه «مرى كارع» من أهم نصوص تلك الفترة فهى مرآة تنعكس عليها هذه الروح الجديدة التى كان لها أثرها فيما بعد وانتهجه الحكام وعملوا عليه وهو ما طالعتنا به الأيام فيما بعد بتلك الوصية السياسية الخاصة بنصائح الملك «أمنمحات» لمن سيخلفه من ملوك المستقبل .

وبالاضافة إلى تلك الإرشادات من فنون السياسة والادارة فهى تحوى اشارات واضحة إلى الأحداث المعاصرة وعن مجموعة من القيم الخاصة بالأخلاق والسلوك وأهمية الحياة المستقيمة الصالحة والحث أن يحكم ابنه وفى ذهنه الحياة فى العالم الآخر ، وهى المرة الأولى التى يعترف فيها أحد الملوك إلى ابنه وبتواضع خلقى غير مألوف بل مستحيل أيام الدولة القديمة أنه أخطأ ويستحق عقاب الآلهـــة .

ونستشف منها أيضا ذلك التحول الكبير فى مفهوم الملكية الإلهية والقوة بين الملكة القديمة والفترات التى تلتها وهو ما أوضحته

---

(١) Petric, F., OP. Cit., P. 115.

(٢) Wilson, J., The Burden of Egypt, P. 105.

نصوص تلك الفترة حيث كان التعبير عن القيم الجديدة روحيا وإجتماعيا مما كان له انعاكسه على أدب تلك الفترة . الأمر الذى حدا بالدارس إلى إلقاء مزيد من الضوء على ذلك النص الهام .

التعاليم إلى مرى كارع :

لازال الملك صاحب تلك التعاليم الهامة غير معلومة لنا شخصيته بالتحديد ، فبينما يقترح «شارف Scharff» أن يكون مؤلفها هو «خيتى الثانى wah. Ka. Ra» فان «فوركتيه Vercoutter» ، معه «دريتون Drioton» يرون أنه «خيتى الثالث» هو التى تنسب إليه هذه التعاليم ، فى الوقت الذى يرى فيه «جاردنر Gardiner» أنه ليس أول من يحملون لقب «خيتى» بينما يرى «هيث Hayes» أنه رابع من حمل هذا الاسم(١) .

وإلى أن يكشف البحث العلمى الغموض عن صاحب هذه التعاليم فإن المخطوط الرئيسى لتعاليم الملك «خيتى» لأبنه «مرى كارع» موجود فى بردية تعرف «ببردية لينجراد رقم 1116 A وقد نشرها "Golenischeff" وهناك مخطوطان ثانويان أحدهما بموسكو والآخر فى كبنهاجن وقد تمت ترجمتهما .

والمخطوطات الثلاثة حسب خصائصها الخطية ترجع إلى الدولة الحديثة (الأسرة ١٨) غير أنها وحسب ما تضمنته من وصف ترجع إلى تلك الفترة المعروفة بعصر الفترة الأولى والتى انقلب فيها نظام البـلاد .

والجزء الأول من النص مفقود ويبدو أن هذا الجزء يخص السيطرة على ثورة من تلك الثورات المنتشرة فى تلك الفترة حيث ينصح ابنه بالحذر من المشاغبين والتخلص منهم :

---

(١) Wilson, J., The Instruction for King Meri. Ka-Re, Anct, PP. 414 - 415.

«... [إذا وجدت رجل] ... تابعيه كثيرين (-)
وهو لطيف فى نظرته لجماعته (متحيز) ... سريع
الهياج ... ابعده ، اقتله ، امسح اسمه (اقضى)
على جماعته واطرد ذاكرته هــو وتابعيه ومن
يحبوه ، الرجل الميال للخلاف مزعج لمواطنيه ، وهو
يكون حزبين من خلال الشباب وإذا وجدت
المواطنين إنحازوا إليه اتهمه علنا فى حضور
(موظفى) القصر وابعده ، انه أيضا خائن ...»(١) .

وبالرغم من قيمة تعاليم «خيتى» من الناحية السياسية ووصف الحالة الاجتماعية للبلاد فإنها قد تضمنت ـ كما سبق القول ـ مجموعة من القيم الخلقية تعد من أروع القيم للحياة والسلوك .

فبالنسبة لشخص الحاكم والرجل الحكيم فهو يشير إلى أهمية حسن الكلام ويدعو ابنه إلى الحرص فيه لكى تبقى مكانته لأن الحديث الجيد هو قوة الإنسان وهو بمثابة سلاح له ، وهو يتمسك بفضائل الماضى حيث المجد والحكمة :

«... كن صانع ماهر للحديث أن هذا يجعلك قوى اللسان (مثل) السيف (للرجل) والكلام أكثر شجاعة من أى قتال ، لا يستطيع أحد أن ينال من الرجل الواعى (المدرك) ، ومن تعرف حكمته لا تهاجمه ، الحقيقة تأتى إليه كاملة وتبعا لقول الأجداد : خذ عن والدك وأجدادك ، انظر كلماتهم تبقى مكتوبة ، افتح (الكتب) لعلك تستطيع قراءة ونسخ حكمتهم ، وبذلك يصبح الرجل الماهر متعلما(٢) .

---

(١) Wilson, J., OP. Cit., P. 415.

(٢) Ibid., P. 415.

ومن المؤكد أن تعاليم الحكماء أمثال «بتاح حوتب» وغيره كانت لاتزال تحظى بالاحترام والتقدير ، والفقرة السابقة تتفق فى معناها من حيث أهمية الكلام الحسن مع تعاليم «بتاح حوتب» غير أنها تختلف فى روحها نتيجة لما مر بالملكية ومصر نفسها من أحداث فبينما كان الوزير الحكيم «بتاح حوتب» مهتما بالنجاح الدنيوى ورضاء الملك الاله فان مليكنا «خيتى» ينصح أبنه بأهمية ضمان رضى الاله للتمتع بحياة طيبة فى عالم الآخرة ولذلك فإن عليه أن يتحلى بالشفقة:

«... لا تكن شريرا ، فالشفقة طيبة ، أجعل ذكراك حتى الأبد من خلال حب الناس لك والاله سيمدحك كمكافأة لك وستقدر بسبب أفعالك (طيبتك) وسيصلى لك من أجل صحتك ...» .

والعدل من أهم الصفات التى يجب أن يتمسك بها الحاكم الصالح ولابد أن مليكنا قد رأى عواقب عدم التحلى بها كسمة من سمات الحكم لذلك فانه فى صورة أمر خلقى يطلب من ابنه :

«... أقم العدل لتوطد مكانتك على الأرض هدىء الباكى ولا تظلم الأرملة ، ولا تغتصب من رجل ميراث أبيه ، ولا تضر المسؤلين فى مناصبهم ، ولا تتولى العقاب (بنفسك) أنه ليس مفيد بك ، (ولكن) أتركة للجلادين وبدون مبالغة ، وبذلك تستقر الأرض (الأمور) ماعدا المتمرد حينما تتكشف خططه لأن الاله يعرف الخائن والاله يعاقب بالدم ...»

(كانت خيانة الدولة تعد جريمة كبرى عند المصريين)[١] .

---

(١) Ibid., P. 415.

والاشارة إلى العدل تؤدى إلى فقرة من أهم الفقرات والمعانى وهو الجزء الخاص بمحكمة الآلهة فى العالم الآخر التى يخضع لها الملك ، كما يخضع لها كل من كان مصيره الموت ويلاحظ أن اللامركزية التى صاحبت فترات ضعف الدولة وخاصة فى أواخر الدولة القديمة بالاضافة إلى انتشار مذهب «أوزير» وما يمثله من بعث وتسامح وعدالة للجميع ـ كما سبق وأوضح الدارس فى الفصل السابق ـ كل هذا كان له أثره فى تلك المساواة والتى تتضح فى النص :

«... انك تعرف أن القضاة الذين يحاكمون المذنب لا يتسامحون فى هذا اليوم ...

ولا تثق فى طول السنين لأنهم يعتبرون مدة الحياة كأنها ساعة واحدة والانسان يبقى (يبعث) بعد موته وأفعاله تبقى بجانبه كالأكوام لأن الخلود مكانه هناك والغبى من لا يكترث بذلك (ولكن) من يصل إلى هناك بدون أفعال خاطئة فإنه سيعيش كاله ويتنزه بحرية مثل آلهة الخلود ...»[١] .

ومن المعروف أن القبر وما يحويه من أثاث جنزى يستخدمه المتوفى فى العالم الآخر كان من أهم الأشياء التى حرص عليها الانسان المصرى القديم ولذلك يشير «خيتى» إلى أن روحه ستذهب إلى المكان الذى تعرفه :

«... من خلال الناس جيل يمضى بعد جيل والاله الذى يعرف أخلاق (الناس) قد أخفى نفسه ولكن لا يستطيع أحد أن يتحمل (مثل) الاله أنه يهاجم ما

---

(١) Ibid., P. 415.

تراه الأعين وقر (أعبد) الاله بطريقته مثل الفيضان الذى يحل محله فيضان (آخر) (دليل على إستمراريته وخلوده) إذ لا يوجد نهر يسمح لنفسه أن يخبىء . أيضا الروح تذهب إلى المكان الذى تعرفه جمل بيتك الغربى (مكان المقبرة كالمعتاد) وجمل مكانك فى الجبانة لأنك رجل مستقيم يحكم بالعدل الذى يرتاح إليه الجميع ، أن أخلاق الرجل المستقيم العقل أكثر قبولا (أكثر فائدة) عند الاله من ثور الظالم أعمل للاله يعمل من أجلك (ليكافئك) بقربان يزود به مائدة القربان وبالنقوش لأن ذلك يحمل (يخلد أسمك) والاله مدرك بمن يعمل من أجله ...»[١] .

وفى الفقرة السابقة مثلها مثل فقرات أخرى فى النص يتضح فيها الاشارات الدالة على ضرورة الابتعاد عن المادية وأن الخلق الطيب والعمل الحسن خالد وأرسخ للأبد بل أنه قد يفوق تلك القرابين التى تقدم للآلهة لضمان رضاها[٢] ، بل أن «خيتى» قد ربط فى وصفه بأن الاستقامة والعدل هم الذين يحظوا بتقدير الناس نتيجة لتوفر العدل الحقيقى ومن الواضح أن هذه الأفكار مثل غيرها من القيم كانت وليدة عصر الأنتقال الأول .

ومع هذا فأن علاقته بالاله يجب أن تحظى أيضا بإهتماماته وفى هذا دلالة على تمسكه بخير الماضى وإيمانه بقدرة الآلهة التى تفوق كل وصف ولذا يقول ناصحا أبنه «مرى كارع» (عن الاله) :

---

(١) Ibid., P. 417.

(٢) Wilson, J., The Burden of Egypt, PP. 119 - 120.

«... لقد صنع السماء والأرض طبقا لرغبتهم (حسب رغبة أهل مصر) وطرد وحش البحر (يقترح شارف Sharff بأن المقصود بذلك وحشا هزمه الاله الخالق عند بدء الخليقة) ولقد صعد إلى السماء طبقا لرغبتهم ، لقد خلق لهم النبات والحيوان والطيور والسمك ليطعمهم ، لقد قتل أعدائه وأصاب أولاده أيضا لأنهم فكروا فى الثورة لقد صنع لهم ضوء النهار تبعا لرغبتهم وأبحر لكى يراهم وأقام لهم أماكن العبادة ، وعندما يبقوا يسمعهم لقد صنع لهم حكاما (حتى وهم) فى البيض . ومؤيد (حامل لظهر العاجز) ...»[١] .

وطبيعى فإن الاله الذى يقوم بكل هذه الأعمال الطيبة من أجل اسعاد رعاياه ويمتلك تلك القوة العظيمة لابد وأن يحظى فى قلب وعقل الانسان المصرى القديم بكل طاعة وتقدير ولذلك فإنه على الرغم من أن مليكنا قد اهتم بضرورة الحياة المستقيمة الصالحة فوق الأرض إلا أنه قد جعلها هى الركيزة والمقدمة للحياة فى العالم الآخر فجاءت كلماته لتؤكد تلك الموازنة بين تصوره للقيم الخلقية التى يحب التحلى بها وبين تلك التقاليد الموروثة والتى لم يكن من السهل التخلى عنها أو تركها وخاصة فيما يتعلق بتلك المعتقدات الدينية .

ولذا يوصى أبنه «مرى كارع» :

«... أعمل آثار (للاله) لأنها تجعل أسم صاحبها يبقى ، الرجل (الملك) يجب أن يفعل لمنفعة روحه :

---

(١) Wilson, J., The Instruction for King Meri-Ka-Re, Anct, P. 417.

الخدمة الشهرية ويرتدى الصندل الأبيض ، ويزور
المعبد ، ويكشف أسرار العقيدة (يتعمق فيها)
ويدخل فى المكان المقدس (قدس الأقداس) ، ويأكل
الخبز فى المعبد إجعل مائدة القرابين مضاعفة ،
زود الأرغفة وزود العطايا اليومية ، أنه مفيد لمن
يفعل ذلك ، أجعل آثارك خالدة حسب قدرتك ، يوم
واحد يعطى للخلود ، وساعة واحدة تنفع فى
المستقبل ، والاله يدرك من يعمل من أجله ...»[١] .

ويتضح فى الفقرة السابقة أهمية بناء المبانى والمعابد للآلهة والعمل على زيارة هذه الأماكن المقدسة وإقامة شعائرها الدينية وتقديم القرابين اللازمة والتمسك بالطهارة والنقاء للحصول على عطف الآلهـة .

وتطرق النص إلى أشياء دنيوية أخرى كثيرة بعضها يتعلق بشخص الحاكم وإقامته للطقوس الدينية ومحاكاة الأقدمين والأجداد ، وفى حديث لا يخلو من حكمة وعدالة يتناول النواحى السلوكية والادارية لكبار رجال الدولة وكيفية اختيارهم وضرورة احترامهم والعمل على رخاء المجتمع وما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الحاكم ورعيتـه :

«... احترم النبلاء وأجعل شعبك فى رخاء ...

قدم الرجال العظماء الذين يمكنهم تنفيذ قوانينك
ومن كان غنيا فى بيته لا يظهر تحيزا (أو محاباة)
أنـه لا يريـد لأنـه يملك ، (ولكـن) الرجـل الفقـير لا

---

(١) Ibid., P. 416.

يتكلم إلا حسب مصلحته رهو ينحاز لمن يمتلك
مكافأة له ، بينما الرجل العظيم شجاع ، (وإذا)
كان الملك يمتلك فى حاشيته العظماء نهر
غنى ...» .

ومع هذا فإن عليه عند اختيار رجاله أن يختار الرجل المناسب الكفء وبذلك يضم بلاطه كل ذى مقدرة وكفاءة وهى أمور تستحق التقدير:

«... لا تميز بين ابن رجل (ذو مكانة أو مولد) وبين ابن
رجل فقير ، (ولكن) خذ الرجل من أجل عمل يديه
(كفاءته) ، وكل عمل ماهر سيكون خبرة (مران)
تبعا إلى (-) الملك ...»[١] .

وفى جملة تحمل كل المعانى الخلقية ينصح الملك أبنه باتباع الحق والعدل حتى تستقيم له أمور البلاد ويهابه الجميع وأن يكون قدوة للجميع وضرب لذلك مثلا لمدخل المنزل وجزئه الأمامى إذا أحسن العناية به فهذا معناه أن البيت كله فى صورة حسنة :

«... إذا تكلمت الصدق (الحق) فى بيتك) فأن عظماء
(القوم) الموجودين على الأرض سيخافونك ،
وصواب القلب (العقل) يناسب الملك ، لأن واجهة
المنزل هو الذى يبعث الاحترام فى داخله ...»[٢] .

(كانت واجهة المنزل تعبر عن صاحبه من وجهة النظر المصرية القديمة) .

---

(١) Ibid., P. 415.
(٢) Ibid., P. 415.

وبالاضافة إلى تلك الارشادات عن فنون الادارة والسياسة وما اتسمت به من قيم وأفكار فالنص يحتوى أيضا الجانب السياسى والأحداث التاريخية التى عاصرت عهد الملك «خيتى» وهو فى حديثه من هذه الأحداث بما فيها من خير وشر يحاول الربط بينها وبين ارشاداته لأبنه وهى تحوى اعترافات فريدة من نوعها فى التاريخ المصرى القديم،كما أن الشك لا يتطرق إليها حيث يتحدث الملك بصدق عن حوادث معروفة له ولأبنه وللأنسان المصرى فى تلك الفترة ، وعلينا أن نستشف بقدر الامكان من النص الوقائع الصحيحة لتلك الفترة التى لاتزال يكتنفها الغموض .

ونستنتج من التعاليم أن والد «مرى كارع» قد تولى الحكم مثله مثل من سبقه من ملوك «أهناسيا» الذين كان نفوذهم محدودا ولم يتعدى «ثنى» (اقليم أبيدوس) فى الجنوب[١] وبالرغم من نجاحهم فى إقامة علاقات مع بعض مقاطعات الجنوب ونجاحهم فى تطهير الدلتا من جماعات البدو فإن الجنوب الطيبى قد أخذ موقف العداء من هذه الدولة،والمعروف أنه منذ نهاية الأسرة التاسعة (٢١٣٣) ق.م وطيبة[٢] ، تحكم بواسطة أمراء يحملون أسم «أنتف Antef» وفى البداية أعترف أمراء طيبة بسلطان ملوك أهناسيا وهادنوهم ولم ينسبوا لأنفسهم أية

---

(١) Baikie, J., OP. Cit., P. 224.

(٢) مدينة «واسة» أو طيبة كما أطلق عليها اليونانيين فيما بعد لم تكن فى عصر الدولة القديمة سوى قريتين على الضفة اليمنى للنيل إحداهما «الأقصر الحديثة والثانية الكرنك» ، وعاصمة المقاطعة كانت تسمى قديما «أون» أو باليونانية (هرمنتس Hermonthis ، أرمنت الحالية) وهناك كان المعبد الرئيسى لاله المقاطعة «مونتو» الإله المحارب ، غير أنه فى الأسرة ١٢ أصبح «آمون» هو الاله الرئيسى لطيبة وللدولة كلها ، أنظر :

Hayes, W.C., OP. Cit., P. 147.

وكـــذا : Vercoutter, J., OP. Cit., P. 334.

ألقاب ، وتلقب زعيمهم «أنتف الأول» (٢١٣٤ ـ ٢١٣١ ق.م) فى بعض نصوصه بلقب عادى مثل : الأمير بالوراثة الحاكم العظيم لأقليم طيبة المحبوب من الملك بإعتباره الحارس على مدخل أقاليم الجنوب كبير الكهنـة[١] .

هذا بالنسبة للجنوب ، أما بالنسبة لمنف فلقد ظلت بمثابة العاصمة الإدارية كما كان الحال فى الدولة القديمة وقد ربطت بالعاصمة الجديدة فى «أهناسيا» عن طريق قناة[٢] أما شرق الدلتا فقد أغار البدو الآسيويين على البلاد ويبدو من النص أن الملك قد نجح فى القضاء على خطرهم وما يسببوه له من متاعب وأعاد تنظيم البلاد إذ قسمها إلى مناطق إدارية صغيرة وأعطى الكهنة اقطاعيات جديدة والنص يتحدث عن ذلك :

«... أنظر [المنطقة] التى اجتاحوها مقسمة الآن إلى مقاطعات وكلها مدن كبيرة أملاك رجل واحد ، الآن فى أيدى عشرة رجال مثقلين بكل نوع من أنواع الضرائب الموجودة الكاهن مقدم بالحقول ويعمل من أجلك كجندى .

(وهذا يعنى أن الكاهن عليه أن يؤدى الضرائب المفروضة عليه) ولن يمروا من هنا لأنهم غشاشون فى القلب ، أنظر القيود تفرض فى المنطقة التى قفلتها فى الشرق حتى حدود «هابانو» وحتى طرق حورس (وهـذا يعنى المناطق التى استعادها من

---

(١) Winlock, H.E., The Rise and Fall of the Middle Kingdom in thebes, Newyork, 1947, PP. 5 - 6.

(٢) Wilson, J., OP. Cit., P. 417.

الأجانب) ويضيف بأنه قد ملأها بالناس الذين
أختارهم من كل مكان من مصر حتى يمكنهم
صد هجوم الآسيويين ...»(١) .

ثم يستمر فى الحديث عن الآسيويين واصفا لهم بلادهم باحتقار شديد وهو احساس طبيعى :

«... الآسيوى التعيس شر أينما يكون ، مبتلى بالمياه
يعانى من الأشجار طريقه غير ممهد بسبب
الجبال ، أنه لا يسكن (يقيم) فى مكان واحد ،
(ولكن) أرجله صنعت ليتجول ، أنه يحارب منذ
وقت حورس (ولكن) لا ينتصر ولا يغلب على أمره
أنه لا يعلن يوم الحرب مثل اللص ...

(نظرا لترحاله وعدم اشتراكه فى معارك)

ولكن طالما أنا حى فالمحاربين على أى حال أغلقوا
الأنحاء لقد جعلت المناطق الشمالية تذبحهم ، لقد
أسرت سكانهم لا تقلق نفسك بهم أنه فقط آسيوى
شخص مكروه فى بلاده يمكنه سرقة شخص
واحد ولكنه لا يقوى على مواجهة مدينة بها
مواطنون كثيرون ...»(٢) .

وربما نستشف من كلمات الملك الاستهانة بهؤلاء البدو الآسيويين ولكنه فى نفس الوقت يدعوا أبنه لكى يعد العدة والتعاون من أجل القضاء على خطرهم ، ويرى «ولسون Wilson» أن وصف الآسيويين

---

(١) Ibid., P. 416.

(٢) Ibid., P. 416.

بهذه الصفات وعدم قدرتهم على مواجهة مدينة يؤكد أن مثل هؤلاء لا يمكنهم أن يكونوا سببا فى القضاء على الدولة المصرية القديمة وأن الانهيار كان مرجعه أسباب داخلية .

ثم يعود «خيتى» وينصح أبنه «مرى كارع» بأن يبنى الحصون فى الجهة الشمالية ويقصد الملك بالناحية الشمالية ، الشمال الشرقى لأنه إذا قامت ثورة فى اتجاه الجنوب فأن ذلك سوف يعطى الفرصة للآسيويين فى الشمال الشرقى للقيام بغارات ويحذره من ذلك قائلا :

«... احترس من أن يطوقك اتباع عدوك سواء فى الشمال أو الجنوب ...»(١) .

ولهذا حث الملك أبنه «مرى كارع» أن يعمل على احلال السلام مع الجنوب حتى لا يترك الحدود الشرقية بدون قوات فى حالة قيام حرب .

وهكذا اتجهت ارشادات الملك فى هذا الشأن إتجاهين ، إحلال السلام مع مصر العليا وتقوية الحدود الشرقية لمصر لأهميتها الجغرافية .

ولابد أن هذه السياسة كان لها أثرها فى ثراء حكام «أهناسيا» نظرا لإستقرار الأمور لهم إلى حين وصول ضرائب الدلتا من جديد والجرانيت اللازم للبناء من الجنوب وكما يشير النص إلى «مرى كارع» :

«... أن الأمور تسير فى صالحك فى المنطقة الجنوبية ...»

وبالرغم من صعوبة النص وضياع بعض الفقرات الهامة إلا أنه لا يخفى الواقع من حيث وجود صراع بين كل من مقاطعة «أهناسيا»

---

(١) Ibid., P. 417.

ومقاطعة «طيبة» التى زاد نفوذها وأحست بقوتها مما جعلها تدخل فى صراع السلطة مع حكام «أهناسيا» .

ولذلك فان خيتى «يتحدث إلى ابنه مفتخرا باستيلائه على مدينة «ثنى» منجزا عملا عظيما لم يستطع من سبقه من الملوك القيام به» :

«... لا تتعامل بالشر مع المنطقة الجنوبية لأنك تعرف النبوءة لمدينة الاقامة الخاصة بها . أنهم لا يعتدون على حدودنا كما قالوا . لقد أخذتها مثل سحابة (يشير إلى أنه قد أخذ هذه الأماكن بسرعة) ، الملك «مرى أيب رع» المنتصر لم (يستطع) أن يأخذها ، كن حليما بسببها .. أنه لمن الأفضل العمل من أجل المستقبل ...»(١) .

كما ينفرد النص بفقرة تعد من أعظم الأشياء التى تركتها لنا تلك الفترة من قيم وهى اعتراف الملك بالفشل وكما يشير «ولسون Wilson» فان الاعتراف بالفشل كان من الأمور الغريبة بالنسبة لأى مصرى وبالذات لشخص الفرعون الذى يعترف بأنه غير معصوم من الخطأ وأنه مثل الآخرين يخطىء وعوقب نتيجة لذلك عقابا شديدا من الآلهة ، والنص يشير إلى ذلك (رغم غموضه) :

«... لأن جيل سيضغط على جيل كما تنبأ الأسلاف
مصر تحارب حتى فى نكروبوليس بفتح المقابر بـ
لقد فعلت نفس الشىء ونفس الشىء حدث كما
يحث لمن يقتحم طريق الاله ...»(٢) .

---

(١) Ibid., P. 416.

(٢) Wilson, J., OP. Cit., P. 416.

وكـذا :

فى احدى حلقات الصراع بين أهناسيا ومؤيديها وطيبة ومؤيديها استطاع حاكم أهناسيا ـ كما يبدو من النص ـ أن يستولى على مدينة أبيدوس ذات الأهمية الدينية ولكنه استنكر فعلته هذه وربما اضطر أن يقبل تقسيم البلاد ، انظر : Vercoutter, J., OP. Cit., P. 336.

ومن الطبيعى أنه كان يقصد من ذكر هذه الأشياء لأبنه «مرى كارع» أن يتجنب مثل هذه الأمور فى المستقبل لأنها تغضب الآلهة وتمس المقدسات ، وعلى أى حال فنحن لا نعرف ما إذا كان «مرى كارع» قد نفذ نصيحة والده أم لا ولكن الشىء المؤكد أن تلك الهدنة القصيرة بين الشمال والجنوب قد إنتهت عندما بدأ حاكم «طيبة» بالهجوم لتحقيق أغراضه السياسية ولم شمل البلاد .

ومن مجموعة النصوص الشخصية التى وجدت فى مقابر مصر الوسطى والعليا يمكن أن نستنتج أن بعض المقاطعات الجنوبية لم تتردد فى مؤازرة «أهناسيا هيراكليوبوليس» وذلك لمعارضة قوة طيبة من ناحية ومن ناحية أخرى فان سياسة أهناسيا إزاء حكام الأقاليم الموالين لها قد أتت ثمارها ـ لفترة ما ـ أثناء صراعها مع طيبة والتى يبدو أن نتائج معاركها الأولى كانت فى صالح أهناسيا(١) .

ونستطيع أن نجد فى نصوص مقابر أمراء أسيوط التى تنتمى إلى الأسرات التاسعة والعاشرة ما يلقى الضوء على تلك الفترة(٢) ، وخاصة مقابر «تفيبى» وأبنه «خيتى» الذى أطلق عليه «خيتى الأول» وتقع مقبرته إلى الوسط وذلك للتمييز بينه وبين «خيتى الثانى» التى تجىء مقبرته بعده ، ومن نصوص مقبرة الأخير «خيتى الثانى» أقدم المقابر الثلاثة فأننا نستنتج من نصه ومن سرده لسيرة حياته أنه عاش تلك الفترة قبل اندلاع الحرب بين «أهناسيا» و «طيبة» ونقشه يبدأ بالألقاب التقليدية باعتباره حاكم اقليم أسيوط وأنه لم يكذب فى سرد سيرة حياته لأن كل الأعمال الطيبة التى قام بها واضحة أمام الناس وشاهدا على كلامه(٣) ، وصاحب المقبرة يروى لنا كيف أمضى شبابه

---

(١) عبدالعزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ .

(٢) Petrie, F., OP. Cit., P. 115.

(٣) Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt, PP. 187 - 188.

وكيف تعلم مع أولاد الملك ، وكيف أصبح حاكما للأقليم وهو لايزال صغيرا لا يتعدى طوله القدم[١] ، وهو يحكى بأنه قام بشق القناة باقليمه مما جلب معه كمية كبيرة من المياه أثناء موسم الجفاف :

«... لقد أتيت بهدية لهذه المدينة التى لا توجد عائلات
من شمال البلد أو ناس من وسط مصر
[ ] ...» .

ويقصد من ذلك بأنه راعى أصول العدالة ولم يأتى بأى عامل بالقوة للعمل فى هذه القناة من أى مكان فى مصر وكان مهتما بتحسين أحوال البلاد لاقامته مشروعات الرى وتوفير سبل الغذاء لرعاياه .

«... كنت متسامحا كما هو واضح فى آثارى
[-] (تحملت مسئولية) الحياة فى
مدينتى[٢] وصنعت الـ [-] بالحبوب
وأعطيت المياه فى منتصف النهار إلى
[-] (زودت المياه) إلى الأراضى والأنحاء
العالية لقد زودت بالمياه هذه المدينة فى وسط مصر
وأوصلتها إلى (الجبال) التى لم تكن ترى المياه (من
قبل) ...»[٣] .

وواضح أن «خيتى (الثانى)» يفخر بحسن إدارته لإقليمه وذلك من خلال وصفه لقيامه بواجبه موضحا عطفه وكيف سمح للمواطن أن يحمل الحبوب لنفسه ولزوجته وللأرملة وأبنها وسماحه أيضا بأن

---

(١) Gardiner, A., OP. Cit., P. 113.

(٢) Breasted, J., H., OP. Cit., P. 189.

(٣) Ibid., P. 189.

يعطى كل إنسان المياه إلى جاره وإلى كل من فى حاجة إليها الأمر الذى جعله يتباهى بأن عدالته كانت سببا فى تقريب صداقته للملك فى «أهناسيا».

«... كنت محبوبا لدى الملك وفى موضع الثقة من أمرائه ...»(١).

ولابد أن هذه السياسة كان لها وقعها الطيب على نفوس مواطنيه الذين أيدوا هؤلاء الحكام عندما انحازوا إلى جانب «أهناسيا» فى صراعها مع «طيبة» وكان من أكبر المؤيدين لأهناسيا حكام أسيوط «وبنى حسن»، و«أخميم» و «الأشمونيين» و «وحتنوب» الذين تقربوا بالأعمال الطيبة إلى أهل أقاليمهم رغبة فى تأييد هؤلاء الحكام فى أوقات الشدة(٢)، وهو ما تشير إليه نصوص «تفيبى Tefibi»* التى تتحدث عن أول حلقات الصراع مع الجنوب وعن شجاعته ، ولكن النص غير واضح عن تفاصيل ذلك الصدام الذى اشترك فيه الملك.

«... هو سارع إلى المعركة مثل [الضوء]، كذلك غير معروفة نتائجه ...»(٣).

---

(١) Ibid., P. 190.

(٢) عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

(*) «تفيبى Tefibi» حاكم اقليم أسيوط وتوجد مقبرته ضمن ثلاث مقابر وتقع إلى الجنوب تليها مقبرة أبنه «خيتى الأول» فى الوسط وإلى الشمال منها تقع مقبرة «خيتى (الثانى)» التى قام «جريفت» بنشر نصوصهم فى :

Gruffth, F., L., The inscriptions of Siut and Der Refeh, London, 1889.

عن مزيد من التفاصيل أنظر :

Breasted, J., H., OP. Cit., PP. 179 - 180.

(٣) Gardiner, A., OP. 114.

وكـذا :

Breasted, J., H., Cit., PP. 182 - 183.

وهو فى حديثه عن الاحتكاك بينه وبين طيبه وكذلك عن حسن إدارته لإقليمه لا يخفى شعوره القوى بالاستقلال الذاتى وهو يصف حكمه الصالح لاقليمه بأنه مد يد المساعدة لكل شخص فى اقليمه وكان محبوبا ونافعا للجميع وعامل الأرملة معاملة طيبة وكان بمثابة النيل فى عطائه وفى خيره لأهل مدينته وعن توفيره للأمان واستتاب الأمن والعدل فى اقليمه فأنه يصف :

«... عندما يأتى الليل من ينام فى الطريق يمدحنى لأنه مثل الرجل الذى ينام فى داره لأنه فى حماية جنـودى ...»(١) .

ثم يضيف شيئا من أهم الأشياء حيث يؤكد أن قيمة الشخص بعمله وكفاءته وفى هذا تأكيد على قيمة العمل والكفاءة مقرونا بالخير وكما يرى «عبدالعزيز صالح» أن الشخص النبيل هو الذى يستطيع أن يتفوق بمآثره على مآثر أبيه(٢) ، ثم يؤكد انتقال الحكم إلى أبنه «خيتى الأول» بالوراثة :

«... ثم أتى أبنى مكانى والموظفين كانوا تحت سلطته وحكم حينما كان طفل والمدينة إبتهجت وفرحت به وتذكرت الشىء الطيب الذى فعله والده لأن كل نبيل يفعل الخير لمواطنيه سوف يكون مباركا فى العالم الآخر وسوف يكون أبنه مطيعا فى منزل أبيه وذكراه (سمعته) ستكون طيبة فى المدينة وتمثاله سيكون معظما بعد موته (حينما يحمله أبناء أسرته) ...»(٣) .

---

(١) Ibid, P. 181.

(٢) عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

(٣) Breasted, J., H., OP. Cit., P. 181.

ومع ذلك فلقد استمرت الحرب الأهلية بين المقاطعات فى محاولة للسيادة على مصر كلها حيث نجد أيضا فى مقبرة «ابن تفيبى» «خيتى (الأول» أضواء على ما أنتاب مصر فى تلك الفترة من أحوال سياسية وإجتماعية حيث يحكى «خيتى» أنه قد ورث الأرض والألقاب الخاصة بأبيه وبالاضافة إلى وظائفه العادية فى اقليمه كان أيضا قائد القوات فى كل الأراضى .

ونصــه فى غاية الأهمية لتاريخ الدولة الاهناسية ، ويبدأ النص فى وصـف الخدمات الــتى أداهـا «خيـتى» إلى المـلـك «مـرى كـارع» (Mry K3 Rc) ومرافقته إلى الجنوب حتى الاقليم الحادى عشر (شاسحوتب Sheshotep) ثم عودتهم إلى العاصمة التى خرجت كلها لاستقبال الملك معبرة عن سرورها به ، ويبدو أن الغرض من حضور «خيتى (الأول)» إلى العاصمة هو المشاركة فى بيعة وتتويج الملك الشاب «مرى كارع Mry K3 Rc»[١] ، الذى أمر فى تلك المناسبة بإجراء إصلاحات وتجديدات فى معبد «وب واوات Wp. Wawet» الاله ابن آوى لأسيوط :

> «... اله المدينة أحب «خيتى ابن نفيبى» الذى ينظر للمستقبل لكىْ يعيد (بناء) معبده لكى يرتفع البناء القديم ، المكان الأصلى للعطايا إلى (—) التى بناها «بتاح» بأصابعه وأسستها «تحوت» من أجل «وب واوات Wp. Wawet» اله أسيوط ...»[٢] .

ولكن رغم حالة التقلب بين السلم والحرب فيبدو أنه كانت هناك منطقة هادئة نوعا فى مصـر وهى المنطقة الواقعة فى الاقليم المتوسط

(١) Gardnier, A., OP. Cit., P. 114.

(٢) Breasted, J., H., OP. Cit., PP. 186 - 187.

بين منف وطيبة حيث جبانات الأقاليم الوسطى فى بنى حسن وأخميم تزخر بالمقابر الثرية ، ومن أجمل التوابيت المنتمية إلى تلك الفترة توابيت «البرشا» .

وكانت البرشا فى ذلك الوقت تحوى مقابر حكام اقليم «الارنب Hare» وكانت خمون Khamun (هرموبوليس الاشمونين الحالية) هى المدينة الرئيسية فى الاقليم ، وقامت فيها أسرة جديدة من الأمراء قد حلت محل أمراء الدولة القديمة الذين عثر على مقابرهم فى الشيخ سعيد إلى الجنوب قليلا ، وهذه المنطقة كانت تحت نفوذ الأهناسيين ولكن هناك من الدلائل ما يشير أن ولاء حكامها إلى الشماليين لم يكن ولاء تاما وتخلو جدران مقابرهم من أية اشارات لمثل هذا ، غير أنهم استطاعوا أن ينهضوا بشئون اقليمهم وكان باستطاعتهم بناء المعابد واقامة المبانى العامة وشجعوا الصناعات تحت اشرافهم المباشر مما تسبب فى تقدم أحوال الاقليم الاقتصادية والاجتماعية[١] .

غير أننا نجد الكثير من النقوش التى تكيل المدح لحاكم الاقليم وذلك فى محاجر المرمر فى «حتنوب» وهى توجد إلى الشرق من هذه المنطقة وفيها نجد أسماء حكام الاقليم مصحوبة بصيغ كانت مقصورة من قبل فى استعمالها على الملوك وحدهم مثل «فليعيش إلى الأبد» أو مثل «فلتكن حماية الحياة حوله كا «رع»[٢] إلى الأبد» .

ولقد عثرنا على نصين من أقدم هذه الكتابات تتحدث عن العام ٣٠ ، ٢٠ من حكم هؤلاء الأمراء أنفسهم مما يدل أن هذه الكتابات مؤرخة بسنين حكمهم وليس الملوك المعاصرين لهم مما يدل على أنهم كانوا أقل تأثرا من حكام الأقاليم الموجودة إلى الجنوب منهم حيث

---

(١) Gardiner, A., OP. Cit., P. 114.

(٢) Breasted, J., A History of Egypt PP. 159 - 160.

تقابلت الملكتان فى قتال أخير[١] ، كان النصر النهائى فيها لصالح البيت الطيبى الذى أعد نفسه منذ عهود الأسرتين العاشرة والحادية عشرة للمعارك من أجل السيطرة على مصر تعرضت أثناءها البلاد لكساد اقتصادى كبير نتيجة للفوضى السياسية .

والنصوص الخاصة بتلك الفترة تذكر المجاعات التى نتجت عن الحرب الأهلية ويحدثنا (عنخ تيفى Ankhtifi) من هيراكونبوليس عن مجاعة رهيبة حلت بمصر العليا فى هذه الفترة بلغت من قسوتها أنها عرفت بعض حالات عن أكل لحوم البشر .

والظاهر أن مصر كلها قد ضعفت من المعارك الأهلية مما عجل بانسياق طيبة نحو الوحدة ونجاحها فى ذلك الأمر الذى جعل مصر بحلول عام ٢٠٤٠ ق.م تقريبا تمتد من النوبة السفلى حتى البحر الشمالى وأصبح فى إمكان البلاد أن تنهض من الخطر الذى استمر طويلا سواء من الداخل أو الخارج وبذلك أكد فراعنة الأسرة الحادية عشرة ما حققوه[٢] ، من نجاح .

وبرغم مما حفلت به تلك الفترة التى أعقبت نهاية الدولة القديمة وما نسميه بعصر الفترة الأولى من أحداث واضطرابات كان لها أثرها فى هبوط الفن من عمارة ونحت وتصوير ، إذا ما قورن بالأعمال الفنية فى الدولة القديمة بإستثناء بعض الأعمال فإن ما يعنى الدارس التأكيد عليه أن تلك الفترة كانت سببا فى ظهور بعض قيم جديدة مثل تنمية وإعادة الروح الحربية وتقدير الفردية والكفاءة ، وأهمية العدالة الإجتماعية ، والمحافظة على العقائد والتقاليد الموروثة ثم المناداة باتباع المثل العليا والاهتمام بالعالم الآخر وهى ما حوته

---

(١) Gardiner, A., OP. Cit., P. 114.

(٢) Vercoutter, OP. Cit., PP. 338 - 339.

نصوص تلك الفترة وأوائل الدولة الوسطى(١) . وهو ما يجعلنا ننظر إلى تلك الفترة بأنها فترة هامة فى تاريخ التقدم الانسانى حيث رأى أن المثل والقيم الخلقية والمساواة هى التى يجب أن تسود مجتمعهم وبالتالى أصبحت «ماعت Maat» بما تعنيه من معانى على درجة كبيرة لدى الانسان المصرى القديم للحصول على رضاء النفس وبلوغ السعادة فى عالم الدنيا وفى العالم الآخر ولدينا من تلك الفترة نصا يعد من أهم النصوص تصويرا للاتجاه الجديد نحو المساواة الاجتماعية والعدل الاجتماعى والتمسك بالحقيقة ومراعاة أولى الأمر والقائمين على شئون المجتمع بالتمسك بالحق والعدل وحث للانسان المصرى القديم على أن يتمسك بقيم الحق والمعانى الخلقية وهو ما عبر عنه نص «الفلاح الفصيح» الذى ترجع حوادثه إلى العهد الأهناسى(٢) ، وكما يرى «جاردنر Gardiner» فى عهد الملك «خيتى الثالث » حيث جاء ذكر أسمه فى حفائر «بترى Petrie» فى الرتابة(٣) ، وفى نفس هذه القصة التى نقلت إلينا فى نسخ يرجع عهدها إلى عصر الدولة الوسطى(٤) ، وفى هذا دلالة هامة على أن القصة وما تضمنتها من قيم قد وجدت صداها فى نفوس الشعب المصرى القديم مما جعلها تتداول بعد ذلك وتكتسب الذيوع والشهرة لأنها صورت المبادىء الانسانية فى شكل مواقف ملموسة عبر عنها انسان مصرى قديم أو أديب مصرى قدير(٥) ، من حملة الأقلام الذين

---

(١) عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٩ ـ ١٥٢ .

(٢) عبدالعزيز صالح : حضارة مصر وآثارها ، ص ٤١٤ .

(٣) Gardiner, A., H., Egypt of the PH. P. 112.

(٤) النص موجود فى أربع نسخ منها ثلاث نسخ فى متحف برلين فيما يعرف ببردية برلين أرقام (10499R, 3023 B1., 3025B2) والنسخة الرابعة بالمتحف البريطانى تحت رقم (19274) ، أنظر :

Wilson, J., The Protests of the Eloquent Peasant, Anet, P. 407.

(٥) Gardiner, A., H., The Eloquent Peasant, JEA, vol. 9, London, 1923, P 7.

طالبوا بضرورة العدالة الاجتماعية وأصر على حقه رغم ما تعرض له من إضطهاد ولم يخش فى الحق غنى أو ذو مركز[١] ، كما صور كيفية الحكم فى ذلك العصر سواء عن طريق الفرعون أو من يساعدونه من طبقة الموظفين وأمنية الإنسان المصرى القديم عن العلاقة التى يرجو أن تسود بينه وبين القائمين على أموره حتى يتحقق الخير والعدل الإجتماعى للجميع .

ورغم بساطة القصة فإن الموضوع يتيح للكاتب أن يقص كثيرا عما يعانى منه الناس فى تلك الفترة من فساد وإنعدام العدالة المنتشرة فى مصر فى تلك الفترة وعجز الملكية والسلطة عن تطبيق المثل العليا التى يجب أن تسود المجتمع المصرى .

والقصة بشكل عام تتكون من جزءين ، الجزء الأول منها يحكى واقعة ظلم تعرض لها انسان بسيط يعمل فلاح فى «وادى الملح»[٢] ، «وادى النطرون» يدعى «خون أنبو Khun - Anpu» الذى ترك زوجته وأولاده بعد أن ترك لهم جزءا مما يدخره من الغلال وأخذ الباقى للمتاجرة به :

«... انظرى إنى ذاهب أسفل إلى مصر لأحضر طعاما
لأولادى وعليك الآن أن تذهبى وتكيلى لى غلالا
من الجرن ، الغلال التى تبقت من [العام الماضى]
ثم قال لها أنظـرى هناك عشرين مكيال من الغلال

---

(١) سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٥٥ .
وكـــذا : Wilson, J., Cit., P. 407.

(٢) الاسم الحالى وادى النطرون شمال غرب أهناسيا ، أنظر :
Wilson, J., OP. Cit., P. 407.
وكـــذا : Gardiner, A., H., OP. Cit., P. 7.

لكى وللأولاد وعليكى أن تصنعى لى هذه الستة
مكاييل خبزا وشرابا للأيام التى سأسافر
فيها ...»[(١)] .

عند ذلك سافر إلى مصر بعد أن حمل حميره بالبضاعة المنتجة فى وادى النطرون من أعشاب وجلود وأحجار شبه كريمة وكل الأشياء التى يمكن أن يبيعها فى مدينة «أهناسيا» العاصمة[(٢)] .

ثم سار جنوبا فى اتجاه «أهناسيا» «هيراكليوبوليس» ووصل إلى منطقة تسمى «برفيفى Per-fefi» إلى الشمال من مدنيت Medenit[(٣)] .

وهناك رأى رجلا واقفا على شاطىء النهر يدعى «تحوت ناخت» يتولى أمر هذه القرية نيابة عن موظف كبير يتولى نظارة الخاصة الملكية يسمى «رنسى بن مرو» وعندما رأى «تحوت ناخت» ذلك الفلاح وبضاعته مال قلبه إليها وطمع فى الإستيلاء عليها وحدث نفسه :

«... ليت لى صنما مؤثرا (وسيلة سحرية) حتى أتمكن
من سرقة بضاعة هذا الفلاح بعيدا عنه ...»[(٤)] .

لذلك فقد لجأ إلى حيلة دنيئة وخاصة أن منزله كان يقع على ممر ضيق بجانب النهر كانت المياه تحيط به من أحد الجوانب بينما الغلال من الجانب الآخر ولذلك أمر «تحوت ناخت» خادمه بأن يحضر له ملائة (قطعة من القماش من داره) وفرشها على الممر فى الوقت الذى حضر فيه الفلاح وبضاعته فقال له «تحوت ناخت» كن حريصا أيها

---

(١) Wilson, J., OP. Cit., P. 407.

(٢) عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٤١٤ .
وكذا : Breasted, J., H., The Dawn of Conscience P. 183 ff.

(٣) موقعهم غير معلوم وقد تكون مدينة «أطفيح» الحالية بالقرب من الفيوم ، أنظر : سليم حسن نفس المرجع السابق ص ٥٧ ، وكذا : Gardiner, A., H., OP. Cit., P. 7.

(٤) Wilson, J., OP. Cit., 407.

الفلاح ولا تطأ ثوبى عندئذ قال له الفلاح سأفعل ما يسرك وعندئذ سار إلى الأمام مرتفعا (بعيدا) عن ثوبه فقال له «تحوت ناخت» أتريد أن تجعل من غلالى ممرا فرد الفلاح عليه أن طريقى جيد والجسر عالى والطريق الوحيد لى تحت الحبوب وهو المكان الذى يوجد فيه رداؤك فهل تسمح لنا أن نمر على الطريق وفجأة قضم أحد حمير الفلاح حزمة من القمح فانتهز الفرصة «تحوت ناخت» وأصر أن يستولى على الحمار جزاء ما فعل .

«... أنظر سوف آخذ حمارك لأنه أكل قمحى ...»

فأحتج عليه الفلاح قائلا :

«... ان طريقى جيد وحزمة واحدة فقط من الغلال قد ضاعت لقد أحضرت حمارى بسبب [-] وأنت تستولى عليه لأنه ملأ فمه بحزمة من القمح إنى أعرف السيد (صاحب) هذه الناحية ...»[1] .

غير أن ذلك لم يثنه عن فعلته واستمر فى ظلمه قائلا :

«... ان اسم الرجل الفقير ينطق (فقط) من أجل سيده وأنا الذى أتحدث إليك فلماذا تذكر صاحب الضيعة ...»[2] .

ثم أخذ فى ضرب هذا الفلاح البائس وأخذ كل بضاعته إلى داره مما جعل الفلاح يبكى بشدة لما أصابه من ألم وضياع ممتلكاته فقال له «تحوت ناخت» :

---

(١) Ibid., P. 408.

(٢) Ibid., P. 408.

«... لا تكن مزعجا أيها الفلاح لأنك فى أرض رب السكون (قد يعنى هذا وجود ضريح الآله أوزير قريب من المكان) ...»[١] .

فأجابه الفلاح :

«... انك تضربنى وتسرق بضاعتى والآن تمنع حتى الشكوى أن تخرج من فمى ...» .

ووجه حديثه إلى رب السكون طالبا العدل :

«... أنت يا رب السكون أعد إلى ممتلكاتى ولن أرفع صوتى الذى يزعجك ...»[٢] .

واستمر الفلاح نحو عشرة أيام يتضرع فيها إلى «تحوت ناخت» لكى يرفع الظلم الواقع عليه ولكن بدون نتيجة فاتجه إلى العاصمة لمقابلة رئيسه «رنسى» ليعرض عليه شكواه ، وفعلا قابله وهو خارج من بيته إلى النهر ليستقل قاربه الرسمى ورجاه أن يرسل معه أحد تابعيه حتى يقص عليه قصته الحقيقية فأستجاب «رنسى» إليه ، وعرف منه القصة كاملة[٣] .

أقام «رنسى» تحقيق ضد «تحوت ناخت» أمام مجموعة من الموظفين وبدلا من قول الحقيقة فانهم إنحازوا ضد الحق ووقفوا إلى جانب زميلهم وشككوا فى صحة كلام ذلك الفلاح المظلوم وأتهموه بعدم الصدق والمبالغة راغبين أن يقوم زميلهم بإرجاع ما أخذه لأن

---

(١) عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٤١٥ .

(٢) Wilson, J., OP. Cit., P. 408.

(٣) Gardiner, A., H., OP. Cit., P. 9.

وكـذا : Breasted, J., H., OP. Cit., P. 185.

هذا الموضوع لا يستدعى أن يعاقب من أجله[١] ، ولكن «رنسى» ظل صامتا لم يؤيدهم فى إنحيازهم ضد الحق ولم يجب الفلاح بشىء لتنتهى مقدمة القصة ويبدأ الجزء الثانى من القصة التى أراد الأديب أن يضمنها أراءه فى التمسك بالحق والكفاح بصبر وعزيمة حتى يتحقق ، وتصوير الظلم وفاعليه والعدل والقائمين بتحقيقه فى صور محببه إلى النفس والقلب من خلال تسع شكايات :

فيبدأ الفلاح شكوته الأولى إلى «رنسى» نفسه بعبارات تحبب إليه فعل الخير وتحقيق العدل :

«... إذا أبحرت إلى بحيرة العدالة فإنك ستبحر فيها بنسيم طيب ولن يمزق الهواء قلعك وقاربك لن يبطىء ولن يحدث لصاريك أى ضرر ومرساك لن ينكسر ولن يجرفك التيار بعيدا ولن تتذوق أضرار النهر (لن تغرق) ولن ترى وجها خائفا حتى السمك الخائف سوف يأتى إليك وسوف تحصل على أثمن طائر لأنك أب لليتيم وزوجا للأرملة وأخ لتلك التى نبذت و ومئزر لمن لا أم له (دليلا على عدله وشفقته) ودعنى أجعل أسمك فى هذه الأرض يتفق مع كل قانون طيب (عادل) وحاكم خالى من الطمع ورجل عظيم خالى من الأخطاء من يحطم الزور (الكذب) ويأتى بالعدل مكانه ، من يلبى نداء المستغيث ، وعندما أتحدث فهل لك أن تسمعنى ، أقم العدل أنت ممدوح بهؤلاء الذين يحبونك ، أنظر إنى فى عسرة ...»[٢] .

---

(١) Wilson, J., OP. Cit., 408.

(٢) Ibid., P. 408.

وكـــذا : Gardiner, A., OP. Cit., PP. 408 - 409.

ويتضح فى سطور تلك الشكوى الأولى أن صاحبها مهذب يحاول إستعطاف من يسمعها. لرفع الظلم الذى تعرض له متخذا من العدالة الضمان له ولكل من يسير على نهجها النجاح فى الحياة والذكرى الطيبة وهى الضمان للبعد عن الطمع والكذب وكل سوء .

وعند هذا الحد من القصة فان «رنسى» قد أعجب بفصاحة ذلك الفلاح فعرض الأمر على مليكه :

«... سيدى لقد وجدت أحد هؤلاء الفلاحين أنه حقا بليغ وقد سرقت بضاعته ، وأنظر أنه قد حضر ليتظلم من أجل ذلك ...» .

عندئذ رد الملك عليه :

«... بحق ما تحب أن ترانى فى صحة دعه هنا فترة أطول بدون أن تجيبه على شىء يقوله وعندما يتحدث إلزم الصمت ثم أحضر لنا ما يقوله مكتوبا حتى نسمعه ، ولكن مد زوجته وأولاده بأساليب المعيشة...»[١] .

وعمل «رنسى» بتوجيهات الملك فأرسل إلى رئيس قرية وادى الملح الذى قام بإمداد زوجة الفلاح وأسرته بثلاثة مكاييل من القمح يوميا[٢] .

وهكذا يتضح أنه فى الوقت الذى عبر فيه الكاتب عن وجود فئة من الموظفين الظالمين المستغلين لسلطتهم فانه أحسن التعبير عن أهمية الكلام الجيد وفى هذا دلالة على أن الفصاحة كانت من الأمور

---

(١) Wilson, J., OP. Cit., PP. 408 - 409.

(٢) Gardiner, A., H., OP. Cit., P. 10.

الهامة التى تحظى بتقدير تلك الفترة وما قبلها ، أيضا فان من الأشياء التى يجب الإشارة إليها وتعتبر من مميزات تلك الفترة أنها لم تحرم الناس من الكلام إذا إقتضت مصلحتهم ذلك حتى ولو كان هذا فى صورة إحتجاج[١] ، بل وتجلت القيم فى أخلاق كل من «رنسى» عندما لم يأخذ جانب زملاء «تحوت ناخت» المجافى للحق ، وكذلك الملك الذى أمر بالإحسان إلى عائلة الفلاح دون أن يعرف من هو المحسن عليه[٢] .

وعلى أى حال فلقد عاد الفلاح إلى بث شكواه وحتى الشكوى التاسعة فانه سيصبح أكثر سخطا وتذمرا بسبب سوء المعاملة وسوف يتهم صاحب الضيعة نفسه بعدم العدالة لأنه بصفته أحد المسئولين فانه لم ينصفه من هذا الظلم الواضح ـ بناء على تعليمات الملك ـ الذى تعرض له ومازال يتعرض له إذ يبدو أن مدير الضيعة قد قاطعه مهددا إياه بالضرب والعقاب إذا ما أصر الفلاح أن يسترد ممتلكاته الضائعة .

غير أن الفلاح لم يلتفت إليه ولم يثنه التهديد على المطالبة بحقه بل أنه راح يعدد بعض مساوىء ذلك العصر والأنانية التى تفشت فى بعض الموظفين مما جعلتهم بعيدين عن واجباتهم فى تحقيق العدل :

«... ان كيال الحبوب يعمل لصالح نفسه وذلك الذى يجب عليه أن يملأ للآخرين (يساعدهم) يسوى نصيبه ، وذلك الذى يحكم تبعا للقانون يأمر بالسرقة ...»

---

(١) Wilson, J., The Burden of Egypt, P. 122.

(٢) عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٤١٥ .

ويضيـف :

«... الانصاف قضير ولكن الضرر يمتد تأثيره طويلا
وحكمة الأمس تقول أفعل للفاعل حتى تجعله
يفعله...»(١) .

أو بمعنى : «... عامل الناس بما تحب أن تعامل به»(٢) .

وكما يرى «جاردنر Gardiner» فان تعبير الأمس هنا كان عادة الإنسان المصرى القديم ليصف شكره وإمتنانه أو عدم شكره(٣) ، ويبين له ضرورة العدل :

«... أقم العدل يكن (مثل) تنفس الأنف»(٤) .

وعن أهمية تحقيق العدالة بين الجميع بدون تحيز أو محاباة :

«... وقع العقاب ضد من يستحق العقاب ولن يكون
هناك شيء يعادل إستقامتك ، هل يخطأ الميزان
هل يميل إلى جانب هل ينحاز «تحوت» إذا أظهر
الثلاثة تساهل إذا يمكنك أن تميل لجانب وخذ
نصيحة فالرجل العظيم إذا كان طماعا فهو ليس
حقا عظيم واللسان هو الإستقامة من الميزان
والقلب هو الثقل والشفتين هما ذراعه(٥) ...» .

---

(١) Wilson, J., The Protests of the Eloquent Peasant, ANET, P. 409.

(٢) سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٣) Gardiner, A., H., OP. Cit., P. 12.

(٤) Wilson, J., OP. Cit., P. 409.

(٥) Ibid., P. 409.

وكـذا : سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٦٣ .

من الأشياء العظيمة إستخدام كاتب النص تعبير القارب والميزان للعدالة وإتخاذه من أجزاء الميزان ومقارنتها باللسان والشفتين عند الإنسان وإعادة نفس الكلمات بالمعانى المختلفة[١] وهى المعانى التى جاء ذكرها فى ذلك الأدب الإنسانى وعبرت عنها الأديان السماوية بعد ذلك ، كما تهدف المقارنات بين أخلاق وتصرفات «رنسى» وفئة الموظفين من جانب والموازين من الجانب الآخر أى ضرورة قيام المسئولين بإصدار الأوامر العادلة التى لا تخطىء كالموازين التى لا تميل عن الحق ولا تخطىء .

وفى الشكوى الثالثة يقول :

«... سيدى انك «رع Rc» رب السماء فى صحبة حاشيتك أن قوام بنى الانسان منك لأنك كالفيضان وأنت «حعبى hcpy» اله النيل الذى يجعل المراعى خضراء ويمد الأراضى القاحلة أكبح جماح السارق ، دافع عن الفقير ولا تكونن فيضانا ضد الشاكى واحذر من قرب الآخرة ...»[٢] .

وهى كلها صفات للملك الجالس على العرش رغم أنه لم يذكره صراحة ولايزال الغموض يكتنفها[٣] .

وتستمر الاتهامات من جانب الفلاح إلى المسئولين وفئة الموظفين البعيدين عن الأمانة والشفقة الفاقدين لروح العدالة :

---

(١) Gardiner, A., H., OP. Cit., PP. 6 - 7.

(٢) سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٦٢ ـ ٦٣ .

وكـذا :

Gardiner, A., H., OP. Cit., PP. 13 - 14.

(٣) عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٤١٧ .

«... ان «رنسى» لايزال مستمرا فى خطئه ووجهه (حواسه) أعمى عما ينظر ، لا يسمع ما يجب أن يسمع ، ضالا القلب عما روى له ، أنظر أنت مثل مدينة لا رئيس لها ، أو مجموعة لا رئيس لها ، مثل سفينة لا ربان لها ، حلف بدون مرشد ، أنظر انك مسئول يسرق ورئيس (قرية) يقبل رشوة ، ومشرف ناحية واجبه معاقبة السارقين ولكنه أصبح قدوه لهم ...»(١) .

واستمر «خوان انوب» فى شكواه ينقد ويحذر البعيدين عن تطبيق العدالة ففى شكواه قبل الأخيرة ينصرف بالكلمات بحيث تؤدى الهدف منها(٢) ، حيث يحذر من عواقب التغاضى عن العدل :

«... (الرجل) يسقط بسبب جشعه ، والرجل الطماع خالى (بعيدا) عن النجاح لأن قلبه ملىء بالجشع ويفكر فى السرقة ، أن السرقة لن تفيدك أنت يا من يجب عليه أن يسمح للإنسان أن يشرف على قضيته العادلة ذلك لأن ما يكفيك فى بيتك ولان جوفك قد ملأ ولان مكيال القمح قد فاض وإذا أهتز فانه يضيع فى الأرض ، أقم العدل من أجل اله العدل والذى عدالته موجودة ، وأنت أيها القلم والبردية ودواة «تحوت» (لوحة الكتابة الخاصة بالاله تحوت) كونوا بعيدين عن عمل السوء أنه طيب عندما يكون طيبا وهو طيب فعلا والآن العدل

---

(١) Wilson, J., OP. Cit., P. 409.

(٢) Gardiner, A., H., OP. Cit., PP. 12 - 20.

يبقى للأبد يذهب مع فاعله إلى الجبانة عندما يدفن
ولكن أسمه لن يمسح (يمحى) من الأرض بل
سيذكر دائما للخير[١] ، (الذى قام به) ...» .

لم يقتصر الكاتب فى العبارة السابقة أن يحذر من عاقبة الظلم ومن دعوته لإقامة العدل المرتبط بالآلهة ، بل أن الإنسان المصرى القديم قد توصل إلى أن العدل خالد وباق للأبد وأن الانسان حتى بعد موته ترافقه أعماله فى الحياة الدنيا سيظل خالدا بسبب حرصه على العمل الصالح وإقامته لأركان العدل وهو ما يؤكده فى الشكوى التاسعة برمز واضح للإنسان المصرى القديم :

«... لسان الناس هو ميزانهم وهو الذى يزيد نقائصهم
(يكشف طبيعتهم) نفذ العقاب على من يستحق
العقاب والكذب قد انتهى ولا يستطيع أن يعبر
معدية ولن يتقدم ، أما من تنمو ثروته فلن يكون له
أطفال ولن يكون له وريث على الأرض ، لا تكن
ثقيلا يا من لست خفيفا ولا تتأخر لأنك لست
مسرعا ولا تكن تستمع إلى قلبك (لا تنحاز إلى
أحـد) ...»[٢] .

وبالنسبة لمن يقلع به (الكذب) فلن يستطيع الوصول إلى الأرض وقاربه لن يستطيع أن يبلغ (الأرض) مدينته ثم يختتم شكوته بتحذيره من الاستمرار فى التغاضى عن فعل الخير وتحقيق العدل وأنه سيذهب ليشكوه للاله «أنوبيس» بعد أن شكى إليه بدون نتيجة[٣] .

---

(١) Wilson, J., OP. Cit., P. 410.
وكـــذا : سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٦٧ ـ ٦٨ .

(٢) Gardiner, A., H., OP. Cit., P. 20.
وكـــذا : Wilson, J., OP. Cit., P. 410.

(٣) Ibid., P. 410.

عند ذلك أرسل «رنسى» اثنين من تابعيه لكى يحضروه وبعد أن طمأنه نتيجة خوفه لما بدر منه من كلام وأطلعه على شكواه مكتوبة[١] ، لكى يطلع الملك عليها حيث أمره بأن يقضى فى القضية حسبما يراه فقام بتجريد «تحوت ناخت» من ممتلكاته وأعطاها للفلاح تعويضا له عما أصابه من ظلم[٢] .

ويتضح لنا من النص الحالة الإجتماعية والسياسية وكيف رأى الانسان المصرى القديم أن العلاج الأمثل ان يتحقق إلا بوجود حاكم صالح وطبقة من الموظفين الأمناء وبذلك تعود العدالة إلى مكانها فى نظام وطيد الأركان وهو ما جعل ذلك المتنبىء الحكيم «نفر رهو» بعد وصفه لما آلت إليه الحالة من اضطراب وفوضى ويرى العلاج فى ظهور حاكم صالح تعود به العدالة إلى أرض الوادى لأنه يحب العدل (ماعت) ، الأمر الذى يجدر بالدارس أن يتناول معه الأفكار والقيم من خلال عصر الدولة الوسطى .



---

(١) Gardiner, A., H., OP. Cit., P. 21.

(٢) Wilson, J., OP. Cit., P. 410.

وكـذا :

عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٤١٧ .

الفصل الخامس :

تطور فكرة الضمير الخلقى فى عصر الدولة الوسطى

(٢١٣٤ ـ ١٧٧٨ ق.م)

يتضح مما سبق أن القيم المصرية القديمة نابعة من حياة الانسان المصرى القديم فى بيئته الزراعية المرتبطة ارتباطا طبيعيا بالقوى الالهية والمتصلة بواقع حياة الانسان ، وقد حمل الملك المصرى القديم مسئولية التعبير عن تلك الصلة بين القوى الالهية والمجتمع الانسانى ومحاولة تحقيق المثل العليا فى مجال الادارة والحكم من أجل توفير العدل الاجتماعى والرفاهية للانسان المصرى القديم .

ولكن حقيقة عدم تمكن بعض أولئك الملوك المصريين من أداء المسئولية كما ينبغى قد أدى إلى اهتزاز عنصر الثقة فى هؤلاء الملوك وقد حدث ذلك فى النصف الثانى من عصر الدولة القديمة وعصر الانتقال الأول الذى يمثل قمة احساس الانسان والضمير الانسانى بذاتيته وحقوقه وواجباته كذلك حقوق وواجبات الحكام بالنسبة للمحكومين فى المجتمع المصرى القديم .

ويمكن القول بأن تجربة الانسان المصرى القديم فى عصر الانتقال الأول قد نجحت وأدت فاعليتها فى تعديل الكيان السلوكى للمواطن المصرى القديم ، وفى هذا الصدد علينا أن نضع فى الاعتبار ذلك الدور الهام لجهود المفكرين الاجتماعيين أمثال «ايبوور» وكاتب قصة الفلاح الفصيح وغيرهم من مفكرى تلك الفترة الذين جاهدوا فى سبيل الاصلاح الخلقى والاجتماعى بما يتلائم والظروف التى يمر بها مجتمعهم(١) ، واستكمل هذه الجهود مفكرى الدولة الوسطى والمجتمع بكافة طبقاته الذين أحسوا بضرورة الاصلاح وتوافر العدل والمساواة حتى ينعم الانسان المصرى بجو الاستقرار والأمان اللازم له .

---

(١) Breasted, J., H., The Dawn of Conscience, P. 215.

وقد سجل الانسان المصرى القديم تراثه الفكرى فى عدد كبير من الوثائق كما عبر عنه أيضا فى التراث الأثرى الخالد سواء فى العمارة أو النحت أو النقش .

وقام العلماء بدراسة هذا التراث وتحليل مادته التاريخية واستنباط الحقائق التى سجلها التاريخ فى مجال القيم والمفاهيم والمثل العليا سواء فى الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الجوانب السلوكية الفردية أو الجماعية .

وقد ترك الانسان المصرى القديم المنتمى إلى عصر الدولة الوسطى تراثا فى هذا الموضوع ، ففى مجال المادة النصية يتضمن هذا التراث النصوص التالية :

نبوءة «نفر رهو»

نصائح «أمنمحات الأول لأبنه سنوسرت الأول»

نص «أمينى» حاكم مقاطعة الغزال

نص «منتوحب» وزير الملك «سنوسرت الأول» ، بالاضافة إلى نصوص أخرى .

وعلى الرغم من تداخل المغزى السياسى مع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسلوكية فقد حاول الدارس تصنيف وتحليل مضمون المادة التاريخية فى تلك الوثائق حسب الجوانب سالفة الذكر حتى يمكن أداء التحقيق الدقيق لتلك المثل العليا فى المجتمع المصرى القديم على المستوى الفردى والجماعى الشخصى والرسمى لتلك الفترة ، وسوف يبدأ الباحث بالجانب السياسى .

تناولت النصوص الملكية فى عصر الدولة الوسطى التعبير عن القيم والمثل التى آمن بها الانسان المصرى القديم وإصراره على وجود

حاكم صالح على رأس المجتمع حتى يحقق له الخير والاستقرار وعكست النصوص هذه الرغبة مع مراعاة أن كثيرا منها كان بتأثير من الملوك لتحقيق أهدافهم السياسية فى الحكم غير أنها حوت كذلك على حالة مصر الاجتماعية فى تلك الفترة(١) .

وينتمى إلى هذا النوع من النصوص الأدب الخاص بالتنبؤات وفيه يقوم المؤلف بسرد مجموعة من أحداث الماضى وما مر بالبلاد من أزمات بغرض التحذير من تكرار مثل هذه الأمور والاستفادة من دروس الماضى للحاضر والمستقبل مع ضرورة طرح الحلول والآراء السديدة للخروج بالبلاد مما تعانيه من اضطراب وفوضى وسوء الأحوال إلى الخير والاستقرار والحكم الصالح وهى كلها هدف دائم للانسان المصرى على مر العصور وهو ما تضمنته نبوءة «نفر رهو Nfrr hw»(٢) ذات المغزى السياسى للتمهيد لـ «أمنمحات الأول» (١٩٩١ ـ ١٩٦٢ ق.م) الذى سيستولى على الحكم فى مصر من الشمال إلى الجنوب وسيبدأ عهد جديد يحقق فيه المثل العليا للانسان المصرى القديم وأهمها العدل والخير والاستقرار(٣) .

ولكى يجذب المؤلف وهو من مصر السفلى آذان سامعيه لذلك النص الهام فلقد وضع قصته فى إطار تمثيلى واضح لكل من يسمعه وادعى أن قصته قد ألقيت فى وجود الملك «سنفرو Snfrw» الذى يحتفظ له الانسان المصرى القديم بكل حب وتقدير لتمسكه بالعدل والخير

(١) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 380.

(٢) نبوءة «نفرر هو» موجودة بمتحف لينجراد وقد نشرها العالم : «جولنشف Golenischeff» فيما يعرف ببردية «سان بطرسبرج رقم 1116 B» والنص كان يستخدم للأغراض المدرسية فى الأسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشر ، انظر :

Wilson, J., The Prophecy of Neferti, ANET, P. 444.

(٣) Ibid., P. 444.

الذى مكن لحكمه ولشعبه الاستقرار والتقدم الحضارى على أسس ثابتة وربما هدف الحكيم من ذكر «سنفرو» أن يكون قدوة لمليكه فى العدل والحب والاستقرار أو أراد الملك أن يوحى لشعبه عن طريق النبوءة بما سيحققه حكمه من عدل ورفاهية .

والوثيقة تبدأ بسرد عادى لما يحدث فى القصر الملكى حيث كان تابعو الملك يقدمون له التحية ويخرجو ثم يعودون مرة أخرى لتقديم التحية تبعا للعادات اليومية ، عندئذ قال الملك لمستشاره الذى يقف بجانبه :

«... اذهب وأحضر لى (ارجع) موظفى مقر الملك الذين قد خرجوا من هنا ليقدموا لى تحياتهم فى هذا [اليوم] ...» .

فدخلوا للقاء جلالته للمرة الثانية حيث تحدث إليهم بكل ود وتواضع :

«... يا قومى .. لقد أمرت بطلبكم لكى أطلب منكم أن تبحثوا عن ابن لكم حكيم ، أو أخ لكم متمكن أو صديق من أصدقائكم قد أنجز عمل طيب ، أى شخص يتحدث إلى بكلمات حسنة وجمل مختارة عند سماعى لها فربما [جلالتى] تجدها مسلية ...» .

عندئذ أجابوا جلالته :

«... يوجد كاهن عظيم ممثل للآلهة «باستت Bastet»[(١)]

---

(١) الآلهة باستت : آلهة مدينة «باست» (بوباسطة) رمز إليها بشكل آدمى برأس قطة تحمل باحدى يديها صورة رأس الأسد الخاص بالآلهة «سخمت» وفى اليد الأخرى «سستروم» الموسيقى وكان المصريين يتحدثون عنها باعتبارها شخص ودود محبوب ، انظر : **أرمان** : نفس المرجع السابق ، ص ٤١ ـ ٤٢ .

يقوم بالطقوس وملما بالسحر أسمه «نفر رهو»
أنه شخص مهاب بذراعه (قوى الساعد) وكاتب
قدير بأصابعه ، أنه شخص ذو منزلة وله أملاك
(أكثر من أى شخص) هل يسمح له برؤية
جلالتكم ...»[١] .

وبعد تلك المقدمة جيء بالحكيم «نفر رهو» إلى الملك الذى دعاه باعتباره صديقه ولم يقم باستدعاء أحد من الكتبة للقيام بالكتابة وإنما فضل أن يقوم بنفسه بذلك وأن يسمع من الأحاديث المختارة عما سيقع فى المستقبل .

وكما يرى «ويلسون Wilson» فان اهتمام الانسان المصرى القديم بالمستقبل يبدو معقولا وخاصة أن فيه دلالة على إعادة الماضى بخيره المرتبط بحكم «سنفرو»[٢] .

ولكى يؤكد حاجة البلاد لهذا الملك العادل فان حكيمنا يبدأ فى وصف الأوضاع التى تدعو تولى مليكه للحكم لتخليص البلاد مما تعانيه من الفوضى التى حولت البلاد (خراب) بسبب عدم الاهتمام بها وهى الأوضاع التى أصابت مصر منذ نهاية عصر الدولة القديمة وتوالى الملوك الضعاف الذين تضاءلت سيطرتهم على أنحاء مصر . وأصبح من يمتلك القوة يطالب العرش لنفسه وأصبح حكام الأقاليم كل منهم بمثابة الحاكم فى اقليمه[٣] ، والنص يعبر عن ذلك :

«... ستعيش الأرض فى فوضى وأريكم الابن وكأنه
عدو والأخ كخصم والرجل يقتل أبيه المجاعة والفقر
يملآن الأرض ولكن زعمائها كثيرون ...»[٤] .

---

(١) Wilson, J., OP. Cit., P. 444.
(٢) Ibid., P. 444.
(٣) Breasted, J., H., OP. Cit., P. 216.
(٤) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 355.

ومن المحتمل ـ حسب النبوءة ـ وجود الأجانب فى الدلتا حيث قام «أمنمحات» فى النصف الأول من حكمه بطرد هؤلاء الأجانب الذين زحفوا على الدلتا خلال الفوضى التى أعقبت حكم «سنوسرت» (الاله المقدس) والتى استمرت نحو سبع سنوات وكانت العلامة المميزة لنهاية الأسرة الحادية عشرة[١] ، وللحيلولة دون عودة مثل هؤلاء الأجانب فقد بنى الحصون القوية على حدود الدلتا[٢] ، وربما أراد الكاتب كما يرى «بوزنر Posner» قد تعمد أن يخلط أحداث عصر الانتقال الأول بأحداث نهاية الأسرة الحادية عشرة والقلاقل التى وجدت فيها هادفا من ذلك رفع شأن مليكه[٣] ، وخاصة أن تلك الأحداث لازالت فى ذكرى مؤلف النص ويرغب فى التحذير منها وعدم تكرارها[٤] .

ثم يتحول «نفر رهو» إلى هدفه الرئيسى ذو المغزى السياسى موضحا الرأى السديد الذى سينقذ البلاد مما تعانيه من فساد فى الحكم والادارة معلنا قدوم الملك الذى سيخلص مصر :

«... ولكن انظروا سيأتى ملك من الجنوب يدعى «أمينى Ymny» (اختصار لأسم أمنمحات) أنه ابن امرأة نوبية[٥] ، أنهُ ابن مصر العليا ، وسيستلم التاج

---

(١) Winlock, H., E., OP. Cit., P. 54.

(٢) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 361.

وكـذا :

و. ايمرى : مصـر وبـلاد النوبة ، ترجمة تحفة هندوسية ، مراجعة عبدالمنعم أبوبكر القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١٤٥ .

(٣) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 356.

(٤) Wilson, J., OP. Cit., P. 444.

(٥) قد يقصد بذلك تاستى [hieroglyphs]

انظـر : Gardiner, A., H., Onom., Vol. 2, P. 2.

[الأبيض] وسيلبس التاج الأحمر (موجدا بذلك التاج المزدوج دليلا على وحدة البلاد) وسيرضى بذلك الالهة (كما يرى ولسون كلا من الاله حورس والاله ست) ، وسيفرح أهل زمانه وسيجعل ابن الانسان (الملك) أسمه باقيا إلى الأبد ...»[١] .

ويتضح من الفقرة السابقة أن المؤلف لا يحاول إخفاء الأصل الغير ملكى لأمنمحات الذى نجح فى إعادة سلطان مصر فى تلك الفترة بل أنه يركز عليه مؤكدا نجاحه فى تحقيق الأمان والاستقرار فى الحكم وهو الأمل الذى اهتم كل مصرى إلى تحقيقه وهو أهم فى نظره من الأصل الغير ملكى الذى يبدو أن هناك كثيرون غير «أمنمحات» يطلبون العرش لأنفسهم لدرجة أن ظهوره قد أصبح أمرا عاديا لدى الانسان المصرى الذى توصل نتيجة تجاربه أن قيام الملك بتحقيق متطلبات المجتمع يعد أهم من تلك القيم القديمة بشأن الأصل الملكى حسبما كان الحال من قبل فى الدولة القديمة .

ولاتزال الأدلة تعوزنا عن هذا النص وهل كتب بعد نجاح «أمنمحات» فى تولى العرش وأن نجاحه فى اصلاح أحوال مصر كان متوقعا ، أو أن «نفر رهو» كان مرسلا بمعرفة «أمنمحات الأول» إلى الوجه البحرى بعد نجاحه فى تنظيم أمور مصر العليا وذلك للقيام باعلاء شأن مليكه مبشرا ومؤكدا نجاحه فى ربوع مصر كلها[٢] ، وهو ما تؤكده اصلاحاته التى قام بها بعد نجاحه فى الاستحواذ على السلطـة .

---

(١) Wilson, J., OP. Cit., PP. 442 - 446.

(٢) Breasted, J., H., OP. Cit., P. 203.

ويشير «هيز Hayes» إلى الظروف التى صاحبت نهاية الأسرة الحادية عشرة حيث تولى «سنوسرت» المسمى والد الاله الحكم بعد «منتوحتب الثالث» ثم أعقبته فترة خمس سنوات تولى فيها الحكم عدد من الملوك الضعاف تركوا بعض الآثار فى النوبة ، وفى نهاية الأسرة الحادية عشرة والتى استمرت نحو سنتين تولى الحكم «منتوحتب الرابع» (نب تاوى رع) (١٩٩٣ ـ ١٩٩١ ق.م) الذى أرسل البعثات إلى (وادى الحمامات) ومنها نستدل على قيام وزيره «أمنمحات» بحملة من عشرة آلاف رجل إلى «وادى الحمامات» لقطع الأحجار الخاصة بتابوت الملك ويبدو أنه قد وجه هذه القوات الكبيرة بعد عودته لكى يستولى على عرش مصر كلها ويؤسس أسرة جديدة تتولى الحكم[١] .

بينما يرى بعض المؤرخين أن «أمنمحات» كان وزيرا «لمنتوحتب الثالث» وأنه لم يكن من أصل ملكى وهو نفسه الذى تولى حكم مصر بعد عودته هو وفرقته البالغ عددها عشرون ألف رجل كانت مكلفة بحراسة إحدى البعثات الملكية أمام هجمات البدو الذين اعتادوا الهجوم على مثل هذه البعثات حيث نجح بعد عودته فى تأسيس الأسرة الثانية عشرة[٢] .

وعلى أى حال فلقد كان على «أمنمحات» كحاكم طيب تقى واجب وطنى هام وهو حماية وطنه والقضاء على المغيرن ودفع غاراتهم وتأمين حدود مصر وواجب آخر وهو القضاء على الفساد والشر بإصلاح النظام الداخلى ولذلك فلقد قام «أمنمحات» باعادة تنظيم مصر بعد الاضطرابات التى ميزت نهاية عهد «منتوحتب الثالث»

---

(١) Hayes, W., C., OP. Cit., PP. 167 - 168.

(٢) Gardiner, A., H., Egypt of the Pharaohs, P. 124.

وكـذا : Hawkes, J., OP. Cit., P. 300.

فحدد حدود المقاطعات «لقد جعل كل بلدة تعرف حدودها مع الأخرى حتى تكون حدودها ثابتة كالسماء» وخضع موقع العاصمة لتنظيماته الجديدة فأعاد «منف» كعاصمة إدارية للبلاد وقد يبدو ذلك لأن طيبة لم تكن تبدو شديدة الاخلاص لشخصه أو أنها فى قلب مصر العليا لم تكن موقعها تصلح لتكون عاصمة لكل الدولة ، كما يتضح من الاسم الذى اختاره «أمنمحات» لعاصمته الجديدة «ايثت تاوى» ومعناها «القابضة على الأرضين» والتى يحتمل أن تكون بالقرب من المكان المسمى الآن «باللشت» حيث تم العثور على الهرم الخاص «بأمنمحات الأول» وذلك لسهولة الاشراف على جزئى مملكته من الموقع الجديد والقضاء بالقوة على أى محاولة للنيل من سلطته(١) .

والخطر الحقيقى من حكام الأقاليم كام واردا فى ذهن «أمنمحات» وخاصة فى اللحظات الحرجة أو هذه الأوقات من الضعف المؤقت عند تغيير الملوك ، لهذا يبدو أن «أمنمحات الأول» قد تجنب ذلك عن طريق نقل السلطة قبل وفاته ويدل على ذلك العثور على لوح مجرى فى أبيدوس (٢) ، فى العام العشرين من حكمه يحكى أنه أعطى لأبنه «سنوسرت الأول» مكانه ملكية متساوية بينما كان هو نفسه لايزال على العرش وهو اتجاه حكيم فبالاضافة إلى توريث أبنه والخبرة المكتسبة نتيجة ذلك فانه سيجنب البلاد شر الاضطرابات للمطالبة بالعرش وهى أشياء لمسها «أمنمحات» نفسه وعانى منها الانسان المصرى أشد المعاناة(٣) .

---

(١) Breasted, J., H., A History of Egypt, P. 157.

(٢) أبيدوس : تعرف باسم «العرابة المدفونة» تقع على حافة الصحراء غربى مدينة البلينا أسمها القديم «أبدو» ضمن الاقليم الثامن من مصر العليا ، أنظر :

Gardiner, A., H., Onom., P. 36.

(٣) Vercoutter, J., OP. Cit., P. 361.

وعلى الرغم من محاولات «أمنمحات الأول» وجهوده فى اعادة النظام القديم وتثبيت دعائم ملكه بقدر ما سمحت له الأحوال مراعيا كل الظروف التى تمر بها البلاد فى تلك الفترة وقيامه بالموازنة بين رغبته فى مركزية الادارة واللامركزية التى تمسك بها حكام الأقاليم غير مضحيا بتلك الروح الفردية وحقوقها الموجودة فى المجتمع(١) ، برغم كل هذا فلقد تعرض لمؤامرة غامضة دبرت للنيل منه ، اختلفت آراء العلماء فى تحديد وقتها الزمنى وبالتالى أيضا فى التاريخ الخاص بنصه(٢) ، الذى يتضمن نصيحة مختصرة إلى أبنه وتعد فى الوقت ذاته نوع من الوصايا السياسية(٣) ، وهناك من الآراء رأيان الأول يميل إلى الاعتقاد بأنه قد حدثت للملك مؤامرة لاغتياله فى العام العشرين من حكمه وأنه نجا منها وأشرك أبنه «سنوسرت الأول » وأفضى إليه نتيجة تجاربه والأسلوب الأمثل للحكم والحياة بما يساعده فى تمييز ما يقابله من ظروف الحياة(٤) ، وهو رأى مجموعة من العلماء منهم «برستد Breasted» ويتفق معه «جريفث Griffith» الذى يؤرخ النص قبل موت «أمنمحات الأول» .

وهناك رأى ثان يرى أصحابه أن المؤامرة حدثت فى العام الثلاثين من حكمه وأنها نجحت فى القضاء على «أمنمحات الأول» وتمكن أبنه وخليفته أن يعود من حملته العسكرية أى الغرب فى

---

(١) عبدالعزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، جـ ١ ، ص ١٦٧ .

(٢) من المرجح أن كاتب هذا المقال يدعى «خيتي» للعثور على مخطوط من الأسرة التاسعة عشرة وفيه رجاء لصالح الكاتب المتوفى «هذا الممتاز اختيار المنطوقات ، أعطى أسمه للأبدية أنه هو من كتب تعاليم ملك مصر العليا والسفلى «سحتب أيب رع» حياة رفاهية ، صحه ، عندما ذهب ليستريح عندما اتصل بالسماء ودخل بين ساده نكروبوليس ، انظر :
Wilson, J., OP. Cit., P. 418.

(٣) Gardiner, A., New Literary works from Ancient Egypt, JEA, Vol. 27 P. 22.

(٤) Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt, P. 229.

المناطق الليبية تلك الحملة التى اشترك فيها «سنوهى» واستطاع بالفعل أن يجمع مقاليد الأمور فى يده خلفا لأبيه مدبرا لأبيه أمور البلاد ويوصى أحد كتاب عصره أن يقص القصة على لسان أبيه «أمنمحات نفسه»(١) ، وهو رأى «ماسبرو Maspero» وكذلك «دى بيك De Buck» الذى أخذ نفس وجهة النظر بأن النص بعد موت «أمنمحات» ، وفى بحث للعالم «جن Gunn» فأنه يميل إلى الموافقة على وجهة النظر التى تميل إلى أن النص قد كتب بعد وفاة «أمنمحات» الذى ظهر لأبنه بعد وفاته فى حلم أو رؤية ليكشف له الحقيقة(٢) .

وعلى أى حال فلازالت الأدلة تعوزنا حتى يمكن تحديد أى الآراء أقرب إلى الحقيقة العلمية لهذا النص الذى يظهر النصيحة التى قدمها «أمنمحات الأول» إلى أبنه وخليفته سنوسرت الأول(٣) ، باعتبارها رد فعل طبيعى لحاكم من أعظم الفراعنة المصريين الذى أدار شئون مملكته بحنكة وخبرة وبرغم جهوده من أجل اقامة دولة ناجحة فانه يقابل بجحود ومؤامرة على حياته نفسها كانت دافعا أن تعكس على نصه نوع من عدم الافراط فى الثقة .

ويهم الدارس أن يوضح أن الانسان المصرى القديم هنا ممثلا فى شخص «أمنمحات» أو فى شخص خليفته قد استطاع بفكره

---

(١) عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

(٢) Breasted, J., H., OP. Cit., PP. 228 - 229.

وكـذا : Gunn, B., Notes on Ammenemes 1, JEA, Vol. 27, P. 3 ff.

(٣) المستندات الموجودة لهذا النص تأتى من الأسرات الثامنة عشرة إلى الأسرة العشرين (١٥٠٠ ـ ١١٠٠ ق.م تقريبا) عندما كانت هذه الكتابات شائعة تستخدم كنوع من التمرين لتلاميذ المدارس وقد نقل النص فى أربعة برديات :

بردية ميالنجن Mellingen ، بردية برلين رقم ٣٠١٩ ، بردية ساليه رقم ١١ ، بردية المتحف البريطانى رقم ١٠١٨٢ ، بالاضافة إلى مايقرب من ٣ طاولات كتابة ، ستون شقفة ولفة جلدية ، أنظر :

Wilson, J., The instruction of King Amenemhet, ANET, P. 418.

النابع من ضميره أن يحدد أن لكل انسان دور يؤديه فى حدود وظيفته ، والملك نفسه حسبما نجده فى نصائحه يوضح فى تلك الوثيقة قيامه بواجباته السياسية نحو رعاياه على الوجه الأكمل بل ويحث أبنه وخليفته أن ينهج نهجا سويا مستفيدا من تجارب أبيه .

ويبدأ الملك نصه بأعتبار أن التعاليم موجهة من جلالة ملك مصر السفلى والعليا «أمنمحات» المنتصر (المتوفى) فى خطاب صدق إلى أبنه (خطاب الصدق يعنى حلم أو رؤية من الملك المتوفى للملك الحى) ويوجه الملك الحديث إلى أبنه وخليفته بصفة من صفات الالهة حيث يقول له :

> «... أنت الذى ظهرت كاله استمع إلى ما ينبغى أن أقوله لك حتى تستطيع أن تكون ملك الأرض وحاكم المناطق وحتى يمكنك تحقيق فائض من الخير ...»[١] .

وتتضح فى تلك المقدمة اتجاه ملوك الدولة الوسطى فى استعادة ما فقدته الملكية من مكانة والارتباط الشديد بين الملوك والآلهة حين يخاطب أبنه باعتباره سيد الكل وكيف أنه تألق أو ظهر كاله واستخدام نفس الفعل hc الذى يستخدم بانتظام للتعبير عن شروق الشمس وأيضا ظهور الفرعون[٢] ، وهو ماسبق الاشارة إليه فى الارتباط بين ملوك الدولة القديمة والالهة .

ثم يوضح قيامه بواجبه السياسى ودوره الوطنى فى حماية حدود وطنه وتأمينها حيث يذكر بافتخار :

---

(١) Ibid, P. 418.

وكـذا :

Breasted, J., H., OP. Cit., PP. 230 - 231.

«... لقد غزوت حتى الفنتين (١)
ووصلت إلى حواف الدلتا (أى امتدت سيطرته إلى حدود مصر الجنوبية والشمالية) ووقفت عند نهاية حدود الأرض ، ورأيت حدودها المسلحة بواسطة قوة ساعدى وأعمالى ...»(٢) .

ويستمر الملك فى سرده لقيامه بواجباته السياسية :

«... لقد تغلبت على الأسود واصطدمت التماسيح وأخضعت أهل «واوات W3w3t » ، وأسرت «الماتو Md3 » (أقوام جنوب مصر)* وجعلت الآسيويين كالكلاب ...»(٣) .

ومن الفقرة السابقة يتضح لنا المقارنة بين ملوك عصر الدولة القديمة وما بعدها فبينما كان الأولون ملوك آلهة فان ملوك عصر الدولة الوسطى ونتيجة لما حدث من تطورات اجتماعية وبرغم احتفاظهم بالألقاب إلا أنهم اعتمدوا على القوة والجبروت والصفات الانسانية البشرية وذلك فى اداراتهم لشئون البلاد .

والملك يفتخر المرة تلو المرة بذكر أفعاله الخيرة سواء فى المجال السياسى أو فى كافة المجالات ـ رغم كونه ملك ـ وفى هذا دلالة على أن أعمال الفرد مهما كانت منزلته أو مكانته أصبحت تخضع لمقاييس

---

(١) الفنتين : عاصمة أول مقاطعة من مقاطعات مصر العليا تسمى حاليا أسوان ، انظر :
Gardiner, A., Onom., P. 2 ff.
(٢) Wilson, J., OP. Cit., P. 419.
وكذا : Maspero, G., OP. Cit., P. 102.
(*) «واوات» ، «الماتو» ضمن النوبة وتقع بين الشلال الأول والثانى انظر الخريطة ص ٢٤٧ .
(٣) Wilson, J., OP. Cit., P. 247.

حكم الجماعة والالهة وبينما كانت تصرفات ملوك الدولة القديمة تتم حسب التصورات الالهية فان تصرفات ملوك الدولة الوسطى بالاضافة إلى خضوعها لحكم الآلهة والشعب فانها راجعة إلى مقدرة الملك ومهارته البشرية والنص يبين ما بلغه الملك من قوة ونجاح فى العبارة الآتيـة :

«... لقد بنيت لنفسى منزلا محلى بالذهب وسقفه من اللازورد ، وأرضيته من [-] والأبواب من النحاس والاقفال من البرونز حتى تبقى للأبد (لا يمكن القضاء عليها) انى أعرف كل الحدود ، انى سيد الكل ...»(١) .

وبعد عبارات غير واضحة تفترض الترجمة أن «أمنمحات» سيعطى الحكم بعد موته إلى أبنه موضحا له فى نصيحة أخيرة ضرورة أن يحكم متحليا بالحب والشجاعة حتى ينعم برضاء الالهة «المسرة فى قارب» «رع» لأن الملكية التى جاءت إلى الوجود مازالت تقف من خلال ذلك الذى يتصرف بحب ومن خلال من يتصرف بشجاعة ، أقم مبانيك بحيث تكون مثالية وقوية الاحتمال وقاتل من أجل الرجل العاقل لأنه لن يحب نفســه بجانب جلالتك ــ حياة ــ رفاهية ــ صحة(٢) .

ولاشك أن النص بكل ما فيه من غموض فانه يعكس صورة التشاؤم والشك الذى انتاب تلك الفترة وما قبلها فى عصر الفوضى الأول حيث نمت التيارات الفكرية المختلفة والتى أعادت النظر فى القيم المكتسبة على مر العصور ، حتى الملكية نفسها تأثرت بتلك القيم

(١) Wilson, J., OP. Cit., P. 419.

(٢) Ibid., P. 419.

الجديدة وأصبحت أكثر اقترابا من الشعب وتعكس النصوص اهتمامها بخدمته وتوفير رفاهيته واحساسها بمشاعره ومحاولاتها إنقاذه من الفوضى والفساد وهو ما قام به «أمنمحات الأول» غير أن بقايا الفساد والفوضى عادت مرة أخرى فى محاولة للنيل منه شخصيا ، لذلك بدأ الاحساس بالريبة والشك فى المجتمع المصرى شيئا طبيعيا ، الأمر الذى نصح معه « »أمنمحات الأول» خلفائه بانتهاج سياسة تعتمد على القسوة والبطش ولاشك أنه قد بذلت جهود ضخمة من جانب ملوك الدولة الوسطى لاستعادة ما فقدته الملكية من هيبة وذلك على أسس سياسية واجتماعية وسلوكية ، وليس لدينا من وسيلة لمعرفة ما إذا كانت جهود «أمنمحات الأول» فى هذا الصدد قد لاقت نجاحا أم لا ، غير أنه مما يجب ملاحظته أنه اعتبارا من عهده فأنه لا يوجد هجوم فى النصوص الأدبية سواء بطريقة مباشرة أو خفية مثلما كان الحال فى عصر الفوضى الأول ضد شخص الملك .

ولم تقتصر قيم الانسان المصرى القديم ومثله العليا على الجانب السياسى فقط وإنما تعداها أيضا إلى الجانب الاجتماعى من حياته بكل ما فيها من تجارب طوال حياته وتفاعله الفكرى مع هذه التجارب وتوصله إلى القيم الضرورية للتقدم الانسانى ولعل أهمها فى نظره وجود العدالة الاجتماعية للجميع والتى معها تنمو وتزدهر قيم الحب والصدق والمساواة وكل القيم الفاضلة .

ولابد أن يشير الباحث إلى الارتباط الوثيق بين العدل بما يحمله من معانى الخير والاستقرار ونظام الحكم حيث أن فكر الانسان المصرى منذ بداية التاريخ إلى مليكه الذى تصوره النقوش وهو يقدم «ماعت M3ct » كل يوم للالهة الآخرين كدليل ملموس على قيامه بتحقيق العدل ، كذلك كانت أحداث عصر الانتقال الأول وما صحبها من ظروف غير مستقرة سياسيا ، واقتصاديا واجتماعيا ـ والتى سبق

للدارس الاشارة إليها ـ من أعظم الأسباب فى ضرورة تأكيد قيمة العدالة الاجتماعية للجميع وهو ما عكسته نصوص الدولة الوسطى فى هذه الناحية الأمر الذى يجدر بالباحث أن يتعرض له ملقيا الضوء عليه بالتحليل قدر الامكان .

ولقد تناولت النصوص الملكية لتلك الفترة التعبير عن القيم والمثل التى آمن بها الانسان المصرى القديم وفى مقدمتها العدالة الاجتماعية ، وتتبع فكر الانسان المصرى وضميره عندما يبتعد عن طريق العدل الاجتماعى والنتائج المترتبة على ذلك .

وللتدليل على ذلك فان حكيمنا «نفر رهو» لكى يعطى الضرورة على تقلد «أمنمحات الأول» للحكم فانه يعيد إلى الأذهان ذكرى «سنفرو» الذى يكن له الانسان المصرى القديم كل حب واعزاز لتمسكه بتحقيق العدل الاجتماعى وهو المطلب الدائم للجميع(١) ، وربما هدف أيضا من ذكره أن يجعل منه قدوة لمليكه .

ثم يصف «نفر رهو» الأوضاع التى أبتليت بها مصر منذ نهاية عصر الدولة القديمة :

«... كيف أصبحت البلاد ؟

لقد حجبت الشمس ، أنها لن تسطع (حتى) يبصر الناس...»(٢) .

وبعد أن مهد بسوء الأحوال لمجيء مليكه ، أو بمعنى آخر حذر من تكرار تلك الصورة فان حكيمنا يوضح أن بتولى «أمنمحات» فان أمل الانسان المصرى فى حاكم عادل سوف يتحقق والنص يوضح المعنى :

---

(١) Vercoutter, J., OP. Cit., PP. 359 - 366.

(٢) Wilson, J., OP. Cit., P. 444.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«... سوف يرضى الالهين ، (حور وست أو أهل مصر السفلى والعليا) وسيعود العدل إلى مكانه بعد طرد الظلم...»[١] .

ولقد حذا «أمنمحات الأول» حذو «سنفرو» فى تمسكه بالعدل ، وهو ما يوضحه نصه[٢] بل لقد حرص أن يذكر ذلك فى تعاليمه إلى أبنه فى مجال سرده بافتخار لأعماله الطيبة :

«... لقد أعطيت من لا يملك (الفقير) وربيت اليتيم وساعدت من لم يكن شىء (ذو قيمة أو منزلة) على بلوغ هدفه مثل من كان (شخص ذو مكانة)[٣] .

ويتضح من الفقرة السابقة حرص الملك أن يوضح أعماله الخيرة مؤكدا أنه يسر سبل الحياة لكل شخص فى مملكته بدون تمييز وأنه كفل الحق للجميع ولم يحابى أحد متيحا مبدأ التكافؤ للجميع مدركا أن لجميع الناس حقوقا متساويا وأن كل تفاوت أو تمايز يبتعد به عن الحق والعدل .

والملك ينتهز كل مناسبة لكى يردد قيامه بواجبه نحو تحقيق العدل للمجتمع ويفتخر بذلك :

«... لقد كنت أنا من أنبت الشعير ، محبوب اله الحبوب وقد كرمنى النيل بعظمته (بفيضانه) ولم يشعر بالجوع أحد فى سنواتى ولم يشعر أحد بالظمأ ، (ولكن) القوم جلسوا فى سلام بما عملت لهم ...» .

---

(١) Ibid., P. 444.

(٢) نص تعاليم «أمنمحات» إلى أبنه «سنوسرت الأول» .

(٣) Wilson, J., OP. Cit., P. 419.

والفقرات السابقة تؤكد ما سبق أن ردده الملك من قيامه للأعمال الصالحة وتحقيقه للعدل فى البلاد مما جعله يؤكد هذا بأمثلة واضحة حيث خلا مجتمعه من جائع أو ظمآن وأن شعبه نتيجة لما قام به من مجهودات فان الجميع قد أخذوا يتحدثون عنه وعن أفعاله الطيبة النابعة من الحق والعدل وهى كلها أدلة تثبت أن أعمال الانسان أصبحت تحسب من جانب المجتمع والالهة وإن كل انسان يهمه أن يوضح قيامه بالعمل الصالح وكل حاكم يهمه أن يؤكد قيامه بالعدل لمواطنيه .

ولاشك أن القيم التى دعا إليها الملك «خيتى» فى نصائحه إلى أبنه «مرى كارع» بضرورة التحلى بالعدل وغيرها من القيم التى دعا إليها لم يقتصر تأثيرها على الملوك وحدهم وإنما تعدتهم إلى كل المسئولين فى كل مكان وطالب الشعب أيضا بضرورتها كضمان لوجود العدل الاجتماعى[١] ، ولذا رأينا الكثير من النقوش على مقابر حكام المقاطعات وموظفى الدولة الوسطى النابعة من ضمير الانسان المصرى القديم لتعبر عن تلك العقائد الاجتماعية المتطورة الدالة على أن أفعال الانسان عرضة للحكم عليها بالصواب والخطأ ومن هنا حرص الكل ملوك ووزراء وأفراد أن يذكروا منهاجهم الخاص بالشفقة والتزامهم العدل والحق .

ولدينا فى هذا الصدد أمثلة عديدة سيكتفى الدارس للاشارة إلى بعضها ومنها ما نقش على باب قبر «امينى Ymny»[٢] ، حاكم مقاطعة الغزال فى بنى حسن الذى يبدأ نصه الهام بذكر مليكه «سنوسرت

---

(١) Gardiner, A., New Literary works From Ancient Egypt, JEA, Vol. 27 P. 22 ff.

(٢) الشكل الكامل للاسم هو «أمنمحات» ولكن فى مكان آخر من النقش استخدم اسم «أمينى» أنظر :

Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt, P. 251.

الأول» وتمجيده فى عامه الثالث والأربعين والمقابل للعام الخامس والعشرون من حكم «أمينى» فى اقليمه الذى تولاه بالوراثة[١] ، ومن نصه يتضح لنا أن «أمينى» كان من الأمراء ذو المكانة لاقليمه حيث خلف والده «خنوم حتب hnmwhtp» وقيامه بالأعمال الهامة ومنها اشتراكه فى حرب ضد النوبيين وكذا اشتراكه فى بعثتين (فى الجنوب) من أجل احضار بعض الذهب[٢] ، ويقص «أمينى» بافتخار حسن ادارته لاقليمه وعدم استغلاله لسلطاته الممنوحة له بصفته حاكم الاقليم كما يبين تمسكه بتحقيق العدل والأمان فى ربوع اقليمه وفى نصه النابع من ضميره يقول :

«... لا توجد ابنة مواطن فى اقليمى أسأت معاملتها ولا توجد أرملة بدون راع أصبتها بضرر ، ولا يوجد مشرف عمال أخذت رجاله قرضا عنه (بدون أجر) ولا يوجد بائس فى اقليمى ، ولا يوجد جائع فى زمنى ...» .

وتتضح فى العبارة السابقة اهتمامه بتحقيق العدل الاجتماعى وعنياته بشئون مواطنيه وحسن معاملته للجميع ، وحتى فى تلك الأوقات التى كانت تجابه الأقليم ظروف اضطرارية مثل تعرضه لمجاعة ما نتيجة نقص مياه الفيضان أو زيادتها عن الحد المطلوب فان «أمينى» باعتباره حاكم الاقليم المسئول عن رعيته كان يتحمل مسئولية عمله حسب نصه ـ وكان يفخر بذلك :

---

(١) Ibid., P. 250.

(٢) Ibid., P. 250.

وكـذا :

Breasted, J., H., The Dawn of conscience, PP. 213 - 214.

«... عندما كانت تأتى سنوات المجاعة كنت أحرث كل حقول مقاطعة الغزال إلى حدودها الجنوبية وإلى حدودها الشمالية محافظا بذلك على حياة أهله ومقدما لهم الطعام حتى أنه لم يوجد بها أى جائــع ...»(١) .

وهو باحساسه بالمسئولية التى تفرضها عليه واجباته لاقليمه فانه شمل كل مكان فى اقليمه بالرعاية وأيضا كل انسان ، كما راعى مبدأ من أهم المبادىء فى تحقيق العدل الاجتماعى حيث أدرك فكر الانسان المصرى وضميره أن لجميع الناس حقوقا متكافئة ولذلك فلقد اتجه «أمينى» إلى تأكيد قيامه بالمساواة فى الحقوق بين الجميع دون تمييز لا فرق بين قوى وضعيف ولم يحابى أحد على حساب أحد لأن كل تفاوت أو تمايز فى الحقوق يبعد به عن العدل الحريص على تواجده :

«... أعطيت الأرملة مثل التى لها زوج ولم أعلى من شأن العظيم (المكانة) فوق (على حساب) الصغير فى كل ما أعطيت ...» .

ثم يصف تفهمه لظروف اقليمه معبرا عن حكمته وما تحلى به من وزن للأمور وحسن تصرف وبعد عن الظلم :

«... ثم أتى (فيضان) النيل العظيم محملا بالغلال والخيرات الكثيرة ولكنى مع ذلك لم أجمع المتأخر على الحقول ...»(٢) .

---

(١) Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt, PP. 252 - 253.

(٢) Ibid., P. 253.

ويبدو أن هذه القيم كان لها من الاحترام والضرورة ما يجعلها تتعمق فى نفس كل انسان فى المجتمع بحيث ذاعت وحرص الجميع على التمسك بها وهو ما يسرده بافتخار «منتوحتب Mntwhtp» وزير «سنوسرت الأول» الذى يذكر فى نصه[١] ، كأمير بالوراثة أنه كان وزيرا ورئيس للقضاة لانتمائه إلى «نخن» وتمثيله للالهة «معات» (الهه الحق) وهو شئ منصبه القيادى الهام قد أرضى عنه كل البلاد لأنه معتاد على اقامة العدل مثل الاله «تحوت Dhwty»[٢] ، ويدل على عدله أنه كان :

> «... يوجد الحديث فى موضعه ، عارفا أن فى كل جسم (قلب)[٣] ، يضع الرجل فى مكانه الصحيح مكتشفا الأمر (الموضوع) المخالف للأصول الواجبة يتحدث عندما يكون مطلوب الحديث كاشفا الحقيقة مصغيا حسن الاستماع ، مفيد عند الحديث حلالا للمشكلات المعقدة ...»[٤] .

---

(١) النص موجود فى لوحته الجنازية التى عثر عليها فى أبيدوس وهى حاليا محفوظة فى المتحف المصرى بالقاهرة تحت رقم ٢٠٥٣٩ ونشرها ماريت عن مزيد من التفاصيل انظـــر : Ibid., P. 255.

(٢) الاله تحوت : الصديق الوفى للالهة والانسان والمشرف على نظام العالم وهو أيضا كاتب الالهة والميزان أصبح راعى الكتاب فى مصر لعب دورا هاما فى أسطورة «أوزير» عبد فى أول الأمر بالدلتا على شكل الطائر «أيبيس» (أبى منجل) وكذا فى صورة قرد مفكر (شكل رقم ٩) ، انظر :

أ.ارمان : نفس المرجع السابق ، ص ٤٧ ـ ٤٨ .

(٣) استخدم الانسان المصرى القديم لفظ «القلب» للدلالة على العقل ، وفى عصر الدولة القديمة كان يعنى المسئولية والإدراك ، وفى الدولة الحديثة أصبح بمثابة الوازع على أفعال الانسان أى بمثابة الضمير ، انظر :

Breasted, J., H., The Dawn of Conscience, PP. 254 - 255.

(٤) Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt, P. 256.

وكـذا : عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق : ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

ويمكن القول بأن العبارة السابقة من النص تحمل فى مضمونها قيم عن آداب السلوك وهو ما سيتعرض له الدارس عند الحديث عن القيم السلوكية والتربوية ـ ولكن ما يهمنا أن نؤكد عليه أن تلك القيم المرتبطة بالعدل كانت لازمة لكل وزير لكى يؤدى مهام عمله فى اطار من العدل يحبه المجتمع ويقدره مليكه الذى كافئه ورقاه لأنه كان حسن السمعة لم يلجأ إلى الغش (الخداع)(١) ، وهذا يعنى التزامه بالعمل الصالح وتحقيق العدل الملتزم بتحقيقه أمام الملك وعائلته وبقية النبلاء وأهل الاقليم كما يدل أيضا على نمو روح التضامن بين الجميع وهو احساس وجد منذ قديم التاريخ فى المجتمع المصرى .

وكما يرى «برستد Breasted» فلقد كان لآراء المفكرين الاجتماعيين فى عصر الانتقال الأول أمثال «ايبوور» وغيره بالاضافة إلى التجارب التى مر بها المجتمع أثرها فى أن يحيط القصر الملكى بجو من العدالة الاجتماعية يجعل الملك يلقى بخطاب موجه إلى كل وزير جديد يضمنه المبادىء الأساسية التى تقوم عليها العدالة الاجتماعية(٢) ، أو ما يعرف بخطاب «تنصيب الوزير»(٣) ، الذى استهل الملك فيه خطابه إلى وزيره بأهمية وظيفته لأنها الدعامة الوطيدة للبلاد وهى وظيفة شاقة بأعبائها ليس الغرض منها التباهى بها على بقية الأمراء والنبلاء واستعباد أى فرد من أفراد الشعب بحكم منصبه الهام :

---

(١) Ibid, P. 256.

(٢) Breasted, J., H., The Dawn of Conscience, P. 208.

(٣) وصلت هذه الوثيقة إلينا فى ثلاث نسخ مختلفة ترجع إلى الأسرة ١٨ فى طيبة وأفضل النسخ موجودة فى مقبرة ««رخميرع» وزير «تحوتمس الثالث» (١٥٠١ ـ ١٤٤٧ ق.م) والنسختان الاخريتان موجودتان فى مقبرة «وزر» عم «رخميرع» وقبر «حابو» وزير «تحوتمس الرابع» ولقد تمكن «زيته Sethe K.» من دراسة النص ويرى «برستد Breasted» أن أسباب وضع الوثيقة فى الدولة الوسطى شبه مؤكدة لأنها فى الروح والفكر تنتسب إلى الوثائق الاجتماعية لعصر الاقطاع ، وأن أى ناقد غير متحيز يستخدم قواعد النقد التاريخى يضعها فى الدولة الوسطى ، أنظر :

ج. برستد : نفس المرجع السابق ، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ .

«... انظر فالوزارة ليست حلوة ، انظر أنها مرة ... أنه (الوزير) نحاس يغلف ذهب بيت [سيده] انظر (الوزارة) أنها ليست لاظهار احترام الأمراء والمستشارين ، أنها [-] ليتخذ لنفسه أى عبيد من الشعب ، انظر عندما يأتى إليك شاك من مصر العليا أو من مصر السفلى أو من أى مكان فى البلاد [-] تأكد أن كل شىء يجرى تبعا للعرف المتفق عليه ، [أعطى] كل رجل حقه ، وأعلم أن الأمير يحتل مكانة ، وأن الماء والهواء يخبران بكل ما يفعله ، انظر أن كل ما يفعله لا يبقى أبدا غير معروف ...» .

ثم يضع الملك لوزيره المنهج الذى يجب عليه أن يسلكه عند كل قضية ينظر فيها ثم يعرض عليه مثل من الدولة القديمة لوزير يدعى «خيتى» جانبه العدل عندما انحاز ضد أحد أقربائه [لصالح] الغرباء حتى لا يتهم بمحاباة أقربائه وعندما تظلم أحدهم من حكمه الظالم أصر على ظلمه وهذا ليس عدلا ، ثم يحبب إليه العدل :

«... لا تنسى أن تحكم بالعدل لأن الاله يبغض التحيز ...»[١] .

والعبارة السابقة واضحة فى مفهوم العدالة التى لا تعرف سوى الحق وعدم التحيز والبعد عن التفرقة فى المعاملة التى تسبب النفور من الالهة والبشر أيضا . ويستمر على نفس النهج موضحا أهمية العدالة وضرورة احترامها والتقيد بأحكامها :

---

(١) Breasted, J., H., The Dawn of Conscience, P. 209.

وكـــذا :

ج. برستد ، نفس المرجع السابق ، ص ٣٢٧ .

«... لا تكن مسيئا ضد رجل ليس سيئا لأن ذلك غير جائز (غير قانونى) ولكن كن مسيئا مع من يستحق ذلك انظر ، الرجال (الناس) يتوقعون العدل فى إجراءات الوزير (عند اداراته للجلسات) وهذه عادة العدل القانون منذ حكم الاله على الأرض ويقال عن كاتب الوزير أنه «كاتب عادل» أما الذى يقيم العدل بين جميع الناس فانه الوزير ...»[١] .

وربما كان فى كتابات هؤلاء المسئولين عن تحقيق العدل فى المجتمع شىء من المبالغة القصد منها تصوير أنفسهم وكيفية اداراتهم لشئون أقاليمهم بطريقة مثالية مراعين كل قيم الحق والعدالة والصدق غير أنه من الأشياء ذات المغزى الهام التى يمكن استنتاجها من أقوال هؤلاء المسئولين هو فى توصلهم لضرورة العدل الاجتماعى والشفقة والحق واتجاههم إلى التعبير عن ذلك فى نصوصهم أو بمعنى آخر وجود ضمير يمثل مجموعة من الايحاءات عن الصواب والخطأ ثم تمسكهم بمستويات القيم والصواب وهو ما يمكن الاستدلال عليه من نصوصهم ورغبتهم فى أحداث ذلك التأثير فى مجتمعهم وذلك مما نقرأه فى ترجمة حياتهم الشىء الذى جعل العالم «برستد Breasted» يطلق عليه عصر الضمير الاجتماعى الذى وضح فيه عصر الأخلاق[٢] ، التى لم تقتصر على الملوك فقط وإنما تجاوزتهم إلى كل انسان فى المجتمع المصرى حرص على الخلود فى العالم الآخر ونتيجة لما مر به من ظروف وقيم مكتسبة فانه قرن هذا الخلود بالعمل الصالح فى عالم الدنيا[٣] .

---

(١) Breasted, J., H., The Dawn of Conscience, P. 210.

(٢) Ibid., P. 213.

(٣) عبدالعزيز صالح : حضارة مصر وآثارها ، ص ٤١١ .

ويمكن القول بأنه قد ارتبط بالعدل الاجتماعى قيم أخرى عديدة من العمل والحب والصدق والمسئولية عن أفعال الانسان ولكن من أهم القيم التى ارتبطت بالعدل وكانت لازمة له هى قيم المساواة وهى ما عبرت عنه نصوص الدولة الوسطى ففى نص «أمنمحات إلى أبنه سنوسرت الأول» ـ الذى سبق الاشارة إليه ـ ما يمكن أن نستشف منه هذه القيم عن المساواة :

«... لقد أعطيت من لا يملك (الفقير) وربيت اليتيم وساعدت من لم يكن شيء (ذو قيمة أو منزلة) على بلوغ هدفه مثل من كان (شخص ذو مكانة)[١] .

ونفس المعنى نجده فى نص «أمينى» أحد حكام الأقاليم :

«... أعطيت الأرملة مثل التى لها زوج ولم أعلى من شأن العظيم (المكانة) فوق (على حساب) الصغير فى كل ما أعطيت ...»[٢] .

ولدينا نص آخر هام عن المساواة حيث أحس الكهنة فى تلك الفترة بما ينتاب المجتمع من مثل عليا تأمل فى المساواة وتصر عليها باعتبارها ركن هام من أركان الحياة عامة والعدل خاصة فعبروا عن ذلك فى خطاب هام للاله «رع Re»[٣] ، اله الشمس يهدف إلى اضفاء فضل الالهة فى ظهور القيم والمثل وبالتالى اكتسابها قوة مقدسة لأنها ذات أصل الهى مما يجعلها ذا تأثير مباشر على الانسان المصرى القديم .

---

(١) Wilson, J., OP. Cit., P. 419.

(٢) Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt, P. 253.

(٣) النص مكتوب على أربعة متون خشبية وجدت فى «البرشا» بمصر الوسطى وترجع إلى الدولة الوسطى ، والترجمة الموجودة لدينا مأخوذة عن التوابيت «ست حز حتب» متحف القاهرة رقم ٢٨٠٨٥ (B. 60 القاهرة ٢٨٠٩٤) ، (28083 القاهرة BIC) والنص موجود أيضا فى متحف بوسطن تحت رقم (٢٧/٢٠١٨٢٢) انظـر :

Wilson, J., All Men Created Equal in Opportunity, ANET, P. 7.

والنص يهدف إلى تأكيد حق الجميع بالتساوى أمام الاحتياجات الأساسية للحياة حيث يصرح سيد الالهة (المقصود هنا الاله رع) :

«... سيد الكل يقول فى حضور هؤلاء الساكنين بعيدا عن الضجة فى رحلة البلاط ، صلوا كونوا فى رخاء وسلام ...»

(المقصود بهم الموتى الذين ابتعدوا عن هموم الحياة ويصحبوا اله الشمس فى قاربه أثناء قيامه برحلته اليومية) .

يقول الالـه :

«... أننى أكرر على مسامعكم (أعيد) أربعة أفعال طيبة أوحى بها قلبى إلى خلال حركة العنف والفوضى من أجل عزل وتسكين الشر (لكى يختفى الشر) لقد قمت بأربعة أفعال طيبة عند بوابة الأفق (عند بداية الخليقة أو فى الفجر) ،

لقد صنعت الرياح الأربعة حتى يستطيع كل رجل أن يتنفس مثل زميله فى وقته (هذه أحد الأفعال الطيبة) ... ولقد صنعت الفيضان العظيم حتى يكون للفقير نفس حقوق الغنى العظيم (هذه أيضا احدى الأفعال الطيبة) .

ثم يضيف :

«... لقد جعلت كل رجل مثل أخيه ، ولم آمرهم بفعل الشر (حرمت عليهم) ولكنها قلوبهم هى التى عصت ما قلت .

لقد جعلت قلوبهم لا تنسى الـ (الموت) حتى تقدم
العطايا لالهة المقاطعات ...»[١] .

والنص واضح من حيث هدفه الأساسى وهو المساواة التامة بين جميع البشر ومما يزيد فى روعته وتأثيره وسرعة انتشاره بين كل طبقات المجتمع أن القيم التى دعا إليها لم تجىء على شكل مبادىء مجردة أو أوامر صارمة وإنما جاءت فى صورة مجسمة يلمسها الانسان المصرى القديم كل يوم فى واقعه فجاء تعبيره عن موضوع المساواة والعدالة تعبيرا صادقا نابعا من صميم النظرة الكونية التى اتجه إلى الاعتقاد فيها بوحى من البيئة الطبيعية التى يعيش فى ظلها بحكم حياته الزراعية ، فقد اتصل بالبيئة اتصالا مباشرا ولمس بوضوح الظواهر الطبيعية والكونية ومدى علاقته بها كمزارع يعمل فى الأرض ويتصل انتاجه بكافة تلك الظواهر المحيطة به ، ومن هنا كانت نظرته وربطه المجتمع الذى يعيش فيه بعالم الكون الخارجى وهى أن حق التعامل والاتصال بالقوى الكونية حقا متاح لكافة البشر حيث قال على سبيل المثال ـ كما سبق الاشارة ـ :

«... لقد صنعت الرياح الأربعة لكى يتنفس منها كل
انسان كزميله أثناء حياته ...» .

وبذلك عبر عن مبدأ المساواة تعبيرا فريدا يتصل بنظرة الانسان المصرى القديم ليس فقط فى حياته الأرضية وإنما فى الكون بأسره مما يؤكد أن تصوره لموضوع المساواة كان تصور عميق للغاية مما يعتبر ابداع فى مجال الفر المبكر ، زاد فى أهميته أن هذه القيم صادره من الاله وكل تجاوز عنها تسبب له نفور الالهة التى يحرص على الاحتفاظ بقيمها .

(١) Ibid., PP. 7 - 8.
وكـذا : Breasted, J., H., The Dawn of Conscience PP. 221 - 222.

والنص ـ شأنه شأن نصوص أخرى ـ قد حوى الجانب الخلقى فى سلوك الانسان المصرى القديم حيث يصرح الاله :

«... لقد جعلت كل انسان مثل أخيه ولم آمرهم بفعل الشر ولكن قلوبهم هى التى عصت ما قلت ...» .

وهى فقرة خلقية على جانب عظيم من الأهمية عندما جنب الاله نفسه (والالهة) مسئولية أتيان السوء وحمل الانسان مسئولية عصيان أوامره وما نتج عن ذلك من عدم مساواة اجتماعية واظطرابات فى الماضى لاشك كانت ماثلة فى وجدانه .

أيضا يمكن النظر إلى تلك الفقرة السابقة من الناحية الخلقية حيث ساوت بين الجميع فى ناحة المسئولية الخلقية على ما يقترفه الانسان من أفعال وفى هذا سبق للحضارة المصرية فى مجال القيم الخلقية والاجتماعية[١] ، التى حرصت على تذكير الانسان المصرى القديم بالحياة السعيدة فى العالم الآخر المرتبطة بالعمل الصالح والتى أصبحت من حق الجميع ، ولذلك فان رجال الفكر فى عصر الدولة الوسطى قد أضافوا قدرا لا بأس به من المثل العليا الخلقية فى المجال السلوكى والتعليمى ويمكن تلمس ذلك الجانب فى نبوءة «نفر رهو» التى تحدثت عن مجىء ملك جديد حيث وضحت فى مقدمتها الاشارة إلي تلك الروح الانسانية التى تحلى بها الملك «سنفرو» وحسن معاملته لرعاياه والتى تتضح فى استخدامه تعبير «اخوانى» للدلالة على رجال حاشيته ، ومخاطبته للحكيم باعتباره صديقه ثم قيام الملك بنفسه بتدوين النبوءة بدلا من استدعائه لأحد الكتبة للقيام بهذا العمل ، وتصويره لأوضاع مصر وسوء الأخلاق وانعدام معانى الخير والمحبة والشفقة وتضخم الأنانية التى التهمت احساس الفرد بالجماعة لدرجة

---

(١) Ibid., P. 216.

أن كل انسان ليس لديه سوى كلمة «حبنى»[١] ، حيث عمت الكراهية والحقد محل الثقة والمحبة ثم بين حكيمنا أن الحل الأمثل هو عودة «ماعت» القديمة لتعلن عودة المثل العليا[٢] ، لأنها تعبر عن معنى النظام الخلقى والكونى للأمة .

كذلك يلاحظ فى نص «أمنمحات» إلى أبنه تلك المشاعر البشرية للك يواجه واقع الحياة بكل ما فيها من صدق وكذب ، ولذلك جاءت نصائحه صادقة لتعبر عن أحاسيسه بعد تلك المؤامرة التى تمت خيوطها داخل البلاط الملكى حيث تلك الفئة الذين أكرمهم الملك ورعاهم لذا فمن الطبيعى أن تتضمن نصائحه فقرات مليئة بالمرارة وسوء الظن الملىء بالتشاؤم والتى تعكسه العبارات التالية :

«... احتفظ بنفسك بعيدا عن مرءوسيك وكن حذرا منهم لأن الناس يخضعون لمن يرهبهم ولا تقترب منهم على انفراد .

ولا تملأ قلبك بشقيق ولا تتخذ لنفسك صديق ولا تكون لنفسك أصدقاء حميمين لأن هذا ليس له نتائج ولكن عندما تنام احتفظ بقلبك وأحرسه لأنه لايوجد (رجل) من يساعدك يوم الشدة ...»[٣] .

ويمكن أن نستنتج من العبارة السابقة أن «أمنمحات» كان رحيما متواضعا مع من حوله مختلطا بهم ونتيجة لما تعرض له فانه ينصح أبنه بالاعتماد على نفسه وأن ينهج أسلوبا يختلف عن أسلوبه فى معاملاته لحاشيته والمحيطين به من التابعين ، ويذهب فى توجيه

كناية عن الأنانية فى عصر الانتقال الأول .

(١) Wilson, J., OP. Cit., P. 445.

(٢) Breasted, J., H., OP. Cit., PP. 204 - 205.

(٣) Wilson, J., OP. Cit., P. 418.

نصحه إلى أبنه بضرورة عدم منحه ثقته المطلقة مثلما فعل هو لأن هؤلاء الجاحدين قد تنكروا له ولأفعاله الطيبة .

«... الرجل الذى مددت له يدى قد أثار المتاعب والذين كانوا يرتدون كتانى عاملونى مثل من هم فى حاجة إليه ...»[١] .

ولاشك أنه كان يرمى بجانب تشاؤمه وتحذيره لأبنه أن يؤنب ويحقر هؤلاء الذين تناسوا أفعاله الطيبة لهم ولوطنهم ، ويستمر فى تحذير أبنه الذى سيخلفه بضرورة أن يعى الدرس ويفهمه لأن السعادة الحقيقية لا تأتى إلا للانسان الذى يسعى للاستفادة من العلم والمعرفة وأن يستفيد من تجارب حياته ويستنتج منها الدروس وذلك لصعوبة نقل كل خبرته الشخصية إليه باعتباره خليفته[٢] .

ولقد أحسن النص تصوير حالة الاعتداء التى تعرض لها الملك واضفاء صفة الجبن على مرتكبيه ولهذا دلالته الخلقية لاستهجان مثل تلك الاعتداءات الدنيئة حيث يروى الملك ذلك :

«... كان بعد العشاء عندما أقبل الليل ، وأخذت ساعة للراحة مستلقيا على سريرى لأنى كنت متعبا وبعد سبات فى النوم فان قلبى بدأ يتتبع (ينصت) والأسلحة التى أعدت لمؤازرتى لوحت (ضدى) ، فقمت متداعيا (كأنه مسمر) فى الوحل مثل حية فى الصحراء ، وقد صحوت على القتال متماسكا ووجدت هناك التحاما بالأيدى بين الحراس وإذا كنت قد أسعفت بالسلاح فى يدى لكنت قد جعلت

---

(١) Ibid., P. 418.

(٢) Ibid., P. 418.

الجبناء ينسحبون ولكن لا يوجد شجاع فى الليل ولا يمكن أن تحارب وحيدا ، ولا يمكن النجاح بدون حماية ...»(١) .

ثم ينهى خطابه بفقرة خلقية حتى ينعم برضاء الآلهة :

«... السرور فى قارب «رع» لأن الملكية التى جاءت إلى الوجود مازالت تقف من خلال ذلك الذى يتصرف بحب ومن خلال من يتصرف بشجاعة ، صمم مبانيك بحيث لا يشوبها أى عيب (لتصبح) دائمة ...»(٢) .

ويمكن أن نستنتج من النص أنه على الرغم أن تجربة صاحبه قد جعلته يتجه نحو التشاؤم إلا أنه قد حرص أيضا على توضيح سلوكه الخير وأفعاله الطيبة ، ذلك أن السلوك الخلقى قد أصبح يرتبط بالمجتمع وصار السلوك عرضة للحكم عليه بالصواب أو الخطأ ولذلك حرص الكل على أن يذكروا منهاجهم الخاص بالشفقة والتزامهم السلوك الخلقى وهو ما يمكن أن نستشفه أيضا من نص «أمينى» بالاضافة إلى مغزاه السياسى والاجتماعى فله أيضا جانب سلوكى خلقى :

«... لا توجد ابنة مواطن فى اقليمه أسأت معاملتها ولا توجد أرملة بدون راع أصبتها بضرر ...»(٣) .

---

(١) Ibid., PP. 418 - 419.

وكـذا :

Maspero, G., OP. Cit., P. 101.

(٢) Wilson, J., OP. Cit., P. 419.

(٣) Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt, P. 252.

ويتضح فى نصه حسن معاملته لمواطنيه وتمتعه بالود والشفقة إزاء جميع أهالى اقليمه وهى كلها تعكس قيم خلقية راسخة يزيد من روعتها حرص صاحبها على أن يذكر منهاجه ويسجله كتابة على مقبرته لتكون شاهدا على أفعاله الخيرة وسلوكه الطيب .

ويمكن القول أنه قد ارتبط بالقيم السلوكية جانب تربوى هام إذ أنه نتيجة لما ساد عصر الانتقال الأول من أوضاع مضطربة أدت إلى تناقص فئة الكتبة وذوى الخبرات وأهل العلم أو أن عددهم قليل بالنسبة لاعادة بناء الجهاز الادارى للدولة لذلك لجأ «أمنمحات الأول» إلى نوع من الترغيب فى العمل الرسمى متمشيا مع حاجة الدولة بضرورة وجود طائفة من الموظفين المتصفين بالكفاءة والأمانة ليعاونوه فى بناء المجتمع الذى تسوده العدالة الاجتماعية ، تلك الفئة التى وضحت ضرورتها من قبل فى نص «الفلاح الفصيح» والتى بدونها لا يستطيع الملك مهما كانت عدالته أن يحقق الانجاز المطلوب للمجتمع المصرى وهى لاشك أفكار نادى بوجودها بعض المصلحين الاجتماعيين فى تلك الفترة وما قبلها(١) .

ولابد أن الملكية قد شجعت الجانب التربوى وعملت على احياء ظهور فئة جديدة من الكتاب وخاصة إذا علمنا أن مهنة الكتابة والعمل فى خدمة الملك كانت من الأشياء المحببة للجميع .

ولقد عثرنا على نص يشيد بأهمية الكاتب والمتعلم وهى تعاليم «خيتى بن دواوف» لأبنه «ببى» ومن المعتقد أن كاتب هذه التعاليم هو نفسه الذى كتب تعاليم «أمنمحات الأول» .

ويبدأ «خيتى» تعاليمه بذكر أسمه وأسم أبنه الذى يوجه إليه نصائحه عند سفره ليلتحق بأحد المدارس الخاصة لتلقى العلم ويلاحظ

---

(١) Breasted, J., H., The Dawn of Conscience, P. 207.

أن هذه المدرسة لم تكن قاصرة على أبناء طبقة دون أخرى ففيها أبناء الحكام وفيها أيضا من هم فى طبقة «ببى» ابن «خيتى»[١] .

وكما نصح حكماء الدولة القديمة ومنهم «بتاح حوتب» أبنه بضرورة التحلى بالمعرفة والوضول إلى الحقيقة فى أى مكان فان حكيمنا «خيتى» أيضا يطلب من أبنه ضرورة التحلى بالعلم والمعرفة لما فى ذلك من مكانة مرموقة لأن مهنة الكاتب تفوق كل ماعداها من المهن الأخرى .

«... عليك أن توجه قلبك لقراءة الكتب تأمل لا شىء يفوق الكتب ، اقرأ فى نهاية «كمت» (أوكمة) كتاب الكمال ...»[٢] .

(وهو يحوى مساعدات وارشادات للكاتب الذى تنقصه الخبرة بالاضافة إلى جمل جاهزة لاستخدامها فى المراسلات الادارية)[٣] ، كذلك كان من ضمن أهداف «خيتى» أن يحبب إلى أبنه حياة الدراسة والكتابة وهو ما يتضح فى قوله :

«... ولسوف أجعلك تحب الكتب أكثر من أمك وأبث محاسنها فى وجهك ...» .

«... وأن يوما بالمدرسة لهو الأجدى لك وأن أعمالها (أى علومها) لتخلد إلى الأبد (خلود) الجبال ...»[٤] .

---

(١) عبدالعزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ١٦٥ .

(٢) سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

وكـــذا :

عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

(٣) Vercoutter, J., OP. Cit., PP. 357 - 358.

(٤) عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

وهى عبارة تتضح فيها مدى تقدير الانسان المصرى القديم للعلم والمعرفة لدرجة تفضيلها عن ذلك الرباط الوثيق الذى يجمع أفراد الأسرة وخصوصا رباط الأبوة والبنوة .

ثم يستمر الحكيم مستحسنا حرفة الكاتب مبعدا أبنه عن التفكير فى الحرف اليدوية فذكر له سبعة عشرة حرفة موضحا له المصاعب التى سيلاقيها فى كل منها بينما وظيفة الكاتب لها كل الشرف والتقدير والثروة حيث تمتع الكتبة بامتيازات خاصة وعلى الرغم من مبالغته فى ذلك إلا أنه يعطينا صورة عن الحياة الاجتماعية والمهن المختلفة ثم ينتهى من ذلك إلى استحسان شخص الكاتب وعمله فيقول :

«... أن صاحبها يصدر الأوامر ، تأمل فأنه لا توجد حرفة لا رئيس لها إلا صناعة الكاتب فهو رئيس نفسه ...»[١] .

وبعد هذه الكلمات الحكيمة التى تناولت الموضوع الأصلى فانه تناول اضافات جديدة عن سلوك الانسان فى المواقف المختلفة ومعظمها أشار إليها «بتاح حوتب» فى نصائحه من قبل عن حسن الحديث وآداب الزيارة وآداب الطريق وفى الصداقة وفى حضرة من هو أعظم منه وكان من قوله :

«... إذا خرجت من المدرسة حين يعلن لك انتصاف النهار وأخذت تروح وتغدو مهللا فى الطرقات فنصيحتى لك ألا تقترب من موضع منها (تشاكس أخدا منها) ...»[٢] .

---

(١) سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

(٢) عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .

وفى طاعة رؤسائه والاستماع لهم يقول :

« ... انظر أنه لحسن أن تفض الجمهور وتستمع منفردا إلى كلمات العظيم ... »[١] .

ويختتم «خيتى» تعاليمه لأبنه بما يفيد أنه وضعه على الطريق القويم فى رعاية الآلهة بالاضافة إلى رضاء الملوك وكلها من الأمور المحببة التى تمسك بها الانسان المصرى القديم فى تلك الفترة التى امتازت أيضا بتقدير الفرد لعلمه وجهده «يعمل بساعده ويتحدث بفمه» قبل تقديره بعراقة أصله[٢] ، وهى أشياء كثيرا ما طالعتنا فى نصوص مقابر الدولة الوسطى .

كذلك حوت نصوص الدولة الوسطى الجانب الاقتصادى كهدف من أهداف الانسان المصرى القديم يسعى إلى تحقيقه والعمل على توفره حيث كان الدافع الاقتصادى عامل هام فى تقبل الفكر الدينى المصرى القديم لمبدأ الملكية الالهية بالنسبة للملوك الأوائل الذين نجحوا فى ضمان توفير الجانب الاقتصادى وغيره من مظاهر الاستقرار فى المجتمع[٣] ، لذا لجأت نصوص تلك الفترة الخاصة بالملوك وحكام الأقاليم إلى الاهتمام بهذا الجانب نظرا لأهميته فى حياة الانسان المصرى القديم طوال حياته ، والحكيم «نفر رهو» وهو يصف مجيىء مليكه العادل «أمنمحات الأول» لحكم مصر فانه يتعمد أن يصف الأوضاع التى حاقت بمصر منذ نهاية عصر الدولة القديمة محذرا منها ويمكن أن يستشف الدارس من نصه جانب اقتصادى ذو تأثير على حياة الانسان المصرى القديم حيث يصف البلاد بأنها أصبحت

---

(١) سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

(٢) عبدالعزيز صالح : نفس المرجع السابق : ص ١٦٦ .

(٣) رشيد الناضورى : المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى، الكتاب الثالث، ص ١٦٠ـ١٦١

«خراب» بسبب عدم الاهتمام بها وهو ما تؤكده نصوص عصر الانتقال الأول التى تبين أن المخازن المركزية والمحاكم وسجلات الأراضى والقوانين المكتوبة قد اختفت والمسئولون قد فروا إلى ديارهم[١] .

ولدينا فى نص «أمنمحات الأول» إلى أبنه «سنوسرت» تشبيه لما قام به الملك من أفعال طيبة استخدم فيه كاتب النص شيئا ملموسا فى حياة الانسان الاقتصادية وهو توزيع المياه أثناء الفيضان بواسطة القنوات التى يمكن التحكم فيها فلا تغرق الحقول بالمياه ويضيع تعب الفلاحين ، والملك وأفعاله بمثابة قناة الخير التى تروى مصر .

ويبدو من الآثار التى عثر عليها لملوك هذه الأسرة اهتمامهم بالجانب الاقتصادى - دون اغفال الجوانب الأخرى - فوجهوا كل اهتمامهم لمشروعات الرى والزراعة ويدل على ذلك النقوش التى دونها الملوك ليسجلوا فيها ارتفاعات النهر[٢] ، وظل هذا الاهتمام معمولا به حتى أواخر ملوك هذه الأسرة حيث نطالع فى صخور «قمة» نقش يسجل مدى ارتفاع الماء فى احدى سنوات حكم الملك «أمنمحات الرابع»[٣] (١٧٩٢ - ١٧٨٢٠ ق.م) .

والجانب الاقتصادى أيضا لم يقتصر على الملوك فقط وإنما حرص كل المسئولين على توفيره ، وسيورد الدارس مثالا لذلك حيث يفتخر «خنوم حتب Hnmw htp» حاكم اقليم «منات خوفو[٤] Mnat HwFw» (الأسرة ١٢) فى ذكره لاقليمه :

---

(١) Breasted, J., H., A History of Egypt, PP. 157 - 158.

(٢) أحمد بدوى : فى موكب الشمس ، جـ ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ١٧١ .

(٣) Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt, P. 128.

(٤) يرى «ماسبرو» أن «منات خوفو» قد أسست ونمت فى الأسرة الرابعة (٢٦٨٠ - ٢٥٦٠ ق.م) وخاصة فى عهد «خوفو» ثم ازدهرت مرة أخرى فى الأسرة الحادية عشرة (٢١٣٤ - ١٩٩١) وأن أسمها تغير من عصر لآخر ، وموقعها الحالى منطقة بنى حسن فى اقليم المنيا (الحالى) ، انظر : Maspero, G., OP. Cit., P. 23.

«... انه نتيجة لما قام به من مشروعات وتخزين للحبوب
قد ارتقى واثرى [-] باقليمه وأسس
المعبد وقدم القرابين المختلفة من خبز وجعة وبخور
ولحم نقى ...»[١] .

وكما عكست النصوص التيارات الفكرية التى حفلت بها تلك الفترة فان الفن أيضا قد عبر عن تلك المشاعر البشرية التى تمثلت فى ملوك عصر الدولة الوسطى .

فبينما صور فنان الدولة القديمة ملكه كما رآه من الواقع فان فنان الدولة الوسطى قد صور الواقع أيضا فجاء تمثيله للملوك كآدميين وليسوا آلهة فيهم العواطف الانسانية بكل ما فيها من سرور وحزن شأنهم شأن كل البشر بل أنه شكل وجوههم بالصورة التى توضح الملامح الجادة للملوك التى أرهقتها مشاكل الحياة بكل ما فيها من كفاح وجهاد لتأمين الدولة ورخائها[٢] .

وبمعنى أوضح فان الدولة الوسطى تتميز بنوع من المشاعر البشرية تختلف اختلافا كبيرا عن تلك التى لمسناها فى الدولة القديمة وملوكها وخاصة ملوك الأسرتين الرابعة والخامسة ، ففى حين أن الدولة القديمة كانت تأخذ بعقيدة الملكية الالهية الأمر الذى دعا الفنانين إلى إبراز ملامح وجوه التماثيل التى وصلت إلينا من هذه الفترة والتى تدل على الوقار المتزمت وعلى العظمة التى تكمن فى شخصية الملك الاله ، ولم يحاول أحد من الفنانين أن يكسب ملامح الملك شيئا من المشاعر البشرية سواء كانت مشاعر تدل على البهجة والسرور أو على الحزن أو أى نوع من المشاعر الداخلية التى لا تتناسب معه كملك

---

(١) Breasted, J., H., OP. Cit., PP. 284 - 285.

(٢) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الرابع ، ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ .

اله . (انظر شكل ١٠) . فى حين أن ملوك الأسرة الثانية عشرة وخاصة فى النصف الثانى منها قد تركوا لنا العديد من التماثيل المختلفة التى تدل على أن الملك كان يسمح للمثال أن يصوره بكل ما يستطيع أن يبرزه سواء فى ملامح الملك بالنسبة إلى موطنه أو فيما يرتسم على بعض أجزاء الوجه من علامات تدل على مشاعر انسانية يشعر بها الملك .

ولعل من أهم الأمثلة التى يبرزها الدارس فى هذا المجال هو ذلك الرأس الموجود فى متحف «جامعة كمبريدج للملك «سنوسرت الثالث» (شكل رقم ١١) المصنوعة من حجر الجرانيت الأسود بملامح وجهه من أهم القطع الفنية حيث نجد فى ملامح هذا التمثال ما ينم على قوة الارادة واعتزاز صاحبه بنفسه وأعماله كما تدل على بعض مشاعر الأسى والحزن ترتسم على عينى التمثال وخاصة تلك الجيوب الواضحة التى تقع فى أسفل العينين والتى تدل على أن صاحبها لم يكن يتمتع بحياة الرخاء والهدوء بل كان رجلا شديد البأس قوى الشكيمة لا يترك فرصة دون انتهازها ، كذلك الفم والتصاق الشفه العليا بالشفة السفلى وذلك الخط العميق الذى يرتسم على الذقن فى كل ناحية من نواحى الفم مما يدل على نفس المشاعر والأحاسيس المرتسمة بوضوح على وجه هذا الملك والتى ما كان للفنان أن يجرؤ على تسجيلها إلا إذا كانت العقيدة الخاصة بألوهية الملك قد أخذت فى التداعى وحل محلها عقيدة أخرى تقوم على أن الملك ولو أنه كان حسب ألقابه التقليدية يعتبر نفسه من أسرة الآلهة وأنه أيضا اله غير أن واقعه يدل على أنه كان يمارس حياته اليومية وينفذ مشاريعه ويقود الجيش بنفسه فى حملاته الحربية لتأمين الحدود وتأمين سبل التجارة وتدبير شئون البلاد كرجل دولة ناجح استطاع أن

يقضى على نفوذ الأمراء وحكام الأقاليم بما يحقق الخير والأمن للبلاد[(١)] .

وإذا انتقلنا إلى عهد الملك «أمنمحتب الثالث» (١٨٤١ ـ ١٧٩٢ ق.م) آخر الملوك العظام للدولة الوسطى فنجد أن نفس الطريقة فى تمثيل ملامح الوجه باقية وستضح الخبرة التى يتمتع بها صاحبة (انظر شكل ١٢)[(٢)] أيضا فان من أهم الآثار التى وصلتنا فى عهد ذلك الملك هى مجموعة التماثيل الأربعة التى تمثل الملك على هيئة أسد رابض بوجه انسان غير أن طريقة تمثيل هذا الوجه تعتبر فريدة فى نوعها إذ تتميز بأن الوجه تحيط به «معرفة الأسد» بذلك الشعر الغزير ، كما أن أذنى الرأس هى لأسد (انظر شكل ١٣ أ ، ب) ويتميز الوجه بتلك الملامح الشخصية لملك لم يرغب مطلقا أن يمثل نفسه فى أحسن مظهر من مظاهر البشرية بل حرص على إبراز ملامحه الشخصية أما جسم الأسد فهو يتميز أيضا بقوة التنفيذ وبروعة تمثيل عضلات جسم الأسد وهو ما أوضحته تلك التماثيل المعروفة باسم «تماثيل تانيس» ومن بين ما قاله «وولف Wolf» أن هذه التماثيل الرائعة هى محاولة بأن تمثل الملك والأسد أى الانسان والحيوان فى وحدة لا انفصام فيها على أساس أن الجزء الحيوانى فى الانسان قد ذاب فى الجزء البشرى والعكس صحيح[(٣)] .

وإذا كانت تماثيل أبو الهول فى العصور السابقة تجمع بين جسد الأسد ورأس آدمى تمثل صورة الملك الاله حيث كانت الرأس البشرية ترتفع عاليه دون أن يعطى الفنان أى من ملامح وصفات الأسد لتلك

---

(١) Shorter, A.W., OP. Cit., P. 191.

(٢) Hayes, W.C., OP. Cit., P. 199.

(٣) Wolf, W., Die Kunst AEgyptens, Stuttgart 1957, PP. 329 - 330.

الرأس ، من أجل ذلك يعتقد أن الفكرة هنا فى الدولة الوسطى تتضمن فى الواقع نوع من انعكاس قوة الأسد وبطشه فى صفات الملك صاحب التمثال ، وليس من شك كما يقول «وولف» بأن هذا أمر ما كان يحدث إلا فى عصر وجد الملوك أنفسهم مضطرين أن يقاوموا بعض العناصر فى مصر تقف متربصة بالعرش والجالس عليه وأنه لا سبيل مطلقا إلا بالبطش والقوة وهو ما عبر عنه الفنان المصرى القديم .

وعلى أية حال فانه يمكن القول بأنه قد توفرت للانسان المصرى القديم فى تلك الفترة حرية التعبير الصادق الدقيق عن قيمه ومثله العليا سواء فى الناحية الأدبية أو الناحية الفنية وهو ما تميزت به الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ ـ ١٧٧٨ ق.م) والتى بانتهائها تعرضت مصر القديمة لفترة أخرى من الاضطرابات والتغيرات فى كافة أوجه الحياة وهى تلك الفترة التى عرفت «بعصر الانتقال الثانى» .

□□□□□□



نتائج البحث

الخاتمة



من هذه الدراسة لموضوع «تطور مفهوم المثل العليا للضمير الخلقى فى عصرى الدولتين القديمة والوسطى» يتضح لنا أن هذه المثل قد سيطرت على تطورها عقائد المصريين القدماء وكانت العقائد الدينية بصفة خاصة وراء كل تقدم شمل مجالات الحياة المصرية القديمة حيث كان الارتباط تاما بين الدين وبين الدولة وبين الحدث والعقيدة خاصة فى المراحل المبكرة فى التاريخ المصرى القديم .

فقد كانت القرية أو المقاطعة تمتد مكونات شخصيتها من قوة الاهها الخاص الذى تزداد مكانته بانتصار أصحابه وعلى سبيل المثال لا الحصر فلقد كان فى انتصار «نعرمر» انتصار للاله «حور» باعتباره هبة من الالهة كما يمكن القول أن عبادة «حور» ما كانت لتنتشر بتلك الدرجة لولا هذا الانتصار الكبير .

ولقد كان لعقيدة الملكية الالهية أن وحدت ما بين شخص الملك الاله والمجتمع وكان لذلك أثره فى ربط الفكر الدينى بالمجتمع ونمت نتيجة لها مجموعة من القيم سادت بين أفراد الشعب ، فقد كان الملك هو المثل الأعلى الذى يقتدى به الانسان المصرى القديم ويطيعه طاعة كاملة من أجل تحقيق الخير " لمجتمعه ، كما أنه أمل الفرد فى النهاية أن يكسب رضاء هذا الملك (الاله) باعتباره مصدر كل الهبات «فليتفضل الملك ويعطى» htp di NSW

ولم تكن النتائج المترتبة على إيمان الانسان المصرى القديم بالملكية الالهية كلها نتائج معنوية وإنما كانت هناك من النتائج ما أخذ طابعا ماديا بحتا فى بعض مظاهره ، ففيما يتعلق بالطقوس الجنازية كان غاية ما يطمح إليه الفرد هو تعطف الملك عليه ببعض لوازم المقبرة أو السماح له بسرد ألقابه أو وظائفه أو بعض الأعمال التى كلفه بها .

وكان نتيجة لسيادة عقيدة الملكية الالهية بصرف النظر عن كونها ايمانا فرض على الانسان المصرى القديم أو باختياره فقد كان هذا الايمان ضروريا ولازما لاستقرار وتقدم المجتمع الزراعى الذى تقوم فيه أسس التقدم على استقرار الأوضاع السياسية والاجتماعية من خلال نظام قوى .

وكان من نتائج رسوخ عقيدة الملكية الالهية فى نفوس المصريين أن وجهت طاقاتهم نحو انجازات كبيرة خاصة فى عصر الدولة القديمة والتى ما كانت لتتم لولا ايمانهم بتلك العقيدة فقد كانت خدمة الملك مثلا بصفته المثل الأعلى والاله المقدس من أعظم الواجبات المقدسة وكانت دائما محل فخر واعتزاز المصرى القديم وهو ما جسدته تعاليم «بتاح حوتب» إلى أبنه .

كذلك جاء استقرار الأسرة المصرية فى عهد الدولة القديمة كنتيجة مباشرة لما آمن به المصرى القديم من كونه جزء ضمن نظام عام (أسرة كبيرة) يحاول أن يتوافق معه ويدخل ضمن بنائه فانعكس ذلك على نظرته لأسرته الصغيرة التى جهد أن تكون نموذجا لما عليه الأسرة الكبيرة وهو ما أفرد له «بتاح حوتب» فى تعاليمه باعتبار الأسرة لبنة يتكون من مجموعها المجتمع بالاضافة لما ركز عليه من رقى فى المواقف تعكس حضارة راسخة .

وفى عالم مستقر ونتيجة لملاحظة الانسان المصرى القديم للظواهر الطبيعية المتنوعة فى بيئته وما اتسمت به من انتظام واستمرارية أن آمن بعقيدة الخلود وبوجود عالم آخر ينتقل إليه الانسان بعد الموت ، ولم يكن هذا الانتقال انتقالا تلقائيا ولكنه بعد محاكمة لا يشفع فيها للانسان إلا عمله الصالح مما ترتب معه عدد من القيم ترسخت فى نفوس المصريين وكونت مثلهم العليا .

وباعتبار الملك الاله كاحدى قيمهم المكونة للمثل العليا وايمانهم بألوهيته أن تولدت فى نفوسهم الرغبة فى الارتباط به فى الحياة الدنيا وفى العالم الآخر ، فكان أن سعوا إلى التقرب إليه والسير فى ركابه فى الحياة الدنيا ثم تشييد مقابرهم بجوار مقبرته لينعموا بصحبته فى العالم الآخر .

كما ارتبط التطور السياسى وتغير مكانة الملك منذ النصف الثانى من عصر الدولة القديمة بتطور دينى اقترن به حيث لجأ الكهنة إلى مزج المعتقد الأوزيرى مع المعتقد الشمسى بما يحقق لهم وللوكهم أغراضهم السياسية ، ويمكن القول أن هذا دلالة على ازدياد أهمية المعتقد الأوزيرى وتغلغله فى نفوس الجميع وهو فى نفس الوقت دليل على تدهور مكانة الملكية وللدلالة على ذلك نصوص الأهرام التى حوت أدعية وتعاويذ تساعد الملك فى العالم الآخر بعد أن كان من قبل متمتعا بكل القوى والقداسة التى تجعله ومقبرته ـ فى الأسرة الرابعة . فى غنى عن مثل تلك النصوص .

أعتقد الانسان المصرى القديم بفكرة البعث والحساب والمسئولية عن أفعاله التى قام بها فى حياته الدنيا وارتبط هذا الاعتقاد بالاله «أوزير» وما تعبر عنه قصته وأسطورته من عمل للخير واجتناب للشر ولم يقتصر هذا المعنى الخلقى على الملوك فقط وإنما شمل كل فرد فى المجتمع وانعكس هذا التفكير فى العادات الجنزية للانسان المصرى القديم وبعد أن كان يغلب عليها الجانب المادى فى الدولة القديمة نتيجة لتجارب الانسان المصرى القديم فى النصف الثانى من الدولة القديمة وعصر الانتقال الأول ، فان الجانب المعنوى المرتبط بالقيم والمثل العليا كانت ضرورية لتكمل الناحية المادية لتلك العادات الجنزية .

ولقد قامت الاسطورة بدور هام فى ترسيخ القيم والمثل العليا لدى الانسان المصرى القديم كيفما كانت الأحوال .

وكانت هى الوسيلة التى توصل مفهوم هذه القيم لدى عامة الشعب وخير مثال على هذا الدور المتعدد فى «اسطورة أوزير» فنجد أنها قد قامت بترسيخ المفاهيم السياسية حينما كانت الأحوال تقتضى ذلك فى بدء التاريخ المصرى تلك الفترة التى سادت فيها عقيدة ألوهية الملك وحقه فى الحكم كممثل لـ «حور» ووريثا شرعيا «لأوزير» وحينما تغيرت المفاهيم عبرت الأسطورة عن هذا التغيير وأبرزت النواحى الأسرية بكل ما تمثله من قيم طيبة ينبغى أن تسود أفراد الأسرة ، كما أبرزت أيضا قيمة العمل الصالح باعتباره السبيل الذى سوف يصل بصاحبه إلى الخلود فى مملكة «أوزير» .

كما يتضح لنا أن سلوك الانسان وأفعاله قد خرجت من نطاق الأسرة الضيق وأصبحت عرضة للحكم عليها بالصواب أو الخطأ من المحيطين به بوجه خاص والمجتمع بوجه عام لأن هذه القيم ترتبط بفكره وحياته العملية داخل المجتمع .

وعندما أنتاب الضعف مكانة الملك فى النصف الثانى من الدولة القديمة لأسباب شتى وما استتبع ذلك من انهيار للمثل الأعلى الممثل فى شخص الملك الاله أن زعزعت القيم لدى الانسان المصرى القديم وانتاب الشك كل ما كان يؤمن به مما هيأ المناخ لظهور عقائد ومفاهيم جديدة أتت بها الثورة الاجتماعية التى أعقبت ذلك .

وفى عصر الانتقال الأول الذى أعقب سقوط الدولة القديمة وتردى الأوضاع تغير كل شىء وضاع من الوجود محصلة خمسة قرون تقريبا من الحضارة والازدهار وانقلبت المفاهيم الاجتماعية وأصبح للكلمة دور هام وخطير وهو ما لم يكن له وجود من قبل .

وعبر الحكام ملوكا أو أمراء للاقاليم بالكلمة عن حسن أفعالهم وسطر المفكرون آراءهم فى شخص الحاكم والصفات التى يجب أن

يتحلى بها وأصبحت الحاجة إلى العدل الاجتماعى أكثر ألحاحا من أى قيمة أخرى ولم يعد الأصل الملكى فى الاهتمام الأول ولأول مرة يجرؤ أحد أفراد الشعب على انتقاد الملك وتحميله تبعة ما يحدث .

وللمرة الأولى أيضا يعترف أحد الملوك بخطئه كانسان عادى وليس كاله مترفع وأصبحت عقيدة «الملكية الالهية» موضع تساؤل وشـك .

أيضا يستخلص الدارس مغزى هام من النص المعروف باسم «قصة الفلاح الفصيح» التى ترجع حوادثها إلى عصر الانتقال الأول (العصر الاهناسى) حيث ظلت القيم والأفكار التى تضمنها النص تتداول وتكتسب الذيوع والشهرة لأنها صورت المبادىء الانسانية فى شكل مواقف ملموسة ومنها أيضا نستنتج أن الانسان المصرى القديم ـ حسب ما يبدو من النص ـ قد أصر على حقه ولم يخش فى الحق ذا سلطة أو ذا ثراء ، ويعد من مميزات الحضارة المصرية القديمة بوجه عام وهذه الفترة بوجه خاص (عصر الانتقال الأول) أنها لم تحرم الناس من ذكر الحقيقة ونقد الأوضاع الخاطئة فى المجتمع حتى ولو كان هذا فى صورة احتجاج يوجه إلى القائمين على الأمور حتى ولو كان هذا النقد موجها إلى شخص الملك نفسه وهو أعلى سلطة فى المجتمع .

كذلك عبرت النصوص الأدبية فى عصر الانتقال الأول وما بعدها فى عصر الدولة الوسطى عن كيفية نظام الحكم والقائمين على شئون البلاد ، كما عبرت عن أمنية الانسان المصرى القديم فى الصفات التى يجب أن يتحلى بها القائمين على شئونه حتى يتحقق الخير والعدل للمجتمع .

كما أحسنت النصوص تصوير الظلم وفاعليه والعدل والقائمين بتحقيقه فى صورة محببة إلى النفس والقلب وفى تشبيهات متعددة كان للانسان المصرى القديم فيها فضل السبق .

وكأمثلة شبه الاستقامة والعدل بالميزان ويعد هذا أول ذكر لاستخدام هذه الكلمات لمثل هذه المعانى واتخاذه من أجزاء الميزان ومقارنتها بأجزاء جسم الانسان كالشفتين والقلب (العقل والوعى) أساسا لتحرى الصدق والتمسك بالعدل وهو ما استخدم وعبرت عنه الأديان السماوية فيما بعد ، ويدل فى نفس الوقت على نضج فكر وضمير الانسان المصرى القديم من حيث توصله إلى هذه القيم الخلقية والسلوكية الهامة فى حياته والتعبير عنها .

كذلك يتضح من نصوص عصر الدولة الوسطى وما قبلها أن الفصاحة كانت من الأمور الهامة التى حظيت بتقدير الانسان المصرى القديم .

كما دعت النصوص إلى نبذ الطمع والأنانية وغيرها من الصفات الغير مرغوبة التى لا يقرها العرف أو الدين وفى نفس لوقت دعت إلى التمسك بالسلوك الفاضل والبعد عن الأنانية والمساواة وهى أشياء أحسن الانسان المصرى القديم التعبير عنها من فترة إلى فترة واعتبرها بمثابة قيم ضرورية لحياته شأنها شأن الماء والهواء للانسان من حيث أهميتها له وخاصة فى مجتمعه الزراعى القائم على التعاون والتماسك بين أفراده مما جعله يحرص طوال تاريخه على عقائده الدينية وتقاليده الموروثة وينادى باتباع المثل العليا .

ورغم احتفاظ ملوك الدولة الوسطى بألقابهم إلا أنهم اعتمدوا فى توطيد مكانتهم على امكانياتهم البشرية وصفاتهم الانسانية فبينما كانت أعمال ملوك الدولة القديمة تتم حسب التصورات الالهية فان

تصرفات ملوك الدولة الوسطى بالاضافة إلى خضوعها الأسمى لحكم الالهة فانها راجعة إلى مقدرة الملك الشخصية .

ولقد عكس الفن فى تلك الفترة كل هذه التغييرات فأظهر ملوك الدولة الوسطى بصفاتهم البشرية وجاءت صورهم أقرب إلى الصفة الانسانية من الصفة الالهية .

وتمشيا مع الروح التى سادت عصر الدولة الوسطى بضرورة تأكيد قيمة العدالة الاجتماعية للجميع فان الكهنة من جانبهم هدفوا إلى اضفاء فضل الالهة فى ظهور القيم العليا وبالتالى صبغها بصبغة مقدسة وذلك فى خطاب هام «لاله الشمس» ، وفى رأى الدارس أن هذا الاتجاه من جانب الكهنة برغم أنه يعبر عن اتجاه معنوى هام فى مجال القيم والمثل العليا إلا أنه يجب عدم اغفال هدفهم المادى وحرصهم على الاستفادة أيضا .

كما توصل الانسان المصرى القديم ـ من واقع تجارب حياته ـ إلى أن العدل يرتبط ارتباطا وثيقا بالعقائد الدينية كما توصل إلى أن العدل خالد وسوف يبقى للأبد وإن لم يكن فى الحياة الدنيا فانه سيكون حتما فى العالم الآخر وهو أيضا ما أكدته الشرائع السماوية .

كما يخرج الباحث بنتيجة هامة أخرى أن مصر الخالدة دائما تنتصر على المحن وتخرج دائما من أزماتها بروح جديدة متفائلة وقيم عليا تضيفها إلى سجلها الباهر فى التراث الانسانى بصفة عامة .



الفهـــارس



أولا : فهرس الخرائط

خريطة رقم   رقم الصفحة

١   مصر القديمة فى عصرى الدولتين القديمة والوسطى   ٢٤٥

عن : «فوركتيه .Vercoutter, J.,» .

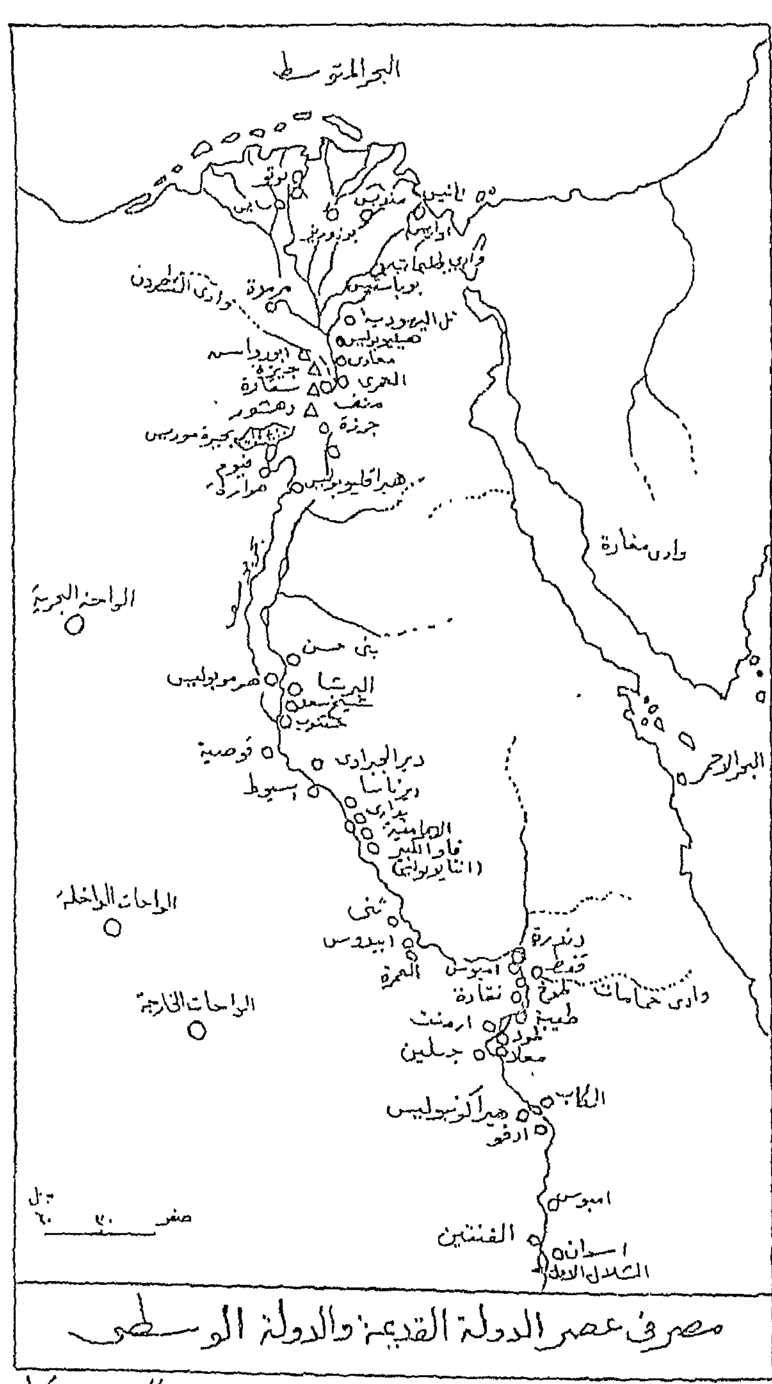
The Near East, The Early Civilizadions, London, 1967.

٢   النوبـــة .   ٢٤٧

عن : «ويلسون .Wilson. J» .

The Burden of Egypt, Chicago, 1951.

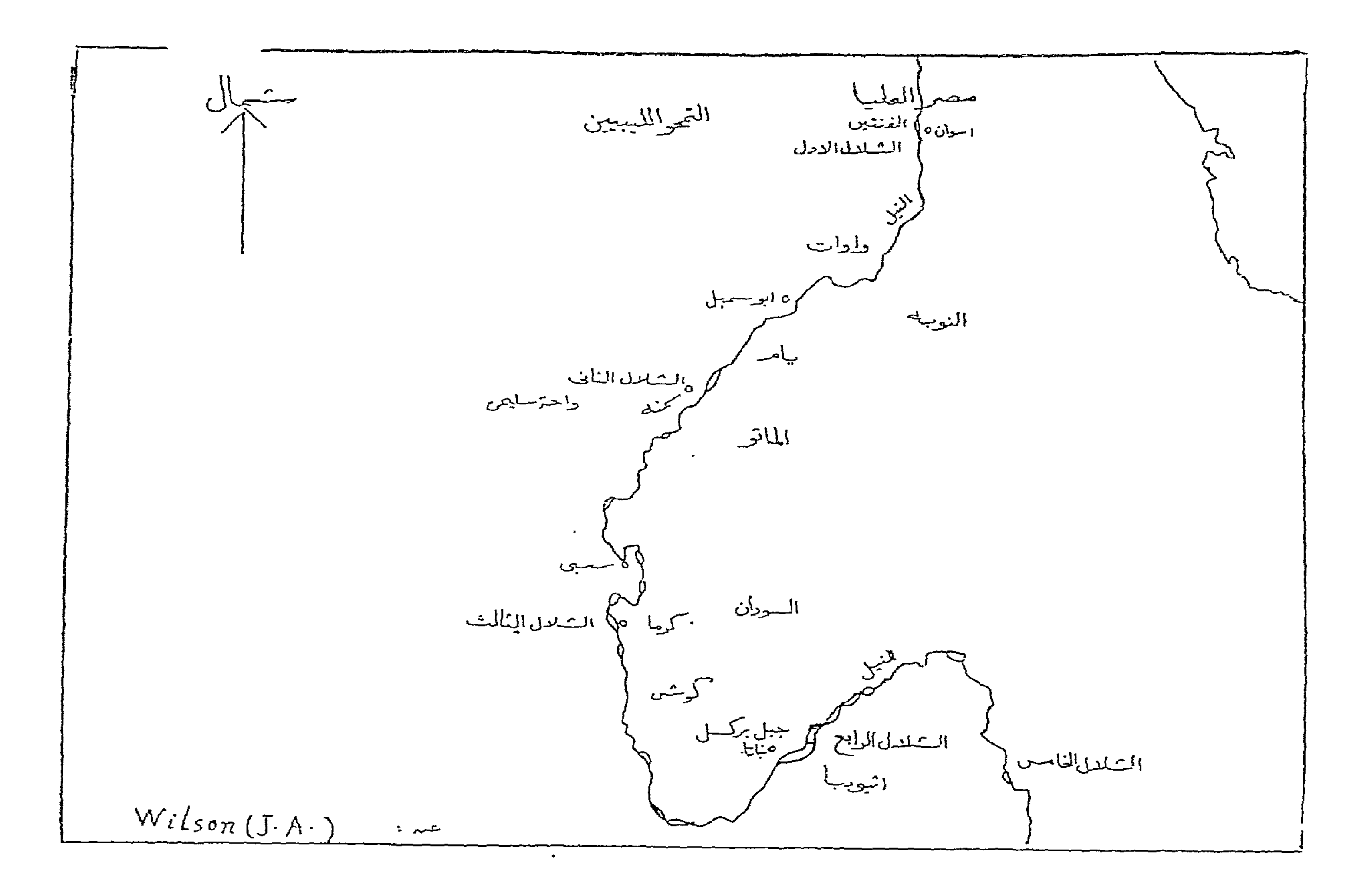




مصر في عصر الدولة القديمة والدولة الوسطى

عن: Vercoutter, J.





شمال
التمحو الليبيين
مصر العليا
الفنتين
اسوان
الشلال الاول
النيل
واوات
ابو سمبل
النوبه
يام
الشلال الثانى
سمنه
السودان
كرما
الشلال الثالث
كوش
جبل بركل
نباتا
النيل
الشلال الرابع
اثيوبيا
الشلال الخامس
عن :
Wilson (J.A.)



ثانيا : فهرس اللوحات

شكل رقم

١ لوحة نعرمر (أ الوجه ، ب الظهر)

عن : المتحف المصرى

٢ الالهة «ماعت»

عن : المتحف المصرى

٣ الملك «ببى الأول» فى سن الرضاعة

عن «ولف .Wolf w»

٤ الملك «ببى الأول» فى سن الطفولة على حجر أمه

عن : «ولف .Wolf w»

٥ الملك «ببى الأول» يقدم قربانا للاله

عن : «ولف .Wolf w»

٦ الملك «ببى الأول» وبجواره ولى عهده «مرن رع» فى سن الطفولة

عن : «ولف .Wolf w»

٧ الالهة «ايزه» وأختها بجانب جثمان الاله «أوزير»

عن : «باتريك .Patrick, R»

٨ محاكمة المتوفى أمام الاله «أوزير»

عن «أوتو .Otto, E»

٩ الاله «تحوت» اله الحكمة الكتابة

عن : المتحف المصرى

١٠ الملك «خفرع»

عن : المتحف المصرى

١١ ، ١٢ رأس الملك «سنوسرت الثالث»

عن : المتحف المصرى

١٣ (أ) تمثال الملك «أمنمحات الثالث» «تماثيل تانيس»

عن : المتحف المصرى

(ب) وجه تمثال الملك «أمنمحات الثالث»

عن : المتحف المصرى

أولا : المراجع العربية

أحمد بدوى : فى موكب الشمس ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

فى موكب الشمس ، الجزء الثانى ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

الأهرامات المصرية ، القاهرة ١٩٦٣ .

رشيد الناضورى : جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا ، الكتاب الأول ، بيروت ، ١٩٦٨ .

المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى ، بيروت ، ١٩٦٩ .

زكى اسكندر : التحنيط فى مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

سليم حسن : مصر القديمة ، الجزء الثانى ، القاهرة ، ١٩٤٤ .

الأدب المصرى القديم ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

الأدب المصرى القديم ، الجزء الثانى ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

شفيق شحاته : تاريخ القانون الخاص فى مصر ، الجزء الأول ، القانون المصرى القديم ، ١٩٥٣ .

عبدالحميد زايد : أبيدوس ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

عبدالحميد زكى : الجيش فى مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

عبدالعزيز صالح : الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول ، القاهرة، ١٩٦٧ .

ماهية الانسان ومقوماته ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

حضارة مصر القديمة وآثارها ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

التربية والتعليم فى مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

محمد أنور شكرى : الفن المصرى القديم ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

مصطفى الأمير : الالتزامات والعقود فى القانون المصرى الفرعونى ، مجلة كلية الآداب ، الاسكندرية ، ١٩٥٧ .

محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ مصر الفرعونية السياسى ، الاسكندرية ١٩٨١ .

محرم كمال : تاريخ الفن المصرى القديم ، القاهرة ، ١٩٣٧ .

نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، الاسكندرية ،١٩٦٠ .

مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الرابع ، الحضارة المصرية ، الاسكندرية ، ١٩٥٩ .

تاريخ الحضارة المصرية ، المجلد الأول ، (نخبة من العلماء) ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

الموسوعة المصرية : تاريخ مصر القديمة وآثارها ، و المجلد الأول ، نخبة من العلماء ، القاهرة .

ثانيا : المراجع المترجمة إلى اللغة العربية

ادولف ارمان : ديانة مصر القديمة .

ترجمة عبدالمنعم أبوبكر ، مراجعة محمد أنور شكرى القاهرة ، ١٩٥٢ .

ادولف ارمان ، هرمان رانكة : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة .

ترجمة عبد المنعم أبوبكر ، مراجعة محرم كمال ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

بلوتارخوس : **ايزيس وأوزوريس** .

ترجمة حسن صبحى بكرى ، مراجعة محمد صقر خفاجة ، القاهرة .

جيمس برستد : تطور الفكر والدين فى مصر القديمة .

ترجمة زكى سوس ، القاهرة ، ١٩٦١ .

ديودور الصقلى فى مصر :

ترجمة وهيب كامل ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

سيرج سونيرون : كهان مصر القديمة .

ترجمة زينب الكردى ، مراجعة أحمد بدوى ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

صمويل نوح كرايمر : أساطير العالم القديم .

ترجمة أحمد عبدالحميد يوسف ، مراجعة عبدالمنعم أبوبكر ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

هـ. فرانكفورت وآخرين : ما قبل الفلسفة .

ترجمة جبرا ابراهيم ، مراجعة محمد الأمين ، بغداد ، ١٩٦٠ .

هيرودوت يتحدث عن مصر :

ترجمة محمد صقر خفاجة وأحمد بدوى ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

ولتر ايمرى : مصر وبلاد النوبة .

ترجمة تحفة هندوسية ، مراجعة عبدالمنعم أبوبكر ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

ثالثا : المراجع الأجنبية

Abdel Aziz Saleh : Notes on the Egyptian "Ka" Cairo, 1955.

Baikie, J. : A History of Egypt, London, 1929.

Bates, O. : The Name of Osiris, JEA, Vol II, 1915.

Breasted, J, H. : The Dawn of Conscience, New York, 1947.

-- A History of Egypt from the earliest Times to the persian conquest, U.S.A., 1959.

-- Ancient Records of Egypt, Vol 1 Chicago, 1905.

Cerny, A. : Ancient Egyptian Religion, London, 1952.

Daumas, F. : La civilisation de L'Egypte Pharaonique, ARTHAUD, 1967.

Drioton, E., Vandier, J. : L'Egypte, Paris, 1938.

De Morgan, J. : La Préhistoire Orientale, Tome 2, Paris, 1926.

Erman, A., Ranka, H. : La civilization Egyptienne Paris, 1963.

Erman, A, : Life in Ancient Egypt, Translated by : Tirard, H.M., London, 1948.

Edwards, L.E.S., : The Pyramids of Egypt, London, 1947.

Frankfort, H. : Ancient Egyptian Religion, Newyork, 1951.

-------------------- : Kingship and the gods, chicago, 1948.

Gardiner, A.H. : Egypt of the pharaohs, Oxford 1961.

-------------------- : Ancient Egyptian onomastica, Vol. 2 Oxford, 1947.

-------------------- : Egyptian Grammar, London, 1927.

-------------------- : New Literary works from Ancient Egypt, JEA, Vol. 27, London, 1941.

-------------------- : The Eloquent Peasant, JEA, Vol. 9 London, 1923.

Gauthier, H. : Dictionaire des noms géographiques Contenus dans les Textes hiéroglyphiques, Tome, 1 - 7, Le caire, 1931 - 1955.

Gunn, B. : Notes on Ammenemes I, JEA, Vol. 27, London, 1941.

-------------------- : A sixth dynasty letter from Saqqara, Ann. Serv., Tome 25, Le Caire, 1925.

Griffth, F.L., : The Inscriptions of Siut and Dêr Refeh, London, 1889.

Hayes, W.C. : The Scepter of Egypt, Newyork, 1953.

Haywkes, J. : The first Great Civilization, London, 1973.

Maspero, G. : Histoire Ancienne des Peuples de L'orient, Paris, 1878.

Mercer, S.A.B. : The Pyramid Texts, (Translation and Commentary) Vols, I, V, Newyork, 1952.

Newberry, P.E. : The life of Rekmare, London, 1900.

OTTO, E., : Osiris Vnd Anvn, Hamburg, 1966.

Patrick, R. : All Colour Book of Egyptian Mythology London, 1972.

Petrie, F., : A History of Egypt from the earliest Kings to the 16th dynaisty, London, 1903.

-------------------- : The Conscience of Ancient Egypt, London, 1902.

Pirenne J., : La religion et la Morle dans L'Egypte antique, Suisse, 1965.

Pirenne J., : Histoire des institutions et du Droit prive de l'ancienne Egypte, Bruxelles, 1935.

Posner, A., : L'itteretue et Politique dans L'Egypte de L' X II dynestie, Paris, 1959.

Pritchard, J. : Ancient Near Eastern Texts Relating to the old Testement, edited by J.B. pritchard, Princeton, Newgersy 1969.

Shorter, A., : Everyday Life in Ancient Egypt, London, 1932.

Vandier, J., : La Religin Egyptienne, Paris, 1949.

-------------------- : Mannel D'archéologie Egyptienne, Tome 1er Paris, 1952.

-------------------- : Mannel D'archéologie Egyptenne, Tome 2, Paris, 1955.

Vercoutter, J., : The early civilization, London, 1967.

Widemann, A. : Mâat, deese de la verité et son rôle dans le partheon Egyptian Paris, 1887.

Wilson, J., : The Burden of Egypt, Chicago, 1951.

-------------------- : The Admonitions of Ipu-wer, ANET, Newgersy, 1969.

-------------------- : The Prophecy of Neferti, ANET, Newgersy, 1969.

-------------------- : The Instruction of Prince Hor-Dedef ANET, Newgersy, 1969.

-------------------- : The Instruction for King Meri-Ka-Re, ANET, Newgersy, 1969.

-------------------- : The Protests of the Eloquent Peasant, ANET, Newgersy, 1969.

-------------------- : The Instruction of King Amen-Em-Het ANET, Newgersy, 1969.

-------------------- : All men Created Equal in Opportunity ANET, Newgersy, 1969.

Wilkinson, G. : Manners and Customs of the Ancient Egyptian, London, 1878.

Winlock, H.E. : The Rise and Fall of The Middle Kingdom in thebes, Newyork, 1947.

Wolf, W., : Die Kunst A Egyptens, Stuttgart, 1957.

Zaba, Z. : Les Maximes de ptah Hotep, Pargue, 1956.



اللوحات



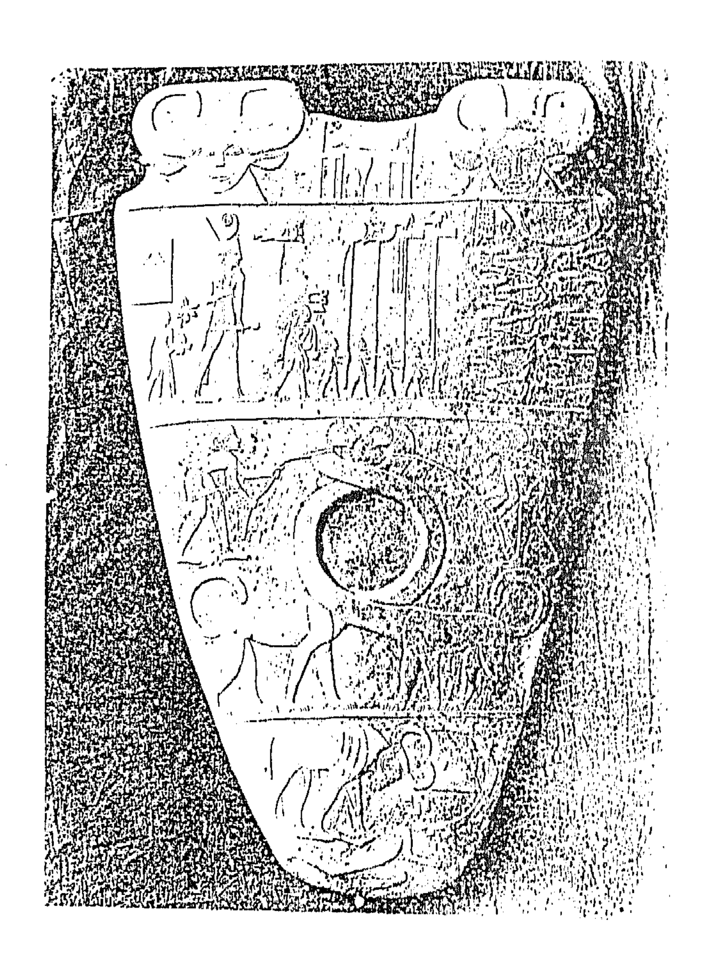


شكل (١) أ

وجه لوحة «نعرمر» مرتديا تاج الوجه القبلى وقد رفع دبوسه ليضرب به أحد الأسرى ، ويشاهد الصقر «حور» واقفا على حزمة من النباتات قابضا على أسير مخزوم بحبل ينفذ من أنفه .

(نقلا عن : المتحف المصرى بالقاهرة) .





شكل ١ (ب)

ظهر لوحة «نعرمر» مرتديا تاج الوجه البحرى وقد سار حاملو أعلام المعبودات المختلفة أمام الملك ، وتحت هذا المنظر حيوانان خاصان بالعصر العتيق ، وقد مثل الملك فى الأسفل على هيئة ثور يحطم قلعة استولى عليها .

(نقلا عن : المتحف المصرى بالقاهرة) .





شكل (٢)

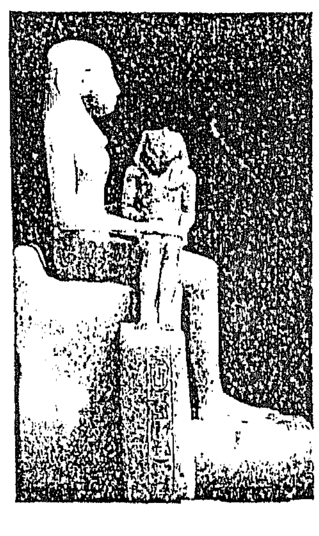
الالهة «ماعت» وقد مثلت على شكل سيدة تضع ريشة على رأسها .

(نقلا عن : المتحف المصرى بالقاهرة) .





شكل (٣)



شكل (٤)

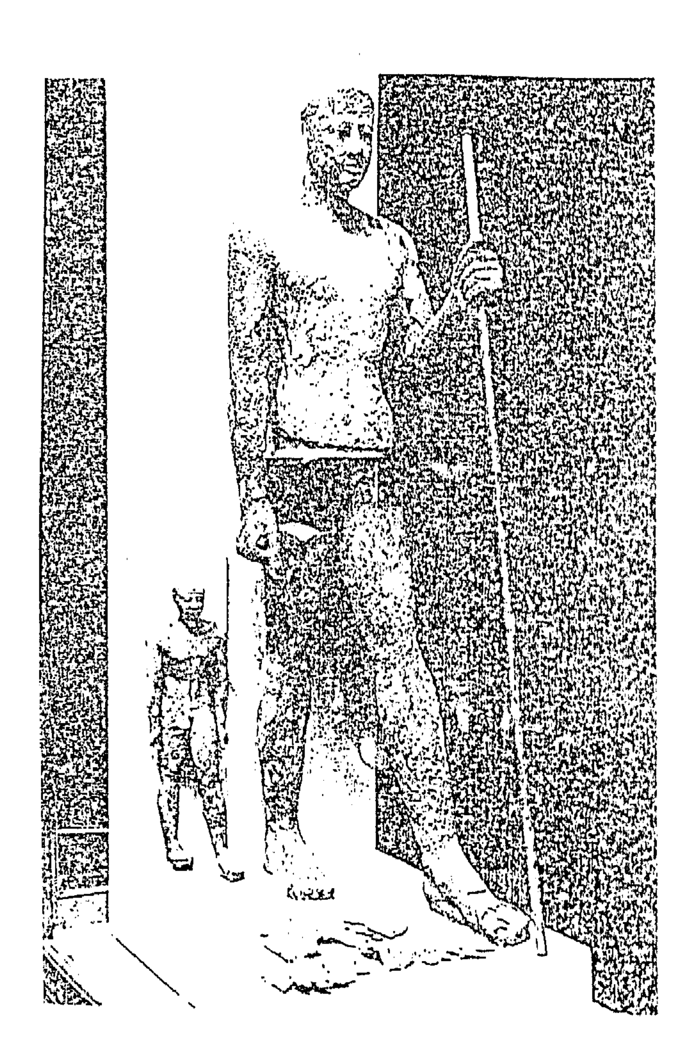


شكل (٥)

الملك «ببى الأول» (الأسرة السادسة) صورة الفنان المصرى فى أوضاع مختلفة عبرت عن مدى التغير فى المفاهيم الدينية والسياسية والاجتماعية فى مصر القديمة .

(نقلا عن : Wolf, W., Die Kunst AEgyptens)



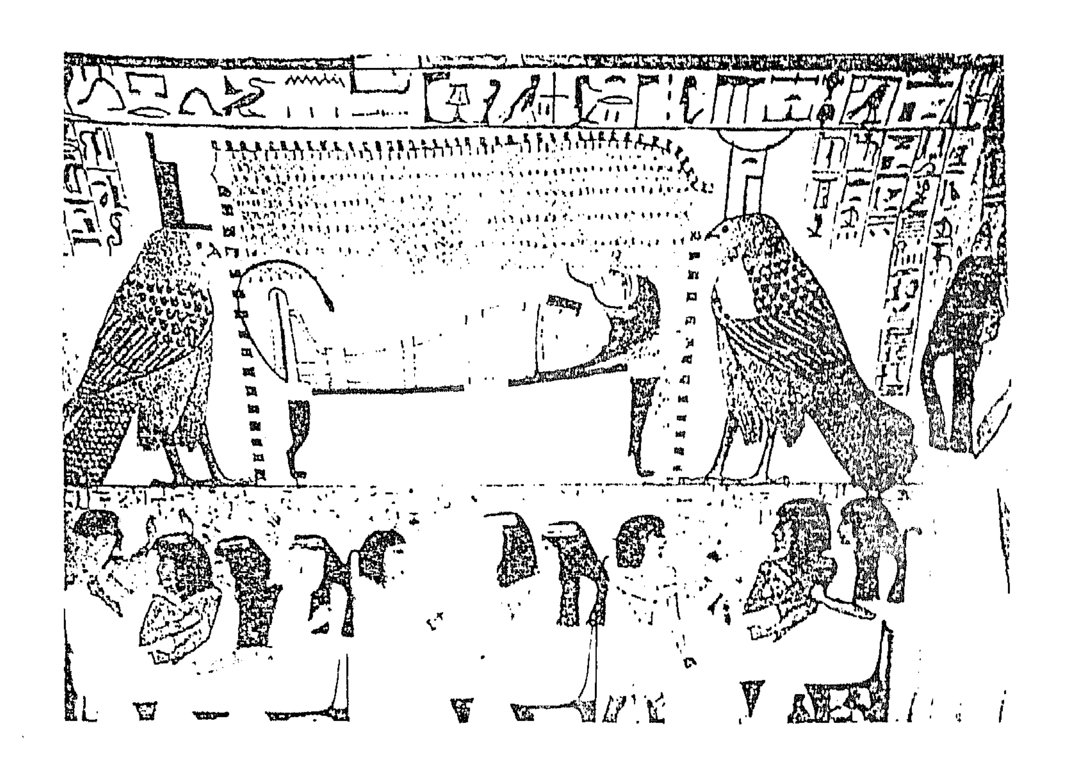


شكل (٦)

تمثال للملك «ببى الأول» فى سن الشيخوخة وبجواره ولى عهده عاريا فى سن الطفولة ، قارن شكل رقم ١٠ .

(نقلا عن : Wolf, W.,) .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

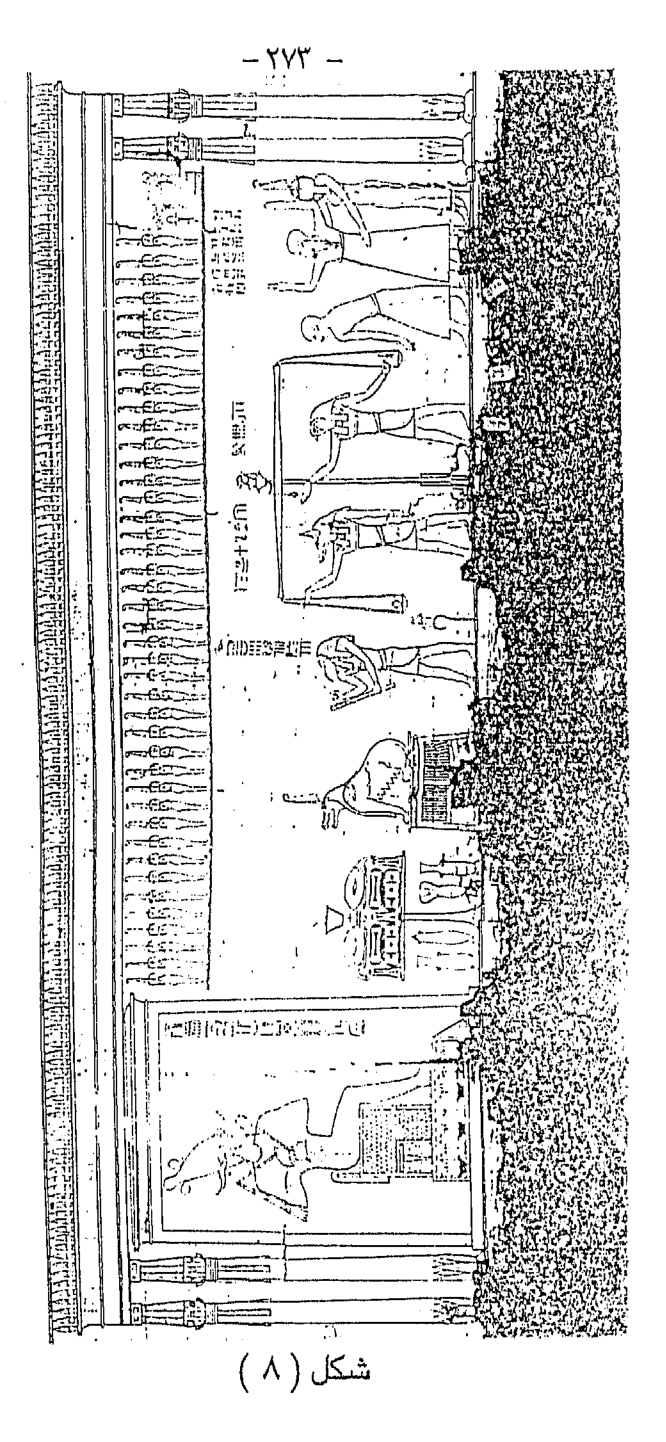


شكل (٧)

الالهة «ايزة» وأختها بجانب جثمان الاله «أوزير» .

(نقلا عن : Patrick, R., All Colour Book of Egyptian Mythology) .





شكل (٨)

محاكمة المتوفى أمام الاله «أوزير»

(نقلا عن: Otto, E., Osiris VND AMUN) .



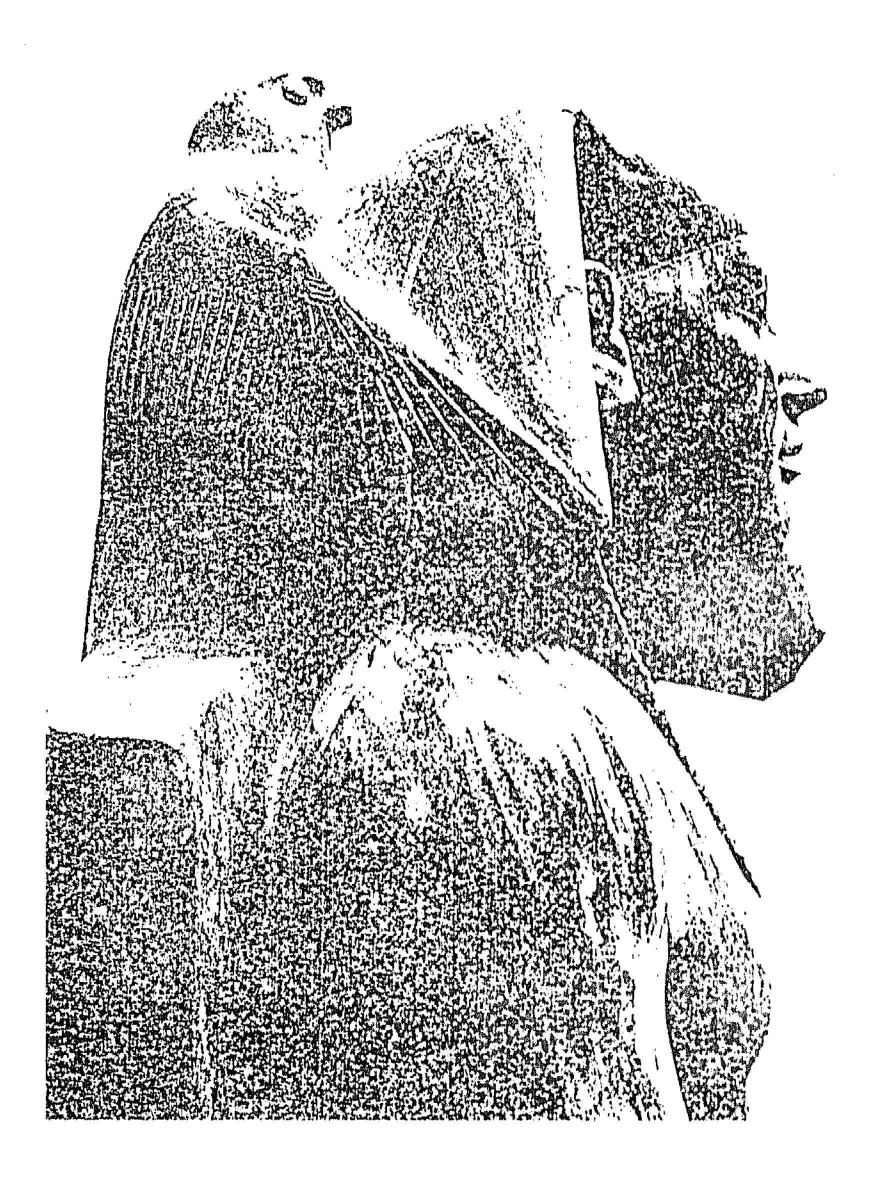


شكل (٩)

الاله «تحوت» اله الحكمة والكتابة .

(نقلا عن : المتحف المصرى بالقاهرة) .





شكل (١٠)

الجزء العلوى من تمثال «خفرع» حيث عبر الفنان عن كل معانى الثقة والهيمنة والخلود ، بينما نشر الصقر (حور) جناحيه على كتفى الملك كأنه يسبغ عليه حمايته .

(نقلا عن : المتحف المصرى بالقاهرة) .





شكل (١١)

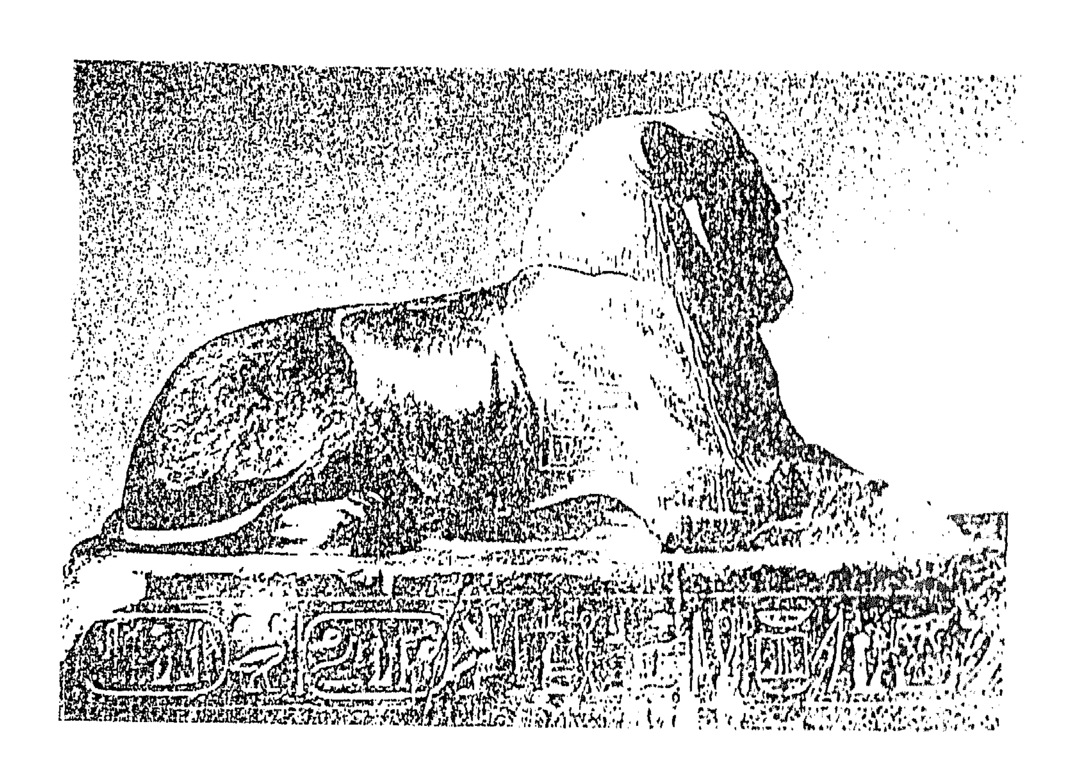


شكل (١٢)

رأس الملك «سنوسرت الثالث» وعبرت ملامح وجه الملك عن الأحوال السياسية والاجتماعية التى سادت فى عصر الدولة الوسطى .

(نقلا عن : المتحف المصرى بالقاهرة) .





شكل (١٣) أ

تمثال للملك «أمنمحات الثالث» عثر عليه فى تانيس بشرق الدلتا وصور فيه على هيئة أبو الهول بجسم أسد ورأس انسان .

(نقلا عن : المتحف المصرى بالقاهرة)





شكل (١٣) ب

وجه تمثال الملك «أمنمحات الثالث» على هيئة أبو الهول ويلاحظ فيه تمثيل معرفة الأسد والشعر الكثيف حول الرقبة كناية عن البطش والقوة والجبروت لصاحب التمثال .

(نقلا عن : المتحف المصرى بالقاهرة)



محتويات الكتاب

رقم الصفحة	الموضوع
	ـ الاهـــداء .
	ـ تقديم للمؤلف .
١٧ ـ ٦٠	ـ الفصل الأول : مفهوم المثل العليا للضمير وتطوره خلال النصف الأول من عصر الدولة القديمة :
	ـ [illegible] الأزلية ونشأتها .
	ـ [illegible] والمفاهيم الدينية .
	ـ واجبات الملك الدينية والاجتماعية والسياسية .
	ـ عقيدة البعث والخلود .
	ـ الاشراف الادارى فى عصر الدولة القديمة .
٦١ ـ ٩٨	ـ الفصل الثانى : تطور فكرة الضمير فى النصف الثانى من عصر الدولة القديمة .
	ـ تزايد نفوذ كهنة «رع» فى النصف الثانى من الأسرة الرابعة وماتلاها من أسرات.

ـ بردية ويستكار والأسرة الخامسة .

ـ القيم والمثل العليا من خلال نصوص رجال الدولة .

ـ نص «بتاح حتب»

ـ نص «ونى» والحياة السياسية والاجتماعية فى الأسرة السادسة .

ـ الفصل الثالث : دور الاله «أوزير» فى مفهوم المثل العليا . ٩٩ ـ ١٣٦

ـ أسطورة «أوزير» وما تضمنته من قيم .

ـ تأثير «أوزير» على الملوك والنبلاء وباقى أفراد المجتمع المصرى القديم .

ـ فكرة الحساب والمسئولية فى مصر القديمة

ـ «أوزير» والعادات الجنزية فى مصر القديمة .

ـ الفصل الرابع : الثورة الاجتماعية ودورها فى مفهوم المثل العليا عند الانسان المصرى القديم . ١٣٨ ـ ١٨٨

ـ الحوادث التاريخية فى عصر الأنتقال الأول .

ـ بردية ليدن الخاصة بالحكيم «ايبوور» .

ـ تعاليم «خيتى» إلى ابنه «مرى كارع» وما تضمنته من قيم سياسية واجتماعية وخلقية .

- الصراع السياسى بين أهناسيا وطيبة .

- نص «الفلاح الفصيح» وقيم العدل الاجتماعى .

- **الفصل الخامس : تطور فكرة الضمير الخلقى فى عصر الدولة الوسطى .** ١٩٠ - ٢٣١

- نص «نفر رهو» كتمهيد لعهد «أمنمحات الأول» .

- نص «أمنمحات الأول» لأبنه «ستوسرت الأول» .

- التعبير عن القيم والمثل العليا فى الجانب : السياسى ، والاجتماعى ، السلوكى والتربوى .

- الفن كتعبير عن واقع المجتمع فى عصر الدولة الوسطى .

خاتمة البحث . ٢٣٢ - ٢٣٩

فهرس الخرائط . ٢٤٢ - ٢٤٧

المراجع . ٢٥١ - ٢٥٨

اللوحات . ٢٦٠ - ٢٨٣





الانتصار
ELENTSAR

